

جامعة دمشق
مركز التعليم المفتوح
قسم الإعلام

أملية لمقرر موضوع خاص في الإذاعة

السنة الرابعة - الفصل الثاني

إعداد الدكتور كمال بديع الحاج

جامعة دمشق
Damascus University



إشكالية الموضوعية في وسائل الإعلام

دراسة نقدية

مقدمة :

كان تطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات يحمل الكثير من الوعود للبشرية ، وهي وعود شكلت حالة انبهار للكثير من الناس ومن بينهم عدد كبير من دارسي الإعلام والعاملين في حقل الاتصال ، ولكن هذا التطور - الذي يوصف بأنه يشكل ثورة معلوماتية واتصالية تعد بتغيير راديكالي في حياة البشرية بشكل عام ، وفي عالم الإعلام والاتصال بشكل خاص - يحمل معه الكثير من الأخطار .

ولعل من أهم هذه الأخطار تلك التي أصابت أو يمكن أن تصيب في المستقبل صناعات إعلامية واتصالية مثل الصحافة المطبوعة والإذاعة والتلفزيون .

وكانت الصحافة المطبوعة هي أكثر الصناعات الإعلامية التي تتعرض للخطر . حتى أن كثيراً من الكتاب والأكاديميين بدوا وكأنهم يكتبون نوعاً من الرثاء . لمضارة الورق والصحافة الورقية ، وفي السنوات الأخيرة ألح هذا الرثاء إلى الإذاعة والتلفزيون أيضاً بالرغم من أن المخاطر التي تواجهها أقل حدة من تلك التي تواجه الصحافة المطبوعة .

إن أهم المقولات التي شاعت في الفترة الأخيرة حول الثورة الرقمية بشكل عام والإنترنت بشكل خاص هي أنها سوف تعطي لكل شخص الفرصة لكي يكون ناشراً . وأن تكنولوجيا الاتصال الجديدة ستتمكننا من إنتاج مجلاتنا وصحفنا ومواقعنا على الإنترنت . ولذلك سيصبح كل فرد منتجاً للمضمون بالإضافة إلى كونه مستهلكاً

للمضمون ، وأن النموذج القديم للاتصال الذي يقوم على مرسل يرسل رسالة إلى الجمهور قد انتهى ليحل محله نموذج جديد هو الجمهور يرسل رسائله إلى الجمهور (1).

كان هذا الكلام مثيراً من الناحية النظرية . . . ولكن الواقع ما زال بعيداً عن هذا التصور . . . مع ذلك فإن الواقع يؤكد أن الصحافة المطبوعة قد أصبحت في خطر نتيجة تطور تكنولوجيا الإعلام الحديثة ، ومن أهمها الإنترنت التي أدت إلى إلغاء الحدود الزمانية والمكانية لإنتاج الأخبار واستهلاكها ، وأدت إلى عوالة عملية إنتاج الأخبار والجمهور الذي يستهلك الأخبار :

وكما يقول جون كاتز إن كل شيء كانت تقدمه الصحف أصبح هناك من يقدمه بشكل أسرع وأفضل وأكثر جاذبية وكفاءة ، وبطريقة أكثر تشويقاً (2).

لذلك فإن السؤال الذي طرح نفسه في التسعينيات هو هل هناك مستقبل للصحافة ؟ . . . ولقد تعددت الإجابات والاجتهادات وتنوعت . . . لكن الإجابة على هذا السؤال ما زالت تحتاج إلى الكثير من الاجتهادات والمناقشة العامة . . . مع ذلك فإن المخاطر قد تفتح آفاقاً جديدة للتفكير في مواجهتها ، ولصنع مستقبل جديد للصحافة بوجه خاص ووسائل الإعلام بوجه عام .

إن مستقبل الصحافة يعتمد على عملية تغيير شاملة تعود فيها الصحافة لمخاطبة المتلقي كمواطن وليس كمستهلك . فتتمية الإحساس بالمواطنة يمكن أن يكون طريقة مؤثرة في زيادة توزيع الصحف ، وزيادة التعرض لمعطيات التليفزيون حيث إن وجود الصحافة يعتمد على وجود الجمهور المهتم بالقضايا العامة (3)

ولا شك أن تكنولوجيا المعلومات الحديثة التي شكلت ثورة المعلومات قد حملت معها الكثير من نذر الخطر على الصحافة . لكن ربما يكون الخطر الأكبر يكمن في الممارسات الصحفية نفسها ، والمفاهيم التي قامت عليها هذه الممارسات طوال القرن العشرين . . . فمنذ فترة طويلة ووسائل الإعلام تعاني من أزمة مصداقية في كل دول العالم ، وربما تكون هذه الأزمة هي أخطر ما يواجه وسائل الإعلام ، فأهم شيء يحتاجه الصحفي وتحتاجه الوسيلة الإعلامية هو المصداقية.

وكانت أزمة المصادقية هي السبب الرئيسي في تزايد حدة الانتقادات الموجهة إلى الصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث توصلت استطلاعات الرأي العام إلى نتائج خطيرة فقد بين استطلاع للرأي العام أجرته مؤسسة الأجنحة العامة The public agenda foundation أن أغلبية الأمريكيين يطالبون بإصدار قوانين تضمن العدالة في تغطية وسائل الإعلام للقضايا الخلافية (4).

كما أشار استطلاع آخر أجراه مركز وسائل الإعلام والشئون العامة في ديسمبر ١٩٩٦ ، وهو مركز بحثي لا يهدف إلى الربح إلى أن ٢٥٪ من الأمريكيين يرون أن وسائل الإعلام تسيء استخدام التعديل الأول الذي يضمن حرية الصحافة (5).

وأكد استطلاع آخر أجرته جمعية رؤساء تحرير الصحف الأمريكية في منتصف الثمانينيات أن ٣٩٪ من الأمريكيين يرون أن الصحافة تسيء استخدام حقها الدستوري في حرية الصحافة (6) .

وتعليقاً على هذه النتائج بالإضافة إلى نتائج استطلاعات أخرى ، وصف جورج جالوب في مقال له بمجلة Editor and publisher اتجاه الرأي العام الأمريكي بأنه أصبح إلى حد ما معادياً لقضية حرية الصحافة (7).

لذلك فإن الخطر لا يأتي فقط نتيجة لتطور تكنولوجيا المعلومات وما تنتجه من أشكال اتصالية جديدة ، لكن الكثير من المخاطر كانت تكمن في ممارسات المؤسسات الإعلامية ، وقد يكون لشورة المعلومات الفضل في زيادة الشعور بالخطر ، وهو الأمر الذي يتطلب وقفة للمراجعة الشاملة للكثير من الحسابات والمفاهيم والأعراف والتقاليد الصحفية التي بنيت على أسسها صناعة الصحافة في القرن العشرين .

إن هذه المراجعة الشاملة قد تؤدي إلى التوصل إلى تصورات ومفاهيم جديدة ، وبناء استراتيجيات جديدة ، وإلى تحديد جديد للأدوار والوظائف والأساليب والممارسات . وكل ذلك يمكن أن يعيد الصحافة إلى الجمهور كأداة يحصل من خلالها على معرفة حقيقية ، تمنح قدراته على التفكير والمشاركة والعمل الإيجابي ، كأداة يمارس من

خلالها حقه في التعبير الحر عن رأيه وفكره ، والمشاركة في مناقشة عامة وحررة لكل قضايا المجتمع .

لذلك فإن نقطة البداية لمواجهة كل المخاطر التي تواجه الصحافة المطبوعة بشكل خاص ووسائل الإعلام بشكل عام هي المراجعة الشاملة لحصاد قرون كامل من المفاهيم والنظريات والممارسات الصحفية .

ولعل أول مفهوم يحتاج إلى المراجعة ، والمناقشة الحرة هو مفهوم الموضوعية Ob- jectivity للأسباب التالية:

١- إن مفهوم الموضوعية هو المفهوم الذي بنى عليه الكثير من الممارسات الصحفية خلال القرن العشرين ، ففي أي منهج دراسي في الولايات المتحدة الأمريكية يتم في بداية هذا المنهج مطالبة دارس الصحافة - الذي يتم إعداده ليكون صحفياً - بأن يكون موضوعياً ، فالتفكير الشخصي للصحفي يعتبر مرفوضاً في تغطية الأخبار ، ولا يسمح بظهوره إلا في سواد الرأي (8) ، وعلى ذلك جرت كل المناهج الدراسية في مجال الإعلام في كل أنحاء العالم حيث يتم توجيه الصحفيين إلى التمسك بالموضوعية ، وأن يكونوا موضوعيين في التغطية الخبرية (9) ، وسارت على هذا النحو برامج تدريب الصحفيين ، كما أن الصحفي الذي لم يحصل على تعليم أو تدريب يتم تلقيه هذا المفهوم من خلال العمل في الوسيلة الإعلامية.

يضاف إلى ذلك أن معظم الكتب في مجال الإعلام تتضمن هذا المفهوم ، وهو الأمر الذي جعل هذا المفهوم هو "الإطار المرجعي" الذي يستخدمه الصحفيون لتوجيه أنفسهم في المؤسسة الإعلامية وفي المجتمع ، كما أن الموضوعية هي إلى درجة ما أيديولوجية حيث يمكن تعريف الأيديولوجية بأنها مجموعة من المعتقدات التي لكم عمل الصحفي (10).

كما يصعب منديتش الموضوعية بأنها أهم مفهوم أخلاقي تم تطويره في الولايات المتحدة الأمريكية وتصديره إلى العالم ، وأنها المذهب الرئيسي للصحافة الأمريكية (11)

ومع أن معظم الصحفيين يعترفون أن الموضوعية الخالصة مستحيلة (12)، فإنها تستمر في تشكيل عمل الصحفيين في المجتمعات الليبرالية ، ويستخدمها الصحفيون كثيراً للدفاع عن المنتج الذي يقدمونه (13).

٢- تستخدم المؤسسات الإعلامية مفهوم الموضوعية في توصيف نفسها ، وما تقدمه إلى الجمهور بالإضافة إلى تبرير ما تقوم به من جهود للحصول على المعلومات ، وأساليبها في معالجة هذه المعلومات ، ومن الواضح أن المؤسسات الإعلامية في كل أنحاء العالم تعتقد أن مفهوم الموضوعية هذا هو الذي يشكل ضرورتها في أذهان الجمهور ، وأنه هو الذي يمكن أن يحقق لها المصداقية .

٣- تفجرت المناقشة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية حول قضية الاحتكار والتركيز في ملكية وسائل الإعلام ، منذ السبعينيات وحتى الآن ، واتضح من هذه المناقشة أن هناك امهاً معادياً لتطور ظاهرة الاحتكار والتركيز وما نتج عنها من تكوين إمبراطوريات إعلامية تسيطر على الكثير من وسائل الإعلام ، وكان الاماء الناقد لهذا التطور يضم الكثير من الصحفيين ، والمدافعين عن الحريات المدنية ، والأكاديميين الذين رأوا أن هذه الظاهرة تضع القوة الإعلامية في يد عدد قليل من الشركات الكبرى ، وبالتالي تقيد التعددية والتنوع ، وهو ركن أساس من أركان حرية الصحافة .

وعند بدأ هذا الاماء يؤثر ، ويدفع في اماء إصدار تشريعات للحد من ظاهرة الاحتكار والتركيز ، فإن الشركات الكبرى دافعه عن نفسها بأنها تقدم تغطية موضوعية للأحداث وأنها تقوم بعرض كل وجهات النظر ، وآراء كل الأطراف في القضايا المختلفة ، وترتيباً على ذلك فإنه ليس هناك خطر على التعددية والتنوع نتيجة لتوسع هذه الشركات في ملكية الوسائل الإعلامية ، ومن الواضح أن هذا الدفاع ، واستخدام هذا المفهوم قد أعاق المناقشة حول خطورة ظاهرة الاحتكار والتركيز .

٤- عندما كافح دول الجنوب في إطار اليونسكو ، خلال السبعينيات ضد

الاختلال في تدفق الأنباء ، وسيطرة دول الشمال على النظام الإعلامي الدولي ، استخدمت الولايات المتحدة وأوروبا الغربية مفهوم الموضوعية في الرد على ذلك ، وادعى أن وسائل الإعلام الغربية تقدم صورة موضوعية للعالم من خلال ما تنقله من معلومات ، ومن خلال تغطيتها للأحداث ، ورفضت الدعوة لإنشاء نظام إعلامي عالمي جديد يقوم على التدفق الحر والمتوازن للمعلومات ، بالرغم من أن هذه الدعوة قد بنيت على ركن أساسي من أركان الموضوعية وهو التوازن ، ومن ثم فإنه يمكن القول إن مفهوم الموضوعية قد استخدم لتبرير استمرارية سيطرة دول الشمال ، وبالتحديد الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الإعلامي الدولي ، وعلى حركة تدفق الأنباء .

٥- إن مفهوم الموضوعية هذا قد استخدم للتقليل من الاعتماد على وكالات الأنباء في دول الجنوب ، حيث يوصف الإنتاج الأخباري لهذه الوكالات بعدم الموضوعية ، ويتم الاستناد في ذلك إلى تبعية هذه الوكالات للسلطة ، وبالتالي يتم التقليل من مصداقية هذه الوكالات ، وهو ما أعاق إمكانية نموها ، وقدرتها على أن تلعب دوراً في عملية تدفق المعلومات في العالم .

٦- كثيراً ما توجه الاتهامات بعدم الموضوعية للصحفيين من جانب السلطات عند أي محاولة من جانب الصحفيين للاعتماد على مصادر غير رسمية في الحصول على المعلومات ، أو عندما يحاولون القيام بدورهم في كشف الانحرافات والفساد ، وفي بعض الأحيان تستخدم السلطات هذا الإدعاء بعدم الموضوعية لإصدار تشريعات تقيد حرية الصحافة ، أو لمعاقبة الصحفيين .

٧- كثيراً ما توجه الاتهامات بعدم الموضوعية للصحفيين من جانب الجمهور ، وفي الكثير من الأحيان يتم بناء هذه الاتهامات على أسس وشواهد حقيقية . ومن المؤكد أننا لا بد أن نعطي لأراء الجمهور في وسائل الإعلام ما تستحقه من دراسة ، فهو الحكم النهائي على ما تقدمه وسائل الإعلام ، والوسيلة الإعلامية التي تريد أن تكون مؤثرة لا بد أن تهتم بدراسة آراء جمهورها ، وصورتها عند هذا الجمهور .

٨- إن مفهوم الموضوعية مسئول عن التقليل من جراءة الصحفيين وشجاعتهم ، فكثيراً ما تكون المعلومات فى متناول أيديهم ، لكنهم لا يقومون بنشرها لأنهم يريدون دائماً إنتاج موضوعات آمنة لا تثير جدلاً ولا نقاشاً ، خوفاً من الاتهام بعدم الموضوعية ، وإذا استمر الصحفيون فى التمسك بهذا المفهوم فإنه قد تتحقق توقعات هاردت هانو الذى يرى أن الكمبيوتر قد سهل عملية التحرير والقص واللصق ، وجعلها أكثر حرفية ومهارة ، لكن هذا التطور قد جعل الصحفيين يشعرون أنهم أصبحوا عمال إدخال بيانات ، ولا يقومون بدور مهنى كما يتصورونه ويتطلعون إليه . إن تصنيع الأخبار لم يعد يتطلب عمل المهنيين المحترفين ، ولكنه يمكن أن يتم إيجازه بواسطة قوة العمالة الرخيصة القادرة على العمل على الكمبيوتر ، والقادرة على إدخال المعلومات ومبيعها بدلاً من ممارسة القدرات التحليلية (14) ، وإذا كان هذا هو الدور الذى يمكن أن يقوم به الصحفيون فى المستقبل ، فإن الإنترنت يمكن أن تقوم بتقديم المعلومات للجميع . لذلك فإن مراجعة هذا المفهوم ومناقشته من كل جوانبه بشكل مقدمة لتصور جديد للموظيفة التى يمكن أن تقوم بها الصحافة المطبوعة والإذاعة والتلفزيون .

أهمية الدراسة :

نتيجة للأسباب السابقة ، فإن دراسة مفهوم الموضوعية تكتسب أهمية كبيرة فى هذه الفترة ، ذلك أن تصور وظائف جديدة ومتميزة تقوم بها الصحافة المطبوعة ، والإذاعة والتلفزيون فى ظل ثورة المعلومات لابد أن يستند على جهد أكاديمى يتمثل فى النقد الشامل لمصادر قرن كامل من المفاهيم والنظريات والممارسات المهنية بحيث يشكل هذا النقد الأساس الذى تقوم عليه نظريات جديدة تقوم على أساسها علاقة جديدة بين الصحافة والجمهور والمجتمع . إننا يجب أن نواجه التحدى بشجاعة . . كيف يمكن أن نصنع مستقبلاً جديداً لصحافة يقوم على مفاهيم ونظريات جديدة تتناسب مع مشكلات القرن الحادى والعشرين ولدياته ، ويتناسب مع التحديات التى فرضتها التطورات التقنية والثقافية والسياسية والاقتصادية التى أصبح على وسائل الإعلام أن تواجهها لكى تعيش وتنمو وتتطور .

لذلك جاء اختيار مفهوم الموضوعية باعتباره أهم المفاهيم التي تطورت خلال القرن العشرين ، والتي شكلت الممارسات الصحفية ، بالرغم من إدراك صعوبة هذه الدراسة ، فكما يقول ميلر : إن الصحفيين الأمريكيين ظلوا لفترة طويلة يقشخرون بأنهم موضوعيون ، ويسعون لتقديم تغطية موضوعية للأحداث ، لذلك فإن أى لد لفكرة الموضوعية يعتبر شيئاً خطيراً بالنسبة للصحفيين الأمريكيين وللصحافة للأمريكية ، وإن الذين ينتقدون فكرة الموضوعية يواجهون نظرات عدائية فى كل الولايات المتحدة . (15) ومن المتوقع أن نظرات العداء هذه لن تواجه النقد الموجه لمفهوم الموضوعية فى الولايات المتحدة وحدها ولكن ستواجه هذا النقد حتى فى دول الجنوب بالرغم من أن هذا المفهوم قد استخدم ضدها كثيراً وأنها ستكون أول المستفيدين من نقده.

مشكلة الدراسة :

تتحدد مشكلة هذه الدراسة فى تعريف مفهوم الموضوعية ، ودراسة تطوره ، ونقد هذا المفهوم ، وبيان مدى إمكانية تطبيقه ، وإلى أى مدى تلتزم وسائل الإعلام الغربية بهذا المفهوم وتصور إمكانية بناء مفهوم جديد .

تساؤلات الدراسة :

- ١- ما تعريف مفهوم الموضوعية ، وما العناصر التى يقوم عليها هذا المفهوم ؟
- ٢- كيف نشأ مفهوم الموضوعية وكيف تطور ؟
- ٣- هل يوفر الواقع الإعلامى الدولى من ناحية والغربى من ناحية أخرى إمكانية لتطبيق المفهوم ؟
- ٤- ما تأثير مفهوم الموضوعية على عملية إنتاج الأخبار ؟
- ٥- ما مدى التزام وسائل الإعلام الغربية بهذا المفهوم ؟
- ٦- ما إمكانية بناء مفهوم بديل للموضوعية ؟

الدراسات السابقة :

بالرغم من أن مفهوم الموضوعية قد تعرض للكثير من الانتقادات في الغرب خلال فترة التسعينيات فإن هذا النقد قد طرح في الكثير من الكتب والمقالات ، والمناقشات والأكاديمية ، لكن ليس هناك دراسة علمية متكاملة وشاملة للمفهوم ، بالرغم من أن الإسهامات النقدية المتفرقة توفر إمكانية لهذه الدراسة .

وجاءت فقط دراسة واحدة تناولت نشأة مفهوم الموضوعية وهي دراسة منديتش (16)، وبالرغم من أن هذه الدراسة اهتمت بمحاولة الإجابة على سؤال : كيف نشأ مفهوم الموضوعية ، فإنها كانت جهداً بحثياً متميزاً كشف الكثير من الحقائق المهمة عن الظروف التاريخية التي تطور فيها المفهوم ، مع أن الباحث توقف عند عام ١٨٩٠ .

أما باللغة العربية فقد تناول عبد الفتاح عبد النبي مفهوم الموضوعية في كتابه سوسيولوجيا الخبر الصحفي (17) ، حيث تناول عبد الفتاح علاقة مفهوم الموضوعية بالتغطية الخبرية ، ويرى عبد الفتاح أن مفهوم الاعتدال عند ابن خلدون يقابل الحياد الموضوعية ، ويستدل على ذلك بنقل فقرتين من مقدمة ابن خلدون هما "إن النفس البشرية إذا كانت على حال من الاعتدال في قبول الخبر أعطته من التحصيل والنظر حتى تسبب كذبه من صدقه " ويضيف عبد الفتاح إن ابن خلدون يخلص إلى قانونه المعروف بقانون المطابقة الذي هو معيار قياس صدق أو كذب الأخبار التاريخية ، ويستدل على ذلك بنقل الفقرة التالية من ابن خلدون " وأما الأخبار عن الواقعات فلا بد من صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة ، وحينئذ يعرض (الصحفي) خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول ، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً وإلا زيفه واستغنى عنه (18) .

لكننا نختلف هنا مع عبد الفتاح إذ أن الموضوعية مفهوم غربي تماماً ، وهو لا يقابل مفاهيم الصحة والصدق ، والتشيع ، والاعتدال والمطابقة وغير ذلك من المفاهيم التي استخدمت في الحضارة الإسلامية ، وأن هذه الحضارة الإسلامية كان لها مفاهيمها

المستقلة السابقة على مفهوم الموضوعية والتميزة عنه ، وهو ما يحتاج إلى دراء أخرى.

وبالرغم من أن عبد الفتاح يتوصل إلى نتيجة أساسية هي " استحالة لقيام الموضوعية الكاملة في العمل الصحفي ، وأن التحريف المتعمد ، وغير المتعمد الذي يمكن أن تتعرض له المضامين الخبرية أمر وارد حتى في أعرق المؤسسات الإعلامية ادعاء بالديموقراطية والحرية. (19)

فإنه يرى أنه : إذا تخلى الصحفيون في المجتمع الناصي عن دورهم كمراقبين محايدين ، والتزموا بالدفاع عن قضايا التنمية والتحرير في مجتمعاتهم ، وسعوا من خلال الممارسة لتحقيق ما يعتقدون أنه الموقف الأصح الذي ينبغي أن يتحلى به الجمهور ، ومع المراقبة النشطة والإيجابية من جانب الجمهور ، فإنه يمكن الوصول إلى درجة مقبولة من الموضوعية التي تتطلبها حاجة الممارسة الصحفية في المجتمعات العربية ، وهي هنا تتطلب جدلاً فكرياً نقدياً متواصلاً بين الصحفي من جهة ، وبين المنتج الصحفي الذي يسعى دائماً إلى طرحه . ما مدى منطقية هذا المنتج وما مدى ارتباطه بالواقع أو تأثيره عليه ؟ والإجابة على هذين السؤالين هما - في رأي عبد الفتاح - أحد السبل إلى لقيق موضوعية أكثر مصداقية في العمل الصحفي ، وفي إطارهما فقط يمكن فهم الموضوعية. (20)

أى أن عيد الفتاح يريد في النهاية صياغة جديدة لمفهوم الموضوعية ، وليس التوصل إلى مفاهيم بديلة متميزة ومستقلة .. مع ذلك فإننا نرى أن جهد عبد الفتاح البحثي يمثل خطوة جيدة على طريقة دراسة هذا المفهوم ونقده . كما تناول محمد حسام الدين (21) مفهوم الموضوعية في رسالته للماجستير ، وقدم جهداً توصيفياً للمفهوم .

لذلك فإن هذه الدراسة التي نقدمها تنطلق من التراث العلمي السابق لتحاول تقديم توصيف أكثر عمقاً للمفهوم ، ورؤية نقدية له بهدف فتح الطريق أمام التوصل إلى مفهوم بديل .

نوع الدراسة :

تندرج هذه الدراسة ضمن إطار الدراسات الوصفية ، لكنها تتجاوز الوصف إلى محاولة تقديم رؤية نقدية ، كما أنها لأول أن تقدم رؤية تفسيرية لنشأة مفهوم الموضوعية وتطوره . .

منهجية الدراسة :

تستفيد الدراسة من العديد من المقاربات approaches ، لكن نظراً لصعوبة الموضوع فقد تم الاقتصار في هذه المرحلة البحثية من الدراسة على تصنيف الآراء المختلفة للأكاديميين والصحفيين الغربيين والتي جاءت في مصادر موثوق بها من أهمها الكتب والدراسات العلمية ، والمقالات التي تم الحصول عليها عن طريق الإنترنت ، والتي تناولت مفهوم الموضوعية سواء بالدفاع عن هذا المفهوم أو نقده ، وللبيل هذه الآراء لليلاً كيفياً . . من خلال النظر إلى تطور مفهوم الموضوعية في سياق التطور الثقافي والسياسي والاقتصادي الغربي خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبار أنها هي التي صك هذا المفهوم ، وقام بترويجه .

تقسيم الدراسة :

تم تقسيم هذه الدراسة على النحو التالي :-

المقدمة : وتتناول أهمية الدراسة ومشكلتها ومنهجيتها .

البحث الأول : تعريف مفهوم الموضوعية .

البحث الثاني : عناصر مفهوم الموضوعية .

البحث الثالث : نشأة مفهوم الموضوعية وتطوره .

البحث الرابع : إشكالية الموضوعية في الواقع الإعلامي .

البحث الخامس : الأيديولوجية الغربية لوسائل الإعلام .

الخاتمة : وتتضمن النتائج العامة للدراسة .

أولاً- مفهوم الموضوعية :

هل يمكن تعريف الموضوعية ؟ والإجابة هي كيف يمكن أن نفهم شيئاً دون أن نحدد ماهيته ، أو أن نعرفه .. لكن الأمر ليس بهذه البساطة . فالكثير من العلماء يعترفون بصعوبة التوصل إلى تعريف محدد لمفهوم الموضوعية حيث يرى ميريل : أنه " مفهوم شامض . (22) بينما يرى لجامسون أنه " مفهوم مراوغ ومحير Elusive " (23) ، ويصفه ميريل : بأنه مصطلح ملوئ بالتشويش الدلالي Semantic noise . (24)

أما ليو بوكاردى رئيس وكالة أنباء الأسوشيتد برس فإنه يصف الموضوعية بأنها مثل الإباحية أو الفحش obscenity من الصعب تعريفها ، ولكن الإنسان يعرفها عندما يراها ، والجمهور لديه الإحساس الذى يمكنه به أن يعرف متى نكون موضوعيين ، ومتى لا نكون . (25) وأنا لا أعرف لماذا اختار بوكاردى هذا التشبيه الغريب بالرغم من أنه يدافع عن مفهوم الموضوعية ، ويظل المعنى فى عقل بوكاردى .

كما يرى منديتش أن الموضوعية غير محددة ، ومن الصعب تعريفها ، ولم يتم حتى الآن استكشاف تاريخها وتطورها ، وإذا كنا لا نستطيع أن نفهم الموضوعية بشكل صحيح ، فإن ممارسة الموضوعية لا يمكن أن تتم بشكل صحيح (26) .

ولكن بالرغم من أنه ليس هناك اتفاق على تعريف محدد للموضوعية فإن الكثيرين من الصحفيين الأمريكيين يعتقدون أن مفهوم الموضوعية مرادف لمفهوم الأخلاقية objectivity equals ethicality

ومعنى هذا أن أخلاقيات الإعلام بكل مبادئها يختصرها الصحفيون الأمريكيون فى مفهوم الموضوعية ، وهذا الاختصار يوافق عليه كما أوضحه دراسة ميريل ٦٤٪ من الصحفيين الأمريكيين ، ويعلق ميريل على ذلك بأن القبول بهذا الفرض يعنى أن الصحفي الذى يكون موضوعياً يمكن أن يتناسى الكثير من القرارات الأخلاقية الإضافية (27) .

لكن المشكلة لا تكمن فى أنه ليس هناك تعريفات للموضوعية ، فالحقيقة أن

هناك الكثير من التعريفات ، ولكن المشكلة تكمن في الاختلافات بين هذه التعريفات ، وعدم وجود تعريف محدد متفق عليه . وقد يكون هذا الاختلاف شيئاً جيداً ، وظاهرة صحية . . . لكن ذلك يمكن أن يكون صحيحاً لو أن هذه الاختلافات نامة عن تعدد المناظير الثقافية التي يتم من خلالها تناول المشكلة ، وهو ما يمكن أن ينتج عنه مناقشة حرة تؤدي إلى الإبداع والتجديد ، ولويل المفهوم إلى أداة أخلاقية وثقافية تؤدي بدورها إلى تسين نوعية المنتج الإعلامي المقدم إلى الجماهير .

لكن الأمر ليس كذلك والاختلافات في تعريف الموضوعية لم تكن نتاجاً لتعدد المناظير الثقافية ، وتنوع الاجتهادات ، فهذه التعريفات تنبع كلها من الفلسفة الإعلامية الغربية ، أو بمعنى آخر الأيديولوجية الغربية لوسائل الإعلام ، وأن الاختلافات هذه نامة عن غموض المفهوم وما يحتوى عليه من تشويش دلالى ولكى نستطيع أن نستكشف ما هو المقصود بهذا المفهوم ونحدد عناصره ، فإننا سوف نستعرض هنا عدداً من هذه التعريفات ، بعد تصنيفها .

إن الاماء الأول في تعريف الموضوعية يركز على نفى الذاتية Subjectivity بمعنى أن يفهم الشيء بوضده ، فالموضوعية والذاتية مفهومان متضادان ونجد هذا الاماء عند :

(١) تيل وتيلور اللذين يعرفان يعرفا الموضوعية : بأنها منب أية عبارات أو معانى ذاتية أو متحيزة في الأخبار. (28)

(٢) بيلسى وشادويك اللذين يعرفانها بأنها تقديم الأشياء كما هي وأن يتناول التقرير الحقائق كما وقعت دون تعليق ذاتى. (29)

(٣) جرز الذي يرى أن المفهوم الفلسفى التقليدى للموضوعية يعنى أن معتقداتنا تكون صالحة بشكل موضوعى عندما يتم الموافقة عليها من منظور يفوق الخصوصيات والتحيزات الخاصة بمنظورنا الفردى ، ولذلك فإن الصحفي يجب أن يبذل كل جهده لكي يسجل الواقع كما هو. (30)

(٤) فيليب ماير الذي يرى : أن الموضوعية تعنى أن تكون الوسائل التى يتبعها الصحفي فى جمع الأخبار مشابهة لأساليب الملاحظة العلمية ، فالملاحظة العلمية هى التى تنتج المعرفة الموضوعية .

كما يضيف ماير تعريفاً آخر يطلق عليه تعريف مدرسة المطلق absolutist school هو : الوقوف بعيداً عن المجتمع لكى ترى الأحداث ووجهات النظر من مسافة كافية وأن تعطى وزناً متساوياً لكل وجهات النظر ، وأن تدع القارئ يقرر بنفسه أية وجهة نظر حقيقية . (31)

(٥) فرجسون وياتون اللذين يعرفان الموضوعية بأنها تعنى أن لا يسمح الصحفي لمشاعره الذاتية ، وما يحبه وما يكرهه بتلوين القصة الخبرية ، فالرأى مكانه المقالات وأعمدة الرأى . (32)

أما الاماء الثانى فى تعريف الموضوعية فإنه يقوم على نفى التحيز Bias إتباعاً أيضاً لقاعدة الأشياء تعرف بأضدادها . وفى هذا الاماء نجد :

١- كوهين واليوت اللذين يعرفان الموضوعية ، بأنها فلسفة إخبارية تهدف إلى حل مشكلة ليز الأخبار بتقديم الأحداث من مناهير إنسانية مختلفة وأن هدفها عرض الأخبار بطريقة حقيقية وغير متحيزة . (33)

٢- تافلنجر الذى يقول : يمكننا أن نتفق على أن الموضوعية هى عدم التحيز ، وأن تكون المعلومات مفهومة وأمينه وعادلة وخالية من أى تأثير غير مناسب ، بينما الذاتى هو ما يكون خاصاً بالشخص نفسه مثل التحيز الشخصى .

ويضيف تافلنجر إن الهدف المرغوب فيه بالنسبة للصحافة المعاصرة هو الموضوعية كعملية غير متحيزة ومتجردة لجمع الأخبار والمعلومات وتوزيعها . (34)

ولكن هناك أيضاً من يعرف الموضوعية بأنها عدم التحيز أو عدم الانتماء الحزبى بمعنى أن لا يدافع الصحفي عن موقف أو وجهة نظر فى أية قضية خلافية (35) ، ورغم

قلة عدد الذين عرفوا الموضوعية بشكل صريح بأنها عدم التحزب فإن هذا المعنى نجده في الكثير من التوصيات التي تقدم إلى الصحفيين لكي يكونوا موضوعيين ، من ذلك على سبيل المثال تيل وتيلور حيث يطالبان الصحفي بأن يتذكر دائماً أنه مراقب -ob server وليس مشاركاً participant في الحدث. (36)

كما أننا نجد أن هذا الفهم لفهوم الموضوعية يسيطر على الكثير من الصحفيين حيث يشرح ليونارد داوونى رئيس التحرير التنفيذى للواشنطن بوسغ أنه قرر أن يحس موضوعيته بالوسائل التالية :

أ- أنا لا أمارس حقى فى الانتخابات .

ب- باعتبارى صانع القرار الأخير فى التغطية الإخبارية فى الواشنطن بوسغ أرفض أن أقرر حتى بشكل شخصى أى من المرشحين يمكن أن يكون أحسن رئيس أو أحسن عضو فى مجلس المدينة ، أو أن أتخذ موقفاً فى أية قضية مثل الإجهاض أو فرض الضرائب ، أنا أريد أن يظل عقلى مفتوحاً لكل الأطراف ولكل الاحتمالات.

وبضيف داوونى أن هذا هو اختياره لكنه لا يفرضه على أولئك الذين يعملون معهم (37)

ومن الواضح أن التعريفات السابقة تقوم على نفى صفات معينة ، وقد لاحظ ذلك منديتش حيث يقول :إن تعريف الموضوعية يجعل من الصعب الدفاع عنها فهى كثيراً ما تعرف بأشياء سلبية مثل عدم التحيز - عدم التحزب أو الإلتزام الحزبى - عدم الإثارة . وهذا يعطى الانطباع بأن على الصحفي الموضوعى أن لا يفعل الكثير من الأشياء. (38).

ومن شأن ذلك أن يكرس عدم اهتمام الصحفي بما يغطيه من أحداث وما ينقله للجماهير من معلومات.. وأن يزيد من حالة سلبية الصحفيين .

ولكن من الواضح أن هناك من تنبهوا إلى ذلك خلال السنوات الأخيرة فبدأوا فى صياغة تعريفات تقوم على وضع التزامات معينة على الصحفيين ، أو قيامهم بأفعال معينة لكي يكونوا موضوعيين .

من أهم هؤلاء - روزين الذي يرى أن الموضوعية تعنى أشياء كثيرة في الصحافة من أهمها :

١- البحث عن الحقيقة .

٢- أن تكون التغطية الخبرية مبنية على تعدد الحقائق .

٣- منب التحيز .

٤- الفصل بين الخبر والرأي. (39)

كما يحدد ماكثير ثلاث سمات للصحافة الموضوعية هي :

١- الفصل بين الحقيقة والرأي .

٢- العرض المتوازن للمناقشة .

٣- صحة البيانات الصحفية وشرعيتها بإسنادها إلى مصادر موثوق بها .

ويشرح ماكثير ذلك بأن الصحفيين ليس من المتوقع أن يتجردوا من آرائهم ، ولا أن يمتنعوا عن التعبير عنها ، وغالباً ما يريد الجمهور معرفة آرائهم في شكل الافتتاحيات وأعمدة التعليق ، والمقالات الصحفية، لكن التمييز بين الحقيقة والرأي ، والمعلومات والتعليق والأخبار والتحليل لابد أن يكون واضحاً في السياق الصحفي ، ولذلك يتم التمييز في تركيب المؤسسة الإعلامية بين المخبرين الذين يقومون بنقل المعلومات ، والمعلقين على هذه المعلومات . كما أن المبادئ الليبرالية التعددية لهدف وسائل الإعلام في المساعدة على اكتشاف الحقيقة ، والمساعدة في حل المشكلات السياسية والاجتماعية بتقديم الآراء كأساس لاتخاذ القرارات ، وتنفيذ هذا الهدف يحتاج إلى التوازن في تقديم المواقف المتنافسة في القضايا المختلفة. (40)

كما يرى كريستين أما نيبور الصحفي بمحطة CNN أن الموضوعية تعنى أن تعطى لكل الأطراف فرصة لكي يسمع صوتها ، ولكن ذلك لا يعنى معاملة كل بشكل عادل، لذلك فإن الموضوعية يجب أن تقضى بدأ بيد مع الأخلاقية. (41)

ونجد هذا الاماء أيضاً عند مينشر الذى يرى أن على الصحفيين مسئولية هي أن يعطوا صوتاً لكل الجماعات في المجتمع ، وليس فقط لهؤلاء الذين يمتلكون السلطة ، وإن على الصحفي أن يكون ملتزماً بنظام قيسى ، لكنه لابد أن يكون متحرراً من الأيديولوجيات والالتزامات التي تضع قيوداً على الفكر. (42)

لكن من الواضح أن هذا الاماء في تعريف الموضوعية والذي يستخدم مفهوم الموضوعية لكي يدفع الصحفيين للقيام بأفعال معينة ، أو يضع عليهم التزامات معينة مازال ضعيفاً ، وإن كانت أهم الأفكار التي طرحها هذا الاماء هو الفصل بين مفهوم الموضوعية ومفهوم الأخلاقية ، بمعنى أن مفهوم الأخلاقية مفهوم أوسع وأشمل ، وأن التغطية الموضوعية لا تعنى بالضرورة أن تكون تغطية أخلاقية .

ومن الواضح أن هناك اختلافاً في فهم الموضوعية بين الصحفيين وعلماء الإعلام ، حيث يرى إجرز أن الصحفيين وعلماء الإعلام يتحدثون عن الموضوعية بمعنىين مختلفين المعنى الأول الذي يتبناه الصحفيون هو أن الحقائق التي ينقلها الصحفيون تكون مطابقة للواقع . أما المعنى الثاني الذي يتبناه علماء الإعلام فهو أن الموضوعية تشير إلى مجموعة من الإجراءات التي يستخدمها الصحفيون لكي ينتجوا حقائق توصف بأنها موضوعية . وأن هناك الكثير من الصحفيين الذين يمارسون الموضوعية الإجرائية Procedural objectivity بدون التزامات معرفية Epistemological Commitments (43)

ومفهوم الموضوعية الإجرائية هذا يتشابه مع مفهوم آخر وضعه عالم الاجتماع توتشمان هو مفهوم طقوس الموضوعية ، فهو يطلق على الموضوعية نفسها مفهوم الطقوس الإستراتيجية للاحتكار strategic ritual of manipulation ، ويعنى توتشمان بذلك إتباع سلسلة من الإجراءات الروتينية المصممة لحماية الصحفيين من اللوم أو اتخاذ إجراءات قانونية ضدهم ، وإن الصحفيين يجب أن يعتمدوا على الاقتباس من المصادر الرسمية ، بالإضافة إلى إجراءات أخرى تعتبر إشارة دفاعية defensive gesture لتجنب القضايا القانونية أو الإدانة المهنية ولذلك فإن وسائل

الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية تميل إلى اختيار خطاب السلطة لأنه أكثر مصداقية ويعتمد عليه بشكل أكبر. (44)

إلى هذا المعنى أيضاً يشير كوهين واليوت حيث أن السياق القانوني للموضوعية وضع بواسطة التعديل الأول للدستور الأمريكي First amendment فعبارة حرية الكلام فسرت بواسطة المحاكم الأمريكية على أنها حق ككل الحقوق ترد عليه بعض القيود فيما يتعلق بالقذف والسب. (45)

وهذا يعنى أن الموضوعية قد صممت أساساً ليستخدمها الصحفيون ، والمؤسسات الإعلامية للدفاع عن أنفسهم ، بمعنى أنهم مجرد ناقلين لمعلومات ، وبالتالي لا يتحملون المسؤولية عما ينشر أو يذاع .

لذلك فإن المعنى الإستميرلوجي أو المعرفي للموضوعية الذى يسمى إلى إنتاج نوعية من المعرفة لها مواصفات محددة يختلف عن المعنى الصحفى الذى تتبناه وسائل الإعلام والذي يتحدد فى مجموعة من الإجراءات والطقوس الإستراتيجية الدفاعية .

وفى ضوء ذلك يمكن أن نفهم النتيجة التى توصل لها جون ميريل ، حيث سأل ميريل ٥٠ من الصحفيين و ٥٠ من أساتذة الصحافة فى الجامعات هل يمكن لقيق الموضوعية ؟ . وكانت النتيجة أن كل الصحفيين لديهم اعتقاد بأن الصحافة الموضوعية ممكنة ، وأنه من الممكن لقيقها ، بينما نفى كل أساتذة الصحافة إمكانية وجود الصحافة الموضوعية. (46)

وهذا يعنى أننا أمام مشكلة فى فهم مفهوم الموضوعية ، وفى التوصل إلى تعريف منحد لها ، وأن مدخل تعريف المفهوم غير كاف ، ولا بد أن نحاول البحث عن مدخل آخر لفهم الموضوعية ، وهذا المدخل هو وصف عناصر هذا المفهوم .

ثانياً - عناصر مفهوم الموضوعية :

من خلال استقراء عدد كبير من المصادر يمكن لديد مكونات مفهوم الموضوعية أو عناصره فيما يلى :

(١) البحث عن الحقائق ونشرها : إن معظم الكتب الدراسية في مجال الإعلام بالإضافة إلى الدوريات العلمية تعطي أهمية كبيرة لهذا العنصر ، وهي تشرحه بمصطلحات تبدو متشابهة إلى حد كبير .

لكن من الواضح أن مفهوم الحقيقة يتطابق في معظم الكتابات مع مفهوم المعلومات . وهذا يحدد مهمة الصحفي في البحث عن المعلومات ونشرها ، وأن هذه المهمة التي يقوم بها الصحفي تساعد المواطنين على التوصل إلى قرارات عن العالم ، وما يحدث فيه .

يرى اجرز أن التركيز على المعلومات جاء نتيجة للفلسفة الأمريكية التقليدية التي تقوم على البراجماتية ، وعلى أعمال جون ديوى في مشكلات الحقيقة والاتصال والمجتمع . ولذلك نشأ نموذج التركيز على المعلومات The information centered model الذي تشبه الصحافة الموضوعية ، أو الذي تركز عليه فكرة الموضوعية ، ويرى اجرز أن هذا النموذج قد فشل ، فوسائل الإعلام لم تنجح في وظيفة نقل المعلومات كما تدافع عنها النظرية الليبرالية ، والتي تقوم على إعطاء المواطنين المعلومات التي يحتاجونها لكي يكونوا مواطنين فاعلين في مجتمع ديمقراطي يحكم نفسه بنفسه ، فنمو الصحافة الموضوعية قد صاحبه تدنى مشاركة المواطنين في الحياة العامة ، ليس ذلك فقط ، ولكن أيضاً توضع العديد من استطلاعات الرأي أن القليل جداً من المعلومات يتلقاها المواطنون ، وتبين استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة الأمريكية مستويات متدنية جداً من المعرفة الأساسية عن الأحداث العالمية ، وأن الاهتمام العام بالأحداث العالمية يتناقص ، وأن ملايين الأمريكيين لا يعرفون شيئاً عن لائحة الحقوق أو سلطات الرئيس التي يتضمنها الدستور ، أو ماذا يفعل الكونغرس أو النظام الحزبي في الولايات المتحدة أو كيف يعمل (47)

ولكن هل يعود ذلك إلى نقص المعلومات التي يتلقاها المواطنون سواء عن الأحداث العالمية أو الداخلية ؟ ! إن إثبات ذلك يتناقض تماماً مع كل معطيات ثورة

المعلومات الحديثة ، ومع العدد الهائل من الوسائل الإعلامية الموجود في الولايات المتحدة ؟ إذن هل يمكن التسليم بصحة ما يقوله اجرز ؟ إن هناك الكثير من الشواهد والأدلة على أن ما يقوله اجرز صحيح ، وأنه لا ينطبق فقط على المواطنين في الولايات المتحدة بل ينطبق على المواطنين في كل أنحاء العالم . . فما هو تفسير تدنى القدرات المعرفية للمواطنين في عصر ثورة المعلومات .

يفسر اجرز ذلك بأن عدم قدرة الأمريكيين على تسمية ممثلهم في الانتخابات ، أو انتخابه بشكل حقيقي ، وأحياناً عدم معرفة اسمه بعد نجاحه لا يعود إلى فشل وسائل الإعلام الأمريكية في تغطية أنشطة الكونغرس بقدر ما يعود إلى أن مستهلكي الأخبار لا يتلقون الأخبار السياسية أو يعرضون عن تلقيها لأنهم لا يعتقدون أن لهم دوراً له معنى في العملية السياسية . (48)

ويدعم اجرز تفسيره السابق بما يقوله لاش : إن ما نتاجه الديمقراطية ليس المعلومات ، ولكن المناقشة العامة ، بالطبع فإنها لتاج المعلومات أيضاً لكن هذه المعلومات لتاج إلى أن تفسر بواسطة المناقشة العامة . نحن لا نعرف ما نريد أن نعرف إلا عندما نسأل الأسئلة الصحيحة ، ولا نستطيع أن نسأل الأسئلة الصحيحة إلا عندما نضع أفكارنا عن العالم في سياق المناقشة العامة . (49)

إن تدنى قدرات الإنسان المعرفية في هذا العصر كان نتيجة مباشرة لنموذج التركيز على المعلومات . لماذا ؟ .. لكي نحيب على هذا السؤال لابد من الإجابة على سؤال آخر ما نوعية المعلومات التي تقدم إلى الجمهور عبر وسائل الإعلام ؟ ، ومن أي المصادر يتم الحصول عليها ؟

إن حق الجماهير في المعرفة يجب أن لا يقتصر النظر إليه على أساس كمية المعلومات التي يمكن أن تصل إلى الجمهور ، ولكن يجب أن يمتد إلى نوعية هذه المعلومات ، ذلك أن الجمهور بالفعل يحصل في هذا العصر على كمية ضخمة جداً من المعلومات تزيد كثيراً عما كان يحصل عليه الإنسان طوال تاريخه على الأرض لكن هذه المعلومات رغم كميتها الوفيرة فإنها تتسم بما يلي :

أ - إنها لا تزيد قدرات الإنسان الإبداعية والنقدية والتحليلية ، ذلك أن أغلبها يدخل في إطار التسلية والترفيه . . . إننا لا نحصل إلا على تسلية معلوماتية Info-tainment فقد أوضح دراسة قام بها جمعية الصحفيين المهتمين Com-mittee of Concerned Journalists لنوعية الأخبار التي تقدم إلى الجمهور الأمريكي في شبكات التلفزيون الرئيسية ، ومن صحف نيويورك تايمز ولوس أنجلوس تايمز ، ومجلة تايم ونيوزويك ، وقد أوضح هذه الدراسة تزايد اهتمام وسائل الإعلام بأخبار الاهتمامات الإنسانية والجرائم والقضايا والشهرة والأخبار التي تتجه إلى التسلية ، وتناقص عدد الأخبار التي تتناول الشؤون الخارجية ، والأخبار السياسية ، والتعليم ، والرفاهية الاجتماعية . كما أوضح الدراسة أن وسائل الإعلام قد أمهت إلى التركيز على الموضوعات المثيرة . وزيادة الاهتمام بأخبار العلاقات الجنسية حيث تضاعف هذه النوعية من الأخبار خلال الفترة من ١٩٧٧ حتى عام ١٩٩٧ من خبر واحد كل ستة أخبار إلى خبر واحد في كل ثلاثة أخبار أي بنسبة تصل إلى أكثر من ٣٠٪ .

كما وصل نسبة أخبار الجريمة في شبكات التلفزيون الأمريكية إلى ٢٣٪ من مجمل أخبارها ، وزادت نسبة أخبار الفضائح في شبكات التلفزيون إلى ٦٥٪ عام ١٩٩٧ ، وزادت نسبة أخبار الكوارث بنسبة ٩٠.٨٪ في الوقت الذي تناقص فيه نسبة الاهتمام بالشؤون الخارجية في الفترة من ١٩٧٧ حتى عام ١٩٩٧ بنسبة ٢٥٪ وقاله اللجنة أن هذا يعني أن وسائل الإعلام تتجه أكثر فأكثر في طريق التسلية (50)

وهذا يؤكد صحة ما يقوله أجزء: إن هناك لولا مهما في صناعة الصحافة ووسائل الإعلام هو التحول من الأخبار أو المعلومات عن الأحداث والقضايا التي تهتم القراء كمواطنين وأعضاء في المجتمع إلى المعلومات التي تهتم القراء كمستهلكين وأفراد . . . إن هذا لا يعني إعطاء الجمهور ما يريد ، بل إعطاء القراء ما يريد المعلنون . . . وخلال هذه العملية تختفى روح الصحافة فكلما كان وسائل الإعلام تخاطب الجمهور كزبائن أو مستهلكين لهم مصالح خاصة ، وليس كمواطنين يتقاسمون مصالح حيوية في الحياة العامة فإن ذلك يؤدي إلى التقليل من دور الصحافة كممارسة عامة .

كما أنه عندما تتخذ القرارات التحريرية الخاصة بنشر المضمون بناءً على معدلات التوزيع أو المشاهدة أو الحاجة إلى بيع المزيد من النسخ ، أو للحصول على المزيد من الإعلانات فإن المنتج النهائي لا يعتبر صحافة ، وهذا التطور يمكن رؤيته أيضاً بوضوح في البرامج التلفزيونية الإخبارية في الولايات المتحدة ومن هنا لم تعد القضية هي هل ما يقدمونه ما زال من الممكن أن يطلق عليه "صحافة أخلاقية" ، ولكن هل ما يقدمونه ما زال من الممكن أن يطلق عليه "صحافة" .. "وحتى مدراء محطات التلفزيون أنفسهم أصبحوا الآن يجيبون على هذا السؤال بالنفي .. إن أخبار التلفزيون قد أصبحت - كما يقول مدراء التلفزيون أنفسهم - ترفيهية - Entertainment وليس صحافة (51).

ب - إن نموذج التركيز على المعلومات الذي نشأ كنتيجة للفلسفة الإعلامية الغربية ، والترويج لمفهوم الموضوعية أدى بالفعل إلى تزايد المعلومات Overload in- formation ، لكن ذلك أدى إلى تضيق اهتمامات الفرد ، وإلى أن يتشرب الفرد داخل حالة من التخصص ، وأن يهتم فقط باحتياجاته وحقوقه على حساب المجتمع الذي يعيش فيه ، وكان أول من لاحظ ذلك جورجن هيرمانس في ألمانيا وروبرت بيل في الولايات المتحدة .. لكن تزايد في السنوات الأخيرة اهتمام علماء الاجتماع بهذه الظاهرة مثل أماتى أيتزوني ، وعلماء السياسة مثل روبرت بونتام وفوكوياما .. فقد رأى هؤلاء العلماء أن النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تتعرض للخطر بسبب تزايد الفردية الراديكالية غير المفيدة ، وعدم الإحساس بالمجتمع .. على سبيل المثال يطالب أيتزوني في كتابه روح المجتمع بالمحافظة على القيم الليبرالية حيث أن زيادة التركيز على إحدى القيم الليبرالية وهي الفردية ، أصبحت تهدد بقية القيم الليبرالية (52).

ج - إن معظم المعلومات التي تقدم إلى الجمهور من الصعب تفسيرها لأن الصحفيين لا يهتمون بخلفية الأحداث ، وإذا كانت مسئولية الصحفيين هي خدمة الجمهور بتوفير المعلومات التي تمكن القراء والمشاهدين من تكوين الآراء واتخاذ

القرارات في مختلف القضايا ، فإن الصحفي لابد أن يفسر الأخبار فليس كافياً أن تقدم قصة إخبارية كمجموعة من الحقائق والافتباسات بدون معنى .. إن القضية ليست هي توفير المعلومات ، ولكن القضية هي الالتزام بتوفير معلومات لها معنى - mean- ingful information (53).

ومن المؤكد أن مفهوم الموضوعية يشكل عقبة في طريق التزام الصحفي بتفسير المعلومات للقراء أو تقديمها بشكل له معنى .

٢) مصادر الأخبار : لكي نستطيع أن نتعرف على حدود ومفهوم الموضوعية، وتأثيره على الإنتاج الذي تقدمه وسائل الإعلام للجمهور فإننا لابد أن نطرح سؤالاً هو ما نوعية المصادر التي يعتمد عليها الصحفيون في الحصول على المعلومات ؟ ماذا تريد هذه المصادر من الصحفيين ؟ وإلى أي مدى تستغل المصادر مفهوم الموضوعية ؟

لقد أدى مفهوم الموضوعية إلى الاعتماد المكثف على نوعية معينة من المصادر هي:

أ- المصادر الرسمية : إن الصحفي يسعى دائماً لكي يبدو موضوعياً إلى البحث عن المعلومات عند المصادر التي يرى أنها موثوق بها ، ولكن كيف يمكن للصحفي أن يعرف أن هذا المصدر موثوق به أم لا ؟ . إن هذا يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة للصحفيين ، فضغط الوقت المفروضة على عملية الإنتاج لا تسمح للصحفي بالبحث عن مدى مصداقية المصدر . (54) ولذلك فإنه عادة ما يفضل الاعتماد على المصادر الرسمية ، والافتباس من هذه المصادر دون أن يدرك كيف أن هذه المعلومات يتم تشكيلها والتلاعب بها لتحقيق تأثيرات معينة تريدها السلطات ؟ . وكيف يتم إدارة الأحداث بواسطة هذه المعلومات السلطوية التي يعتمد عليها الصحفيون بشكل مكثف ، بينما لا تعطى هذه المعلومات سوى المنظر الحكومي للحدث . (55)

ونتيجة لذلك فإن وسائل الإعلام الأمريكية تعتمد بشكل مكثف على المصادر

الرسمية مثل البيت الأبيض - والبنساجون ووزارة الخارجية فهي تشكل المراكز

الأساسية للنشاط الإخباري ، وهذه المراكز الحكومية تعرف كيف تتعامل مع الصحفيين ، فهي تقوم بتسهيل عملهم في جمع المعلومات وتقديم لهم الكثير من التسهيلات في عملهم . فتقدم لهم نسخاً مطبوعة من الخطابات قبل إلقائها ، وجداول الأحداث والمؤتمرات الصحفية .. الخ ، وذلك بفرض بث المعلومات التي تريد السلطة توصيلها إلى الجمهور .. وهكذا فإن الأجهزة البيروقراطية الكبرى والنخبة السلطوية تدعم وتساعد وسائل الإعلام بتقليل النفقات التي تنفقها هذه الوسائل على عملية جمع المعلومات وإنتاج الأخبار . (56)

وغالباً ما تقوم المؤسسات الحكومية بإنتاج الأخبار بطريقة صحفية جيدة بحيث لا يبذل الصحفي جهداً في إعادة صياغتها ، لذلك يرى اجوز إن الأغلبية العظمى من الأخبار يتم إنتاجها ونشرها بواسطة مؤسسات بيروقراطية ، وكثيراً ما يعتقد الصحفي أن الدقة تعني النقل الصحيح لما جاء في تقارير المؤسسات الحكومية بينما تكون المعلومات الواردة في تقارير هذه المؤسسات غير حقيقية وغير واقعية ، وبالتالي غير دقيقة. (57)

ولقد عرّف المؤسسات الحكومية في الولايات المتحدة وخبراء العلاقات العامة في هذه المؤسسات ، كيف تلعب على تعطش الصحفيين للمعلومات ، وبالتالي كيف يمكن إن تتلاعب هذه المؤسسات بتغطية الأحداث ، وأن تشكل هذه التغطية طبقاً لأهدافها . (58)

وعلى ذلك فإن وسائل الإعلام تتنافس على الحصول على المعلومات من المصادر الرسمية ، في الوقت الذي تقوم فيه هذه المصادر بعملية إنتاج المعلومات ، وتشكيلها ، ونقلها إلى الجمهور عن طريق الصحفيين . ويمكننا أن ندرك مدى اعتماد الوسائل الإعلامية على المصادر الرسمية إذا علمنا أن هناك عشرة آلاف مراسل لوسائل الإعلام في العاصمة واشتطون يتنافسون على تنمية علاقاتهم بمصادر داخل البيت الأبيض ، وهو الأمر الذي دفع مجموعة ليل وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية The media analysis group إلى القول إن الحكومة الأمريكية لا تتدخل في شئون

الصحافة لكن هل وسائل الإعلام الأمريكية مستقلة ؟ .. إن الخطر هو أن وسائل الإعلام تقوم برضاها بنقل وجهة النظر الرسمية للحكومة الأمريكية في الشئون الداخلية والخارجية .

وتستند مجموعة لليل وسائل الإعلام في التأكيد على رؤيتها هذه على مجموعة من الدراسات من أهمها دراسة أجريه على ٢٨٥٠ قصة خبرية من النيويورك تايمز والواشنطن بوست ، وأوضحه هذه الدراسة أن ٧٨ % من هذه القصص ينبغي على أساس بيانات صادرة عن الحكومة الأمريكية أو مؤسساتها ، وأنها اعتمدت على الموظفين العامين كمصادر للمعلومات .

بينما أوضحه دراسة أخرى على مجلتى تايم ونيوزويك أن ٢٠ % من مساحة المجلتين قد ركزت على الرئيس الأمريكى وحده .

كما أوضحه دراسة أخرى عن تغطية محطات التلفزيون الأمريكية لشئون الخارجية أن هناك غياباً عاماً للآراء التى لا تتماشى مع تلك التى لبزها الولايات المتحدة الأمريكية ، أو تلك التى تشنهاها النخبة التى تدير السياسة الخارجية الأمريكية .

وترتيباً على ذلك قاله مجموعة لليل وسائل الإعلام إن الموضوعية تعنى تغطية الشئون الخارجية من وجهة نظر الشركات متعددة الجنسية التى تسيطر على وسائل الإعلام الأمريكية والبنجاجون والبيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية ، ونادراً ما يسأل الصحفيون الأمريكيون عن مشروعية التدخل العسكرى الأمريكى .

ب- النخبة السياسية والاقتصادية والثقافية : يرى ماكنير إن النخب دائماً هى المصادر المفضلة للصحفيين .. كما أن تقييم الصحفيين للمصادر ومدى صلاحيتها للاعتماد عليها يؤدى إلى استبعاد الكثير من الأصوات التى تملك ما تقوله فى القصة أو الحدث . كما أن الصحفيين عادة ما يطرحون افتراضات ثقافية حول مصداقية المصادر ، وهذه الافتراضات تعكس وجهة نظر النخبة فى المجتمع ، أى أن عملية تقييم المصادر يتم على أساس نخبوى .

على سبيل المثال في قضية مثل معدلات الفائدة والتضخم سنجد أن الصحفيين يعتمدون على المحللين الاقتصاديين الذين يعملون لحساب الشركات التجارية ، ومع أن هذه المصادر لديها المعلومات فإنها ليسف مصادر محايدة أو غير مهتمة .

لذلك فإن الموضوعية - كم يرى إنتمان - تسهل عملية التلاعب بالأخبار وتصنيعها ولريفها .. حيث أنه عن طريق معرفة أحكام الموضوعية ، وطبيعة عملية الأخبار وأساليبها ، تركز النخب على مواردها بحيث تستفيد إلى أقصى حد من التغطيةخبارية .. وهكذا فإن الموضوعية تضمن للنخبة الوصول إلى الجماهير من خلال الأخبار ، وعرض وجهات نظرها حيث إنها تعنى أن الصحفيين لايد أن يعتمدوا على المصادر النخبوية الموثوق بها في أية قضية محل جدل أو نقاش. (60)

يضاف إلى ذلك أن الصحفيين لا يعتمدون على الجمهور كمصادر للأخبار ذلك أن أفراد الجمهور كثيراً ما يفتقدون القدرة على إعطاء المعلومات للصحفيين أو التعامل معهم .

ج- المصادر المجهلة : إن هناك التزاماً أساسياً على الصحفي هو نقل الحقائق منسوبة إلى مصادرها ، لكن كثيراً ما يضطر الصحفي إلى الاعتماد على مصادر تطلب عدم الكشف عن أسمائها . وهناك الكثير من المصادر التي تمتلك معلومات مهمة للجمهور ، لكنها لحرص على عدم الكشف عن أسمائها خوفاً من التعرض للعقوبات . ومن حق الصحفي أن لا يكشف عن اسم المصدر ، فهذا مبدأ يأتي في صالح تدفق المعلومات إلى الجمهور ، وقيام وسائل الإعلام بوظيفتها في الوفاء بحق الجماهير في المعرفة . وهناك الكثير من الحالات يصبح فيها من الضروري أن يحافظ الصحفي على سرية مصادر الأخبار ، وأن يضمن هذه السرية للحصول على معلومات مهمة . لكن وسائل الإعلام أساءت استخدام هذا المبدأ ، ونتيجة للكثير من الأحداث أصبح الجمهور يعتقد أن المصادر المجهلة التي تم الاقتباس منها هم الصحفيون أنفسهم (أي أنهم قاموا بفكرة هذه الاقتباسات) ومن يستطيع أن يلوم القراء على هذا التفكير؟ (61)

ولقد شهدت الصحافة الأمريكية الكثير من الحالات التي اختفى فيها الصحفيون خلف المصادر المجهلة وقاموا بفبركة القصص ، وقد تزايدت هذه الممارسة خاصة في تغطية أخبار الجريمة والجنس ، فقد قامت جمعية الصحفيين المهتمين بدراسة عن تغطية وسائل الإعلام الأمريكية لقضية كلينتون - مونیکا ، وجاء في هذه الدراسة أن وسائل الإعلام الأمريكية اعتمدت على مصادر مجهلة بنسبة ٥٩ ٪ ، وأن تغطية وسائل الإعلام لهذه القضية لم تتضمن حقائق ، وكان الصحفيون الأمريكيون مهتمين بشكل كبير بالتفاصيل ذات الطابع الجنسي والتي تشكل ما أطلق عليه الجنس السفوى ، وهذا يشير إلى نوعية الثقافة التي أصبحت وسائل الإعلام الأمريكية تقدمها للجمهور . لذلك تزايدت حدة الانتقادات في السنوات الأخيرة لاعتماد وسائل الإعلام على المصادر المجهلة .. وأصبح هذا الاعتماد يؤثر على مصداقية وسائل الإعلام وثقة الجمهور بها . ويرى هاتلنج أن عملية الاعتماد على المصادر المجهلة تقع في المنطقة الرسادية بين نظرية التفسير والكذب الصريح ، فمن السهل جداً أن يسقط المرء في الإغراء بإمكان خداع القارئ بمثل هذه المعلومات .. فالتصريحات المنسوبة إلى مصادر مجهولة يمكن إعدادها بطريقة تجعلها أكثر إثارة وإمتاعاً ، وكذلك يمكن فبركتها من البداية إلى النهاية بحيث تناسب موقفاً إخبارياً معيناً . (63) لذلك فإن الاعتماد على مصادر تطلب عدم الكشف عن أسمائها لابد أن يكون الاستثناء وليس القاعدة ، فمن حق الجمهور معرفة المصدر حتى يستطيع تقييم المعلومات

وهكذا فإنه حتى لو أراد الصحفيون أن يكونوا موضوعيين ، وكافحوا من أجل ذلك ، فإن المصادر التي يعتمدون عليها ، لا يمكن أن تكون موضوعية ، بل إنها تسعى دائماً إلى استغلال الصحفيين لتحقيق أهداف ومصالح معينة ، وتوصيل معلومات معينة إلى الجمهور ، كما أنه من الصعب جداً على الصحفيين التأكد من صدق المصادر ، وقدرات هذه المصادر على الإخبار بالحقبة . يضاف إلى ذلك أن مفهوم الموضوعية نفسه قد أدى إلى اعتماد الصحفيين بشكل مكثف على المصادر الرسمية ،

وهذا يؤدي إلى التركيز على وجهة النظر الرسمية ، والتبرير المستمر للأعمال التي تقوم بها الحكومة وأجهزتها .

٣- الفصل بين الخبر والرأي : يعتبر الفصل بين الخبر والرأي من أهم مكونات مفهوم الموضوعية أو عناصر هذا المفهوم ومعظم الموائيق الأخلاقية تؤكد على ضرورة الفصل التام بين الحقائق والآراء .

ومن الواضح أن هناك تأكيد على هذا العنصر في معظم الأدبيات التي تناولت مفهوم الموضوعية .

على سبيل المثال يرى فيليب سيب : أن الخبر لابد أن يعتمد فقط على الحقائق ، ولابد أن يكون الفصل واضحاً بين الخبر والرأي ، وأنه في الصحافة المطبوعة لا يبدو هذا الأمر صعباً ذلك أن هناك صفحات مخصصة للأخبار وأخرى مخصصة للرأي ، ومعظم القراء يعرفون هذه الصفحات ويستطيعون تمييزها .

وفي التلفزيون أيضاً فإن التمييز بين الخبر والرأي ليس صعباً حيث يمكن وضع إشارة على شاشة التلفزيون توضح أن هذا رأي .

ويضيف سيب أنه عندما تنهار الحدود التي تفصل بين الخبر والرأي يتزايد الاتهام بالتحيز .. وهناك احتمالات كبيرة أن يكون هذا الاتهام صحيحاً .

ولعل هذا العنصر من عناصر الموضوعية هو أكثر العناصر التي حظيت بقدر من الاتفاق حولها ، وعدم توجيه أي انتقادات إليه ، لكن في الفترة الأخيرة ظهرت بعض الانتقادات التي وجهت إلى هذا المبدأ وقامت الانتقادات على أن الموضوعية قد أدت إلى ما أطلق عليه روزن حمى الفصل separation fever ، حيث شكل الصحفيون قائمة طويلة من عمليات الفصل التي توجه اتجاهاتها وأفكارنا وردود أفعالنا ، وتم التركيز على الفصل بين الخبر والرأي ، والفصل بين الحقائق والقيم والفصل بين الواقع والخطاب . كما أن الصحافة لابد أن تكون منفصلة عن المؤسسات الأخرى لأن من واجبها

أن تقوم بتغطية أنشطة هذه المؤسسات والكتابة عنها . وأن على الصحفيين أن يفصلوا بين عملية الإخبار بالحقيقة وتوصيلها إلى الجمهور من ناحية والنتائج التي تترتب على عملية الإخبار بالحقيقة من ناحية أخرى فهم ينقلون الحقيقة كما هي .. وصناع الأخبار لابد أن يكونوا منفصلين عن الصحفيين الذين يقومون بتغطيتها .. باختصار - يقول روزن - إن عقل الصحفي يكون منفصلاً عن روحه . (65)

ويضيف ميريت إن عمليات الفصل هذه حاسمة لأنها تشكل الأساس لانفصالنا عن السلطة ، وإذا حافظنا على عمليات الفصل هذه فمن المؤكد أن المنتج الذي نقدمه سيكون نقياً وستأكد موضوعيته ، ولذلك تكسب مصداقيتنا . ولكن عمليات الفصل هذه جرت في درجات حرارة مختلفة ، فبعض الصحفيين لكي يحافظوا على وجود مساحة تفصل بينهم وبين السياسة والسلطة فإنهم لا يسجلون أنفسهم في الانتخابات ولا يصوتون فيها ، وبعض المؤسسات الصحفية تحظر على الصحفيين فيها الانخراط أو الاشتراك في أية أنشطة كمواطنين ، وبعضها تحظر المشاركة في أية أنشطة يكتبون عنها أو يكتب عنها صحفيون آخرون في الصحيفة .

لكن عملية الفصل بين الصحفي وصفته كمواطن تجعلنا نضع علامة استفهام كيف لهذا الصحفي المنعزل عن الأنشطة المجتمعية أن يعلمنا أو أن يعطينا إعلاماً صحيحاً ؟ كما أن هذا الانفصال يمكن أن يقود إلى نوع من العمى عن أهمية الكثير من الأشياء ، وإلى عدم الكفاءة في فهم البيئة والشعب ، كما يؤدي إلى الانفصال بين الصحفيين والمواطنين الذين يرون الأمور تمضي في غير الطريق الذي يصوره الصحفيون . (66)

وهناك أيضاً جوانب أخرى لنقد هذا العنصر يمكن أن نضيفها هي :

أ- إن معظم الصحفيين العاملين في المؤسسات الإعلامية هم مخبرون يقومون بتغطية الأخبار ، وهم لا يحتاج لهم التعبير عن آرائهم في الوسائل الإعلامية التي يعملون بها ، ذلك أن الاقتراحات والأعمدة والمقالات عادة ما يكتبها الصحفيون الذين

يحتلون مكانة مهمة في الهيئة التحريرية ، أى أن الكبار وحدهم هم الذين تتاح لهم الفرصة في التعبير عن آرائهم ، بينما تحرم أغلبية الصحفيين من عرض أفكارها وآرائها . وفى الكثير من الأحيان تكون آراء الصحفيين الذين قاموا بتغطية الأحداث أكثر أهمية وتشويقاً للجمهور .

ب- إن هذا المبدأ يكرس سلبية الصحفيين ، وشمورهم بأنهم مجرد ناقلين لمعلومات .. بينما هم يمتلكون ما يضيفونه إلى هذه المعلومات من شرح وتفسير ومشاهدات ، وأن ما شاهدوه خلال تغطيتهم للأحداث والذي يمكن أن يشير فيهم مشاعر إنسانية يعطى للمعلومات التي ينقلونها قدراً أكبر من التشويق والجاذبية والجمهور يحتاج إلى ذلك .

ج - إن هذا المبدأ هو نتيجة مباشرة لنموذج التركيز على المعلومات الذي أنتجته الفلسفة الإعلامية الغربية . لكن تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة يفرض على الصحافة أن تبحث عن وسائل جديدة لكي تستطيع أن تقدم للجمهور منتجاً متميزاً عما تقدمه الوسائل الاتصالية الجديدة مثل الإنترنت .. ولذلك فإن الصحافة لابد أن تتجه إلى التغطية الشاملة المتكاملة للأحداث ، ولكي تقوم الصحافة بذلك لابد من تدريب صحفييها على أن يعيشوا الحدث ، وأن يكونوا أكثر ، جرأة وشجاعة في تصويره من جميع جوانبه .

د - حتى لو سلمنا جدلاً بأهمية هذا المبدأ ، وضرورة التأكيد عليه في وسائل الإعلام ، فهل يمكن لهذا المبدأ أن يتحقق في الممارسة العملية .. إن الصحفي يقوم بإصدار أحكام على أهمية الأحداث التي يقوم بتغطيتها وعلى المعلومات التي ينقلها ، وعلى الأسلوب الذي يقدم به هذه المعلومات للجمهور وما هي المعلومات التي يقدمها ، وتلك التي يحذفها .. وهكذا ، وهذه الأحكام هي بالضرورة تعبير عن رأى الصحفي .

هـ) الحياد وعدم التحيز : يحتل هذا العنصر أهمية كبيرة في الأدبيات التي تناولت مفهوم الموضوعية حتى أن البعض يختزل مفهوم الموضوعية في عدم التحيز .

ويرتبط مفهوم عدم التحيز بمفهوم الحياد ، وكثيراً ما يتم تعريف أحدهما بواسطة المفهوم الآخر على سبيل المثال فإن شك يعرف الحياد بأن التغطية لا بد أن تكون خالية من التحيز الأيديولوجي (67) ، كما أن لجنة الصحفيين المهتمين قد عقدت سلسلة من السيمانارات بعنوان هل يمكن أن تكون الصحافة محايدة ، وقد توصلت هذه السيمانارات إلى أن أساس الموضوعية هو التحرر من التحيز. (68)

وقد جاء في إعلان المبادئ التي أصدرتها الجمعية الأمريكية لرؤساء تحرير الصحف إنه لا بد من بذل كل جهد ممكن للتأكد من أن مضمون الأخبار دقيقاً وخالياً من التحيز ، وأن كل الأطراف تقدم بشكل عادل .

وتعليقاً على ما جاء في هذا الإعلان يقول كوهين واليون : إن التحيز في الأنباء يؤثر على الوظيفة الرئيسية للصحافة ، وهي توفير حق الجمهور في المعرفة ، ولذلك فإن على الصحفيين مسئولية مهنية في تجنب التحيز. (69)

ولكن ما التحيز ؟ وما الحياد ؟ هناك الكثير من التعريفات للتحيز ، لكننا هنا لن نشمكن من عرض هذه التعريفات نظراً لطبيعة هذه الدراسة التي تتناول مفهوم الموضوعية ، وليس مفهوم التحيز . لذلك سنكتفي هنا بعرض تعريف واحد للتحيز هو تعريف ماكويل الذي يعرف التحيز بأنه الميل إلى تفضيل أحد جانبي الصراع. (70)

كما أن هناك الكثير جداً من الدراسات التي رصدت أشكال التحيز في تغطية وسائل الإعلام الغربية للأحداث ، فقد شرح ميسل على سبيل المثال ستة أشكال من التحيز في التغطية الخبرية من أهمها التحيز في إصدار الأحكام ، والتحيز في استخدام الصفات ، والتحيز في الإسناد ، وحتى التحيز في التصوير الفوتوغرافي (71).

لذلك يقول موريس أرنست : إن القضية ليست ما إذا كانت الأخبار متحيزة ، ولكن تحيزات - من تلك التي تلون الأخبار؟ (72) ، وهناك اتهام واسع من الجمهور الأمريكي للصحافة الأمريكية بأنها متحيزة ، فأنت تستطيع أن تسمع شكوى دائمة في الولايات المتحدة الأمريكية تقول : أنتم الصحفيون دائماً متحيزون ، ويرفض الصحفيون هذا الاتهام ، مع ذلك فإنه صحيح إلى حد كبير ، وتشبته الكثير من الدراسات التي

تناولت تغطية الصحافة الأمريكية للكثير من الأحداث الداخلية والخارجية . ويرتبط أيضاً بمفهوم عدم التحيز مفهوم الحياد والذي يصفه إجرز بأنه خرافة حيث يدعى الصحفيون : نحن لا نصنع الأخبار نحن نغطيها ونقلها إلى الجمهور فقط . . وهذا يؤدي بشكل واضح إلى إنكار المسئولية : حيث يردد الصحفيون مقولة : لا تلمنا نحن فقط ناقلو أخبار . . نحن فقط نؤدي واجبنا . (74)

كما أن الصحفيين في الولايات المتحدة يعتقدون - كما يعبر عن ذلك رئيس وكالة أسوشيتدبرس أن مصداقية الصحافة تعتمد على تقوية التزامها بالحياد (75)، لكن نائب رئيس جمعية الصحفيين المهتمين توم روزنستيل يرد على ذلك بأن الحياد ليس ممكناً حتى من الناحية الفلسفية ، ومع ذلك فإنه يبدو بالنسبة للصحفيين هدفاً (76) .

وإذا كان الحياد مستحيلاً من الناحية الفلسفية كما يقول روزنستيل فإنه من الناحية التطبيقية ، وعندما يقوم الصحفيون بتغطية الأخبار أو كتابتها أكثر استحالة، فالأحكام التي يصدرها الصحفيون على الأخبار ، وأساليب كتابتها ، وحتى اللغة التي تكتب بها الأخبار ليست محايدة . وعلى سبيل المثال فإن استخدام المفردات اللغوية كثيراً ما يشكل بوعى أو بدون وعى انحيازاً لوجهة نظر معينة أو لشخص معين ، انحيازاً للجماعة أو دولة أو ضدها .

إن اللغة تحمل الكثير من الإيحاءات والظلال ، وكثيراً ما يؤدي استخدام مفردات معينة إلى إصدار أحكام بالإدانة على المواقف والأشخاص والجماعات والدول ، أو بحمل وجهة نظر بالتأييد أو الرفض .

ولذلك فإن فكرة الحياد وعدم التحيز قد تكون وسيلة لإخفاء الوسائل الإعلامية لتحيزاتها ، فبدلاً من أن تعلن هذه الوسائل انحيازها لوجهات نظر أو سياسات معينة فإنها تحاول أن تخفي هذه التحيزات خلف صورة الصحفي كمراقب محايد للأحداث ، وغير مهتم بها ، ومنفصل عنها وينقل المعلومات بحياد وعدم تحيز ، وهو نوع من

التفاق ، بينما يدرك الجمهور حقيقة تحيز الوسائل الإعلامية وعدم حيادها في الكثير من القضايا ، وعلى سبيل المثال فقد أوضح استطلاع للرأى أجرى في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٧ أن ثلثي القراء يعتقدون أن الصحافة تفضل جانباً معيناً عند مناقشة القضايا الاجتماعية والسياسية على حساب الجوانب الأخرى . (77)

لذلك يرى اجرز أن خرافة الحياد تشكل عقبة أمام الصحافة المسئولة (78) ، كما يرى ميريت أن التخلي عن فكرة عدم التحيز وفكرة الحياد لا يعنى أن تتعرض مصداقيتنا للخطر ، بل إن ذلك يزيد من مصداقيتنا ، فمصداقيتنا لن تنتج عن انفصالنا وابتعادنا عن المواطنين الآخرين ، بل إن مصداقية الصحفي يمكن أن تزيد عندما يكون مواطناً صاحب ضمير ، ويدرك المواطنون أن الصحفي مثلهم ينحاز إلى القضية العامة نفسها التي ينحازون إليها ، وأن الصحفي مثلهم يمتلك الرغبة في تحسين حالة المجتمع . لكن نفهم ذلك فإن صورة شخص ما في أذهاننا (ليس صحفياً بالضرورة) يمتلك مصداقية عندك وعند الآخرين هو شخص يمتلك قناعات معينة ، ولذلك يعتقد الناس أنه أمين ومفكر وواع بالأحداث ، والصحفيون يسعون إلى الحصول على المصداقية من خلال السمات السابقة نفسها بأن يكونوا لأنفسهم صورة تتمحور سماتها حول الأمانة العقلية - العقلية العادلة - أنه مفكر وواع بالأحداث . . لكن مع ذلك يصر الصحفيون على أنهم لا يهتمون بما يحدث أو لا يشكل محور اهتمامهم . (79)

ولا شك أن ما يقوله ميريت يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة أمام تحسين صورة الصحف ، فبدلاً من إخفاء تحيزاتهم وراء ادعاءات الحياد والموضوعية ، فإنهم يمكن أن يعلنوا هذه التحيزات وهذا اقرب إلى الأمانة والعدل ، ويعتق للصحفيين الاحترام والمصداقية .

٥) عدم التحيز: Nonpartisanship : إن حرية الصحافة تقوم بشكل أساسى على التعددية والتنوع وهذا يفرض على وسائل الإعلام نقل جميع وجهات النظر ، وأن تعيد جميع الاتجاهات السياسية والفكرية في المجتمع الفرصة للوصول إلى الجمهور عن طريق وسائل الإعلام .

ولكن بدلا من إتاحة الفرصة لهذه الاتجاهات السياسية والفكرية لامتلاك وسائل إعلامية تنقل آراءها إلى الجمهور وتعبير عن وجهات نظرها ، فقد تم استخدام مفهوم الموضوعية للترويج لقولة إن وسائل الإعلام غير المتحيزة ، والتي لا تنتمى إلى الأحزاب هي يمكن أن تقوم بالتعبير عن تعددية الأفكار والاتجاهات في المجتمع وتنوعها وتنقلها إلى الجمهور .

لكن من الواضح أن هذه الفكرة لم تكن العامل الأساسي في نشأة مفهوم الموضوعية وتطوره ، بالرغم من شيوعها ، واستخدامها كأداة لتبرير الممارسات الإعلامية لوسائل الإعلام الغربية .

ولذلك ترى جمعية الصحفيين المهتمين أن الموضوعية لم تنتج عن نظرية تم بحثها ، ولكنها نشأت عندما رأى ملاك الصحف أنهم يمكن أن يحققوا المزيد من الأرباح عندما يجعلون صحفهم غير متحيزة ، وأن ينهوا الارتباط بين الصحافة والأحزاب السياسية ، كما أن مفهوم الموضوعية قد نشأ بعيداً عن تفكير الصحفيين واهتماماتهم . . . لقد جاءت الفكرة من أعلى ، فعدد من الملاك المشهورين في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين رأوا أنه لتحقيق مصالحهم الاقتصادية يجب أن تكون صحفهم أكثر مصداقية ، بأن تبتعد عن الأحزاب . (80) وسوف نشرح ذلك بشكل أكثر تفصيلاً عند تناول نشأة مفهوم الموضوعية وتطوره .

لكن الخطير أن مفهوم الموضوعية ، وما تضمنه من التأكيد على عدم التحزب ، وعدم الانتماء الحزبي قد قلل من مصداقية الصحافة الحزبية لصالح وسائل الإعلام التجارية التي روجت لفكرة أنها صرأة ينعكس عليها الواقع بكل معطياته ، وأنها تغطي الأحداث ليس من وجهة نظر أى شخص أو حزب ، ومن ثم فقد كان مفهوم الموضوعية ، وتأكيد على ضرورة عدم التحزب عقبة أمام نمو صحافة ، ووسائل إعلامية تعبر عن الاتجاهات السياسية والفكرية المختلفة ، كما كان أيضاً وسيلة للدفاع عن سيطرة الاحتكارات على الوسائل الإعلامية بما تبش من ثقافة تؤدي إلى التركيز على

الاحتياجات الفردية للإنسان وتكرس عزله عن المجتمع ، وعدم قدرته على الاختيار الحر ، والمشاركة السياسية الحقيقية .

الأخطر من ذلك أن فكرة عدم التحيز تعنى أن يتجنب الصحفيون اتخاذ موقف فى أية قضية سياسية ، وأن يتجنبوا أن يكونوا نشطين سياسيا ، أو أن يقوموا بأى نشاط سياسى ، وأن تظل هناك مساحة تفصلهم عن الأحداث التى يقومون بتغطيتها بينما ملاك وسائل الإعلام ورؤساء التحرير يتناولون الطعام ويقضون الإجازات مع القادة السياسيين والعسكريين الذين من المفترض أن يكونوا موضوعيين نحوهـمـ. (81)

ونتيجة لذلك فقد اتجهت المناقشة فى التسعينيات اتجاها آخر تمثل فى طرح السؤال التالى : هل وسائل الإعلام فى الدول الغربية غير متحيزة كما تدعى ؟ !

والإجابة على هذا السؤال تبدو معقدة إذا إنها لابد أن تقوم على دراسة للتركيب السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى المجتمعات الغربية .. ولكن حتى الآن هناك مجموعة من الدراسات التى أنتجت قدراً من الاتفاق على أن فكرة عدم التحيز هذه غير واقعية ، وأن ممارسات الوسائل الإعلامية وما تقدمه للجمهور تتناقض مع هذه الفكرة ، فقد أوضحت هذه الدراسات ما يلى :

١- إن وسائل الإعلام فى المجتمعات الغربية تعبر عن النخبة : فهناك نخبة صغيرة فى المجتمعات الغربية تسيطر على الوظائف السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأن هناك مقاومة لأية عملية تغيير فى تركيب السلطة والنفوذ ، ولأية حركات سياسية واجتماعية تستهدف إعادة توزيع السلطة المجتمعية . (82)

وتقوم وسائل الإعلام التى تسيطر عليها الاحتكارات الكبرى بدورها فى عملية مقاومة هذه الحركات التى تستهدف إعادة توزيع السلطة المجتمعية ، ونزع المشروعية عنها ، باعتبارها حركات خارجة عن النظام و ضد القانون .

لذلك فإن وسائل الإعلام الغربية قد أصبحت أداة تعبير عن النخبة السياسية والاقتصادية ولحمـد هذا واضعـا فى كتابات هيرمان وتشومسكى اللذين يؤكدان أن وسائل

الإعلام أصبحت أدوات دعاية للنخب الحاكمة. (83) وإن كل شركات وسائل الإعلام ذات اتجاهات رأسمالية محافظة ومؤيدة للنظام الغربي، وأن وسائل الإعلام الأمريكية تقوم بوظيفة جناح الدعاية لدولة الأمن القومي. (84)

ويضيف ماكنير: إن وسائل الإعلام الغربية منحيزة للنظام الرأسمالي وتقوم بالعمل على استمرارية هذا النظام وتدعيمه لكن البعض يجادل في ذلك اعتمادا على أن وسائل الإعلام كثيرا ما تهاجم وتفضح أشخاصا في الحكومات أو حتى العائلة المالكة البريطانية. ويعلق ماكنير على ذلك بأن إلغاء الملكية البريطانية لن يهدد الرأسمالية البريطانية وحتى الهجوم على حزب المحافظين وإسقاطه من الحكم لن يؤثر على الرأسمالية البريطانية طالما سيأتى إلى الحكم حزب العمال بسياساته الجديدة التي تؤدي إلى استمرارية النظام الرأسمالي بوجه أكثر إنسانية هذا بالإضافة إلى عملية توزيع الأدوار بين النخبة السياسية. (85)

٢- إن النخبة في المجتمعات الغربية تتفق على ضرورة استمرارية النظام الرأسمالي بكل فلسفته ولكنها تختلف حول بعض وسائل إدارة هذا النظام، ووسائل الإعلام الغربية تعبر عن ذلك حيث يرى هيرمان وتشومسكى: إن النخبة المسيطرة تتقاسم القيم نفسها ولكن لأن أعضاء هذه النخبة يختلفون على بعض التكتيكات التي يحتاجونها للمحافظة على أهدافهم العامة فهذا الاختلاف ينعكس في وسائل الإعلام ويعطى انطبعا زائفا بالتعددية والتنوع وحرية التعبير ولكن وجهات النظر التي تشعدي هذه الأهداف، وترى أن قوة الدولة أصبحت تقاوم لتحقيق مصالح النخبة يتم استئناؤها من وسائل الإعلام ولا تظهر في هذه الوسائل. (86)

٣- إن وسائل الإعلام الأمريكية تركز على تغطية أنشطة الحزبين الرئيسيين الجمهوري والديموقراطي بينما تتجاهل الأحزاب الصغيرة أو تعطى نسبة صغيرة جدا من التغطية لهذه الأحزاب وبالتالي فإنها تدعم احتكار الحزبين الكبارين للعملية السياسية وحرمان هذه الأحزاب الصغيرة من التغطية لا يعرّمها فقط من الوصول إلى الجماهير

وإنما يظل معظم الناس لا يعرفون شيئا عن مرشحيتها في الانتخابات ولا عن برامجها أو قضاياها أو انتقاداتها للوضع القائم (87)

هناك من يشير أيضا إلى أنه حتى بالنسبة للحزبين الكبيرين فإن هناك وسائل إعلامية أمريكية تميل إلى الحزب الديمقراطي مثل واشنطن بوست ، وهناك وسائل أخرى تميل إلى الحزب الجمهوري مثل واشنطن تايمز . (88)

٦) التوازن Balance : يحمل مفهوم الموضوعية الالتزام بمبدأ يطلق عليه التوازن وهو يعنى أن الصحفيين لا بد أن ينقلوا كلا الجانبين في أى قضية محل جدل أو نقاش .

يرى ميريت أن المشكلة في هذا المبدأ تنتج عند تطبيقه بمعنى الكلمة .. فإذا أكد المصدر وجهة نظر معينة فإن على الصحفي أن يبحث عن خبير يؤكد وجهة نظر أخرى مخالفة وهذا يؤدي إلى فكرة الصراع في القصة وهو ما يحبه الصحفيون ، وحقيقة فإن الصراع يجذب الجمهور . (89)

لكن هذا التوازن كثيرا ما يكون وسيلة للتزييف والخداع وتقوم وسائل الإعلام بتصنيعه بحثا عن زيادة عناصر التشويق في القصة وليس نتيجة للرغبة في عرض وجهات النظر والآراء المختلفة في أية قضية .

وكثيرا ما يكون التوازن في المناقشات شكليا ويهدف إلى التسليية وليس إلى الوصول إلى الحقيقة أو إلى حلول للمشكلة .

فكثيرا ما يكون اختيار القضايا والمشكلات زائفا وتقوم النخبة بتحديد هذه الاختيارات الزائفة للقضايا عن طريق التركيز على قضايا معينة والابتعاد عن قضايا أخرى تهم الجمهور وتشكل الوعي وتؤدي إلى تغيير المجتمع .

يضاف إلى ذلك أنه في كثير من الأحيان يكون هناك اختيار زائف للمصادر . فمعظم المناقشات تتم بين النخب وفي أحيان كثيرة تستبعد منها وجهات نظر لتيارات

رئيسية في المجتمع ، نتيجة لأن هذه التيارات تسعى إلى إحداث تغييرات كبيرة في المجتمع كما أن اختيار الوسائل الإعلامية لمحاور النقاش يكون ذاتيا .

والتأثير السلبي لكل ذلك يوضحه جون ديون في كتابه لماذا يكره الأمريكيون السياسة حيث يقول : إن المحافظين والليبراليين يشكلون القضايا السياسية كسلسلة من الاختيارات الزائفة وهذا يشكل الاستقطاب الزائف في السياسة الأمريكية حيث إن الليبراليين والمحافظين يستمرون في النقاش حول نفس الأشياء والقضايا بينما المجتمع يريد أن يتحول ويتحرك وبمضى .

وهذا جعل الأمريكيين يتخلون عن العملية السياسية لأن معظم الناس لا يرتبطون بمعظم هذه القضايا محور النقاش . فمعظم الناس يقولون : إذا كانت المناقشة عن هذا الشيء ، فأنا لست داخلها وآرائى لا يتم التعبير عنها ، ومعظم الناس يفضلون البقاء داخل الدوائر المغلقة .

إن السياسيين يشكلون الاختيارات الزائفة والصحفيين لا يمثلون سوى أن ينقلوها للجمهور يضاف إلى ذلك أن القضايا ليست دائما ذات بعد واحد وإنما معظمها متعدد الأبعاد . . . والنقاش الذي تديره وسائل الإعلام كثيرة ما يركز على وجهتى نظر متخصصتين ويهمل الكثير من وجهات النظر الأخرى وهو ما يؤدي إلى أن يصبح النقاش مبسطا وزائفا . (90)

ولذلك فإنه بالرغم من ادعاءات وسائل الإعلام الأمريكية حول التوازن في عرض وجهات النظر المختلفة فإن تنوع الآراء غائب في تغطية وسائل الإعلام الأمريكية للكثير من القضايا المهمة . (91)

لذلك يرى ميريت ضرورة السعى إلى تحقيق التوازن الكامل الذى يجعل أصحاب الآراء ووجهات النظر المختلفة في دائرة الضوء وليس فقط اثنين من المتخصصين أو وجهتى نظر وهو ما يصور الأمر على أن هناك اختياريين فقط بينما هناك الكثير من الاحتمالات والآراء والحلول . (92)

وهكذا فإن التوازن الذي تقدمه وسائل الإعلام هو توازن شكلي يحدد إطار المناقشة ، والقضايا التي تتم مناقشتها والمصادر التي تقوم بالمناقشة ، ومعايير النقاش .. وعادة ما تدبر وسائل الإعلام النقاش بين اثنين من المتخصصين وتهمل وجهات النظر الأخرى وهذا يعني أن هذا التوازن الشكلي الزائف يقيد إمكانيات البحث عن وسائل لإدارة المناقشة الحرة في المجتمع بعد أن فشلت وسائل الإعلام بأساليبها الحالية في تحقيق ذلك .

يضاف إلى ذلك أن التوازن كثيرا ما ينظر إليه ويتم تطبيقه بمعايير مزدوجة ، فوجهات النظر التي تقدم عبر وسائل الإعلام هي تلك التي تحظى بقدر من الرضا من جانب النظام الأمريكي . بينما وجهات النظر التي لا تحظى بهذا الرضا فحتى لو تم تقديمها فإنها تقدم مصحوبة بمجموعة من السمات التي تشكل له صورة فظية تشير الكراهية والنفور.

وفي الوقت نفسه فإن الولايات المتحدة عندما ترى أن فكرة التوازن هذه يمكن أن تضر بمصالحها فإنها لا تتردد في مقاومتها وهذا ما حدث عندما طرحت اليونسكو مفهوم التدفق الجز والمتوازن للأخبار كأساس لما أطلق عليه النظام الإعلامي العالمي الجديد ، فقد بدا أن فكرة التوازن يمكن أن تستخدم للهجوم على سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الإعلامي الدولي ، وأن هذا النظام غير متوازن ويتميز بالاجتلال في تدفق الأخبار بين الشمال والجنوب . ولم تتردد الولايات المتحدة عندئذ من الانسحاب من اليونسكو ومحاولة تفسير أمينها العام لهرقلة الدعوة إلى النظام الإعلامي الدولي الجديد .

ثالثا - نشأة مفهوم الموضوعية وتطوره :

كيف نشأ مفهوم الموضوعية ؟ وكيف تطور ؟ إن الإجابة على هذين التساؤلين ليس من قبيل الترف العلى ، ولكنه ضرورة لتحديد هذا المفهوم وفهم جوانبه ،

وإمكانيات تطبيقه . وبالرغم من أن العرض السابق لتعريف الموضوعية ووصف عناصرها قد ساهم في توضيح بعض جوانب هذا المفهوم . فإنه ما زالت هناك حاجة لفهم بعض الجوانب ، وربما تساهم دراسة نشأة التطور في ذلك .

وبداية فإن تاريخ مفهوم الموضوعية لم يكتب بعد . ويفسر منديتش ذلك بأن أحد الأسباب الحقيقية التي منعت أى شخص من كتابة تاريخ الموضوعية هو أنه من الصعب مناقشة خلق يعرفه ممارسوه بأنه عدم التحيز أو حتى عدم القيام بعمل . (93)

ذلك أنه من السهل أن نكتب تاريخ الأحداث والأعمال ولكن من الصعب كتابة تاريخ عدم العمل أو عدم القيام بنشاط معين .

ومع ذلك فإن هناك محاولات لا بأس بها لتحديد كيفية نشأة هذا المفهوم لكن هناك اختلافات في تحديد بداية نشأة الموضوعية ، وتركز هذا الاختلاف في اتجاهين .

الاتجاه الأول : يرى أن مفهوم الموضوعية نشأ وتطور خلال الفترة من ١٨٣٠ - حتى ١٨٩٠ ، ويتفق على ذلك منديتش وجامسون وستيوارت ألان مع اختلاف في تحديد العوامل التي أدت إلى نشأة المفهوم .

لكن أكثر العوامل التي اتفق عليها الباحثون الثلاثة هو نشأة الصحافة التجارية رخيصة الثمن وتغير القاعدة الاقتصادية التي تقوم عليها الصحافة .

حيث يرى جامسون أن الصحف في الولايات المتحدة الأمريكية حتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر كانت سياسة وكانت الأحزاب السياسية تقول هذه الصحف باعتبارها أدوات تحمل آراءها وتكسب لها التأييد السياسي وبعضها كان يمول من قبل سياسيين أفراد لتحقيق الهدف نفسه ، وكانت الصحف تعتمد في توزيعها على الاشتراكات ، وكان معدل الاشتراك السنوي من ٨ - ١٠ دولارات ، ولم تكن الصحف مصممة للتوزيع الجماهيري ، وكانت موجهة إلى النخبة السياسية والاقتصادية وكانت تحوى القليل من الأخبار .

وكانت الصحف اليومية قبل عام ١٨٣٠ تتكون من أربع صفحات . . على الصفحة الأولى والأخيرة كانت تنشر الإعلانات مع إشارة في الصفحة الأولى لما تتضمنه الصفحات الداخلية من مضمون ، أما الصفحة الثالثة فتحمل الافتتاحية ، وكانت الصفحة الثالثة مخصصة لنشر مواعيد وصول السفن . (94)

لكن في ثلاثينيات القرن التاسع عشر بدأت تظهر الصحافة التجارية رخيصة الثمن penny press ، حيث تعتبر جريدة نيويورك صن التي صدرت عام ١٨٣٣ هي أول صحيفة من هذا النوع ثم تبعتها صحف أخرى مثل ذا إيفنينج ترانسكربت The evening Transcript ونيويورك هيرالد Newyork Herald ثم نيويورك تايمز Newyork times التي صدرت عام ١٨٥١ ومن مدينة نيويورك انتشرت الصحافة رخيصة الثمن إلى المدن الأمريكية الأخرى .

ولأن هذه الصحف اعتمدت في دخلها على السوق (عائدات التوزيع والإعلانات) لذلك فقد قدمت نفسها على أنها توفر للجماهير إطلاعا على المجال العام أو عرضا للحياة العامة ، وأنها قادرة على أن تحتفظ باستقلالها السياسي عن الحكومة والأحزاب ولذلك عرفت هذه الصحف نفسها على أنها محايدة في السياسة حيث عبر عن ذلك جيمس جوردون بينيت الذي أنشأ جريدة نيويورك هيرالد عام ١٨٥٣ : حيث يقول : سوف نقدم صورة دقيقة للعالم وتعهدهت الجريدة بأن تسجل الحقائق عن كل جوانب الحياة العامة دون تحريف أو تلوين . (95)

ونتيجة لظهور الصحافة التجارية رخيصة الثمن ، كانت فترة ثلاثينيات القرن التاسع عشر فترة حاسمة في تطور الصحافة الأمريكية فبينما كان سكان الولايات المتحدة يتزايدون بنسبة ٣٠٪ كان توزيع الصحف اليومية في الولايات المتحدة الأمريكية يتزايد بنسبة ٤٠٠٪ .. وهذا التغير الدرامى في قراءة الصحف صاحبه تغير في طبيعة الصحف اليومية ، وظهور المفهوم الحديث للمخبر . (96)

فلقد قامت الصحف رخيصة الثمن بالاعتماد على الأخبار كوسيلة لبيع الصحف

للجمهور ، وتغيرت قاعدة الجمهور الذي تتوجه إليه الصحف فبدلاً من التوجه للنخبة الذين يشتركون في الصحف ، ترجعت هذه الصحف للجمهور العام الذي يشتري الصحف من الشوارع ، وبالتالي قامت الصحف ببيع المنتج للجمهور وبيع الجمهور للمعلنين ، وكانت الأخبار هي المنتج الذي جذب الجماهير وليس الرأي ، وأدى ذلك إلى تناقص مساحة الرأي وادعت الصحف أنها مرآة للعالم تقدم الأحداث كما هي بدقة (97)

لكن لا يمكن القول بأن مفهوم الموضوعية قد ظهر في ثلاثينيات القرن التاسع عشر وإن كان تغير القاعدة الاقتصادية للصحافة وتوجهها إلى الجمهور العام وتركيزها على الاهتمامات الإنسانية .. كل ذلك كان يمثل بداية نشأة مفهوم الموضوعية دون أن يتم تحديده بشكل واضح وكان فك الارتباط بين الصحف والأحزاب السياسية بداية لتطور هذا المفهوم .

وقد جاءت تطورات سياسية أدت إلى تطور مفهوم الموضوعية فقد أدت الحرب الأهلية الأمريكية في عام ١٨٦٥ إلى زيادة حاجة الناس إلى الأخبار وهو الأمر الذي استغلته الصحف بشكل كبير .. لكن السلطة استغلته أيضاً حيث يؤكد منديتش أن ادوين ام سانتون Edwin . M. Santon سكرتير الرئيس لينكولن لشئون الحرب (وزير الدفاع) كان له دور كبير في تطوير مفهوم الموضوعية فقد وجد سانتون طريقه إلى تاريخ الصحافة الأمريكية كرقيب على الصحافة وكان سانتون يهدف إلى التقليل من آثار المعلومات التي تنشرها الصحافة وإمكانية استفادة العدو منها وكان يريد أن تقتصر الصحافة على نشر البيانات الرسمية وخطاب السلطة والتقليل من أهمية المصادر غير الرسمية ويضيف منديتش : كان محكم سانتون في المعلومات لم يكن كافياً لوقف استفادة الجنوب مما تنشره صحف الشمال بل كان يريد أن يجعل القراء يعتمدون بشكل أساسي على البيانات الرسمية وأن يحتكر إدراك القراء . (98)

ويصف منديتش سانتون بأنه كنان ديكتاتوراً يريد أن يتحكم بواسطة إدارة المعلومات في إدراك الشعب الأمريكي للأحداث ولقد أعطته هذه الإدارة للمعلومات قوة

كبيرة في السلطة الأمريكية فلقد سجن سانتون صحافة الحرب الأهلية داخل السلطة المركزية للتحكم في المعلومات ومن هنا جاء استخدام سانتون لمفهوم الموضوعية ، والترويج لهذا المفهوم كأساس لزيادة اعتماد الصحف على المصادر الرسمية . (99)

ويؤكد منديتش أن سانتون هو الذي اخترع شكل الهرم المقلوب في كتابة الأخبار حيث يقول :إن من اخترع هذا الأسلوب ليس الصحفيون ، ولكن وزارة الدفاع الأمريكية خلال الحرب الأهلية وأن أول من استخدم هذا الشكل هو سانتون وأن اختراعه لهذا الشكل يأتي في إطار دوره في عملية التحكم في المعلومات وأنه أول من استخدم هذا الشكل في عام ١٨٦٥ لجعل الصحف تعطي الأهمية الأكبر للبيانات الرسمية باعتبارها أهم الحقائق وأنه أجبر الصحفيين بذلك على أن يضعوا البيانات الرسمية في مقدمة الخبر باعتبارها أهم المعلومات ويرد منديتش على الذين يقولون إن أسوشيتد برس هي التي استخدمت شكل الهرم المقلوب بأن الذين حاولوا الاعتماد على هذه النظرية يريدون أن يبرروا استخدام الهرم المقلوب أكثر مما يريدون أن يتوصلوا إلى الحقيقة . (100)

إن هذا يعني أن السلطة الأمريكية قد أسهمت بشكل كبير في الترويج لمفهوم الموضوعية لتحقيق أهدافها في عملية التحكم في المعلومات وإجبار الصحفيين على الاعتماد على المصادر الرسمية باعتبارها المصادر الموثوق بها وأن مفهوم الموضوعية هذا قد أدى إلى التوصل إلى شكل جديد لكتابة الأخبار هو شكل الهرم المقلوب والذي يعتبره بعض الأكاديميين ركنا من أركان الموضوعية

وأن سانتون الذي كان يتولى الرقابة على الصحف هو الذي اخترع هذا الشكل وفرضه على الصحفيين ليرغمهم على كتابة المعلومات التي تريد السلطة توصيلها إلى الجماهير في مقدمة الخبر باعتبارها أهم المعلومات

مع ذلك فإن الذين نسبوا تطوير مفهوم الموضوعية واستخدام شكل الهرم المقلوب إلى وكالات الأنباء خاصة وكالة أنباء أسوشيتد برس لم يكونوا على خطأ تماما . وربما

يكون هناك تكامل بين ما يقوله منديتش عن أن وزارة الدفاع الأمريكية وتحديدًا الوزير سانتون هو الذى اخترع مفهوم الموضوعية وشكل الهرم المقلوب وما يقوله باحثون آخرون ألان حول دور وكالة الأسوشيتد برس فى تطوير مفهوم الموضوعية واستخدام قالب الهرم المقلوب . حيث إنه من الطبيعى أن يكون تحكم سانتون كقريب على الصحف فى وكالة أنباء أسوشيتد برس أكثر من تحكمه فى الصحف ، وأنه قد أثر على الوكالة فى استخدام هذا الشكل . لكن الوكالة وجدت بدورها أنها تحتاج إلى مفهوم الموضوعية وشكل الهرم المقلوب وأنه يمكن أن يؤدي إلى تحقيق المزيد من النجاح التجارى لها وتقبل الصحف لما تنتجه من أخبار وبالتالي زيادة عدد المشتركين لذلك قامت وكالة أنباء أسوشيتد برس بتدريب صحفييها منذ عام ١٨٩٠ على استخدام الهرم المقلوب والتركيز على الحقائق وعدم التعليق عليها . (101)

ومن المؤكد أن مفهوم الموضوعية قد تبلور بشكل كامل فى تسعينيات القرن التاسع عشر وأصبح فكرة مقبولة بشكل عام . (102)

الاتجاه الثانى : هناك اتجاه آخر يرى أن مفهوم الموضوعية ظهر عقب الحرب العالمية الأولى حيث يقول جامسون : إن الحرب العالمية الأولى قد وضعت نهاية للاعتقاد البرى فى أن الحقائق تحدث عن نفسها فالكثير من الصحفيين عملوا خلال الحرب العالمية الأولى كعملاء للحكومة فى تعبئة الشعب والحصول على دعمه للمجهود الحربى وقد حقق الصحفيون نجاحا فى تعبئة الشعب الأمريكى من أجل الحرب وأقنعهم هذا بأن الاعتماد على نشر الحقائق لا يكفى فالصحفى يمكن أن يستخدم الحقائق للدعاية حيث يتم اختيار الحقائق التى تحقق الأهداف الدعائية وأن الجمهور يمكن التلاعب به بواسطة الحقائق أكثر من الخيال وأن الحقائق يمكن تقديمها بأشكال مختلفة . (103)

كما يمكن أن نجد تفسيراً مشابهاً عند فولتون الذى يرى أن مصطلح الموضوعية قد جاء كنتيجة للحرب العالمية الأولى وما أعقبها من تعقيدات فى المجتمع وجهود الدعاية الأمريكية خلال هذه الحرب وكان من أهم من قاموا بالدعاية الأمريكية خلال

الحرب العالمية الأولى هو إدوارد بيرنز الذي ظهر بعد ذلك في الحياة العامة لبروج لمشروعية التلاعب بالرأى العام وتصنيعه حيث يقول بيرنز :إن الولايات المتحدة تدار بواسطة رضاء المحكومين لكن هذا الرضاء يمكن هندسته وتصنيعه .

وفي هذا الوقت أيضا كان فرويد وخلفاؤه من علماء النفس قد روجوا لفكرة أن الإنسان ليس رشيدا كما كان يعتقد في الفترة السابقة وأن عصر التنوير الذي ظهر فيه النظام الأمريكى بتأكيده على مبدأ حرية الصحافة قد انتهى .

ونتيجة لذلك فقد بدأت نذر الخطر تحيط بالصحافة الأمريكية ونظام الحكومة الأمريكية والذي قام على فكرة أن الشعب الذى يحصل على المعلومات قادر على حكم نفسه وقد ظهرت فكرة أنه إذا كان رجال العلاقات العامة قادرين على أن يجعلونا نرى الأمور كما يريدونها الذين يعملون لحسابهم وإذا كان العقل الإنسانى ليس رشيدا كما كان يعتقد من قبل فكيف يمكن أن يقوم الصحفيون بعملهم . ولذلك يقول ريتشارد ستريكفوس :إن الموضوعية لم تنشأ كفكرة ساذجة تعنى أن البشر يمكن أن يكونوا موضوعيين لكنها نشأت بناء على إدراك أنهم لن يستطيعوا ذلك . لقد نشأت الفكرة لتعوض الإنسان عن ضعفه ولذلك فإن الذين دافعوا عن فكرة الموضوعية في عشرينيات القرن العشرين كانوا يقترحون أن يكون النظام الصحفى خاضعا لشروط المنهج العلمى . (104)

يضيف أيضا فولتون تفسير آخر لظهور مفهوم الموضوعية عقب الحرب العالمية الأولى هو أنه جاء نتيجة لتزايد الإثارة في صحافة هذه الفترة حيث وصفت الصحافة خلالها بأنها الصحافة الصفراء وأن حرب التوزيع بين الصحف أدى إلى مخاطر جديدة وكان الحل الذى قدم في هذه الفترة هو استعارة بعض الأفكار من العلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي تتبنى المنهج العلمى . (105)

إن هذا يعنى أن المفهوم قد استخدم لحل مشكلة المصداقية التى أصبحت تعاني منها الصحافة عقب الحرب العالمية الأولى حيث جاء نتيجة لاستخدام الولايات المتحدة

الأمريكية للصحافة في هذه الحرب كأداة للدعاية واستخدام الصحفيين في التلاعب بالرأى العام وتعبئته للحرب.

هذا بالإضافة إلى أن ظهور الاتجاهات الاحتكارية عقب الحرب العالمية الأولى واتجاه الصحف إلى حرب التوزيع باستخدام الإثارة أدى إلى البحث عن حل لهذه المشكلة وكان الحل الذى قدم فى هذه الفترة هو مفهوم الموضوعية.

ولكن كيف يمكن حل هذا التناقض بين الاتجاهين فكل منهما يقدم أدلة علمية على صحة ما يقوله .. هل الموضوعية نشأت خلال الفترة من ١٨٣٠ حتى ١٨٩٠ كما يرى منديتش وستيورات الآن أم أن المفهوم ظهر عقب الحرب العالمية الأولى كما يرى تولتون.

من الواضح أن الذى أوجد هذا الاختلاف هو استخدام أساليب بحثية مختلفة ولكن من استقرار أدلة الاتجاهين يمكن أن نقول إن الفكرة قد ظهرت خلال القرن التاسع عشر واستخدمت خلال الحرب الأهلية الأمريكية كما يؤكد منديتش .. لكن خلال الحرب العالمية الأولى كان استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للصحافة فى الدعاية وتعبئة الرأى العام كان يقوم أيضا على المعلومات وتوظيف هذه المعلومات بالشكل الذى يحقق أهداف الولايات المتحدة فى تشكيل الرأى العام .. أى أن هذه الممارسة جاءت باستخدام مفهوم الموضوعية ، وليس بالتخلى عنه .. أما ما حدث عقب الحرب العالمية الأولى فإن مفهوم الموضوعية قد قدم باعتباره يمثل حلا لمشكلة مصداقية الصحافة ومشكلة حرب التوزيع باستخدام الإثارة وتم تشكيل المفهوم وبمورته واعتباره الخلق الرئيس للصحافة فى الولايات المتحدة ..

ومع ذلك فإن هذا التحديد ليس كافيا .. فمفهوم الموضوعية هو إنعاج أيديولوجى للحضارة الغربية وهو منتج نشأ نتيجة لهوامل فلسفية وفكرية ومياسية واقتصادية .

لقد كان القرن التاسع عشر فترة للتقدم السريع فى المجالات العلمية والتقنية فقد

شهد ثورة صناعية تم تغذيتها بواسطة القوة الرأسمالية الساعية لتحقيق الثروات كما شهد أيضا ثورة فكرية في العلم صاحبت الثورة الصناعية وجعلتها ممكنة وقد اعتمد العلم على التجربة والملاحظة للوصول إلى الحقيقة وإنتاج المعرفة . . . وأن الباحث لابد أن يظل بعيدا عن الظاهرة التي يلاحظها أو يدرسها لاكتشاف الحقيقة عنها . ولقد حاولت العلوم الاجتماعية التي تطورت خلال القرن التاسع عشر أن تتبع الإجراءات المتبعة في العلم الطبيعي في محاولة للوصول إلى شرعية ونفوذ العلم الطبيعي . (106)

لذلك يرى منديتش أن التجريبية الساذجة Nave empiricism تشكل ركنا أساسيا من أركان الموضوعية ولكي نفهم ذلك لابد من العودة إلى الجذور التاريخية للفكرة والتي تجدد أصولها في التفسيرات التي طرأت على الفكر في منتصف القرن التاسع عشر ، فلقد تم التحول في مجالات الطب والعلم والفن والأدب والعلوم الاجتماعية من نموذج الدين والفلسفة إلى العلم الذي يعتمد على المنهج التجريبي وكان على الصحافة أن تتحول أيضا في هذا الاتجاه أي بالتحول إلى النموذج التجريبي المبني على الحقائق . (107)

لذلك ظهرت فكرة لماذا لا نتبنى ذلك في الصحافة أيضا بمعنى أن تكون المعلومات التي تنقل إلى الرأي العام تقوم على الدليل والاعتماد على التجربة والاختبار والاعتماد على الاستنتاج ولذلك كتب ليبمان عام ١٩٢٠ في كتابة الحرية والأخبار أن الموضوعية هي محاولة ضمان الدقة والمعقولية في المعلومات التي تصل إلى الرأي العام . (108)

ولكن هل يمكن إخضاع الصحافة لشروط المنهج العلمي التجريبي وأن يعزل الصحفي نفسه بشكل تام عن الظاهرة التي يلاحظها . . . ولا يكون مهتما بهذا الذي يلاحظه . . . وإذا حدث هذا بالفعل فماذا يمكن أن يكون شكل المنتج الصحفي؟ وهل يمكن أن يكون هذا المنتج قابلا للقراءة؟ وما هي المواصفات المطلوبة في الصحفي في هذه الحالة . . . وهل يمكن إعداده بالطريقة نفسها التي يتم بها إعداد العلماء وتدريبهم؟

وحتى في مجال العلوم ظهر بعد الحرب العالمية الثانية اتجاه أطلق عليه النسبية الثقافية . . حيث يرى هذا الاتجاه أنه حتى العالم الفيزيقي يتغير طبقا لموقف المراقب وبالتالي فإن العالم الاجتماعي متغير ، وأنه ليس هناك حقيقة واحدة مطلقة فما تراه المرأة غير ما يراه الرجل وما تراه المرأة السوداء غير ما يراه الرجل الأبيض ، وما يراه الأمريكي غير ما يراه الألماني . . وهكذا فليس هناك حقائق مطلقة ، ولكن ما يراه الصحفيون وينقلونه من أحداث يأتي من مناظر متعددة وأن هناك ثلاثة أنواع للواقع هي :

١- العالم كما هو برؤية أو بدون رؤية المراقبين له .

٢- العالم كما يتم إدراكه بواسطة المراقبين .

٣- العالم كما يتم نقله عبر الأخبار . (109)

وليس هناك ارتباط واضح بين هذه الأنواع بل إن هناك اختلافا واضحا بين العالم كما هو ، والعالم كما يتم نقله عبر الأخبار .

إن مفهوم الموضوعية بهذا التوصيف الغربي يرغم الصحفي على أن ينقل فقط تلك المعرفة الحسية السريعة التي تصل إليه عن طريق الحواس ، وللحواس حدود معينة - كما يرى تافلنجر - فهي لا تستطيع أن تدرك كل شيء . . إن البشر لا يمكن أن يعتمدوا على حواسهم فقط للحصول على المعرفة عن العالم . . كما أن المعرفة التي يحصلون عليها عن الواقع من خلال حواسهم تمر عبر مجموعة من المصافي Filters مثل التجربة الشخصية - الأنماط الثقافية - الأخلاقيات - التحيزات . . الخ بحيث يكون العقل الإنساني من خلال ذلك صورة للواقع . ولأن كل إنسان يكون بناء ذاتيا للعالم فإنه من المستحيل أن يتم مناقشة أحداث العالم بشكل موضوعي . . إن ما هو ممكن بالنسبة للناس هو أن يصفوا العالم الذي شكلوه على أساس ما أدركوه . (110)

من خلال هذا التوصيف يتضح أن الصحفيين لم يفهموا بشكل حقيقي مفهوم الموضوعية بالرغم من أنه بشكل المذهب الرئيسي للصحافة الأمريكية .

ولكن أليست هناك أية محاولات للشورى على مفهوم الموضوعية ؟ لقد ظهرت محاولة للشورى على هذا المفهوم فى ستينيات القرن العشرين حيث قام مجموعة من الصحفيين الأمريكيين عرفوا بالعداء للموضوعية Anti objective style وعرف هذا الاتجاه باسم الصحافة الجديدة New Journalism وكانت حركة الصحافة الجديدة تهدف إلى تفويض مبدأ الموضوعية تدريجياً بجمع التقنيات الصحفية مع تقنيات الأدب، وإثبات أن كل ما يفترض أنه عرض موضوعي للواقع هو ذاتي تماماً ، وشرح توم وولف أحد رواد حركة الصحافة الجديدة هذه الحركة بأنها تأتي استجابة لرغبة الصحفيين الأمريكيين فى التحرر من القيود التقليدية للصحافة .

وقد سمح أسلوب الصحافة الجديدة للصحفى أن يضع رأيه فى القصة وأن يضع انطباعاته الذاتية وتم الاعتراف بالذاتية الإنسانية للصحفى بدلا من إنكارها وأنه من الأفضل أن يتم استغلال هذه الذاتية بدلا من نفيها .

وتسمى حركة الصحافة الجديدة إلى تشجيع الصحفيين على معايشة الجمهور الذى يكتبون له وعلى معايشة الحدث الذى يقرمون بتغطيته وأنه من الضروري أن يكون الصحفى فى موقع الحدث لكي يحصل على الحوار والإشارات وتفسيرات الوجوه وتفاصيل البيئة .

لكن حركة الصحافة الجديدة اقتصرت على مجموعة من الصحفيين الذين عرفوا بالجرأة والنقد الشديد للإدارة الأمريكية وكان من أهمهم هونشو نوميسون الذى حصل على شهرة كصحفى غير تقليدى يمزج الأسلوب الصحفى بالأسلوب الأدبى وكان يحتقر الطقوس الاستراتيجية لزملائه الصحفيين. لكن هذه الحركة لم تستطع أن تؤثر بشكل كبير فى الصحافة الأمريكية ربما لأن أصحابها من الصحفيين الذين لم يستطيعوا أن يصلوا إلى المؤسسات الإعلامية الكبيرة التى تمتلكها الشركات متعددة الجنسية والتى ظلت ترى فى مفهوم الموضوعية دفاعا عن استمرارية احتكارها لوسائل الإعلام .

ورغم ذلك فقد أدت هذه الحركة إلى طرح أشكال جديدة من الصحافة تسعى إلى الاعتراف بالذاتية فى تغطية الشئون الإنسانية. (111)

لكن من الواضح أن المخاطر التي أصبحت تهدد الصحافة المطبوعة بشكل خاص نتيجة تطور أشكال جديدة من الاتصال ، وتطور تكنولوجيا الاتصال قد خلق مناخا مناسباً لمراجعة الكثير من المفاهيم في مجال الصحافة وإعادة التفكير في الكثير من التقاليد والممارسات في مجال الإعلام بشكل عام والصحافة المطبوعة بشكل خاص وكان ذلك نتيجة لرغبة حقيقية في إنقاذ الصحافة المطبوعة من المصير الذي أصبح يتوقعه الكثير من الصحفيين والأكاديميين .

لذلك دعا جون كاتز في أواخر عام ١٩٩٦ الصحفيين إلى التخلي عن هذا الصتم المزيف الذي يطلق عليه الموضوعية .. ويرى منديتش أنه أخيراً تم إطلاق النار على الموضوعية .. ولقد كانت ضحية المعركة المريرة حول مستقبل الصحافة .. لكن مع ذلك ظل بعض الصحفيين يتمسكون بها في الوقت الذي يدعو آخرون إلى نهايتها .. إلا أنه لا أحد يستطيع حتى الآن أن يعرفها . (112)

ولعل التطور المهم في اتجاه التخلي عن مفهوم الموضوعية هو أن جمعية الصحفيين المحترفين الأمريكية والتي ظلت تؤكد في موثقتها على مفهوم الموضوعية قامت بحذف هذا المفهوم من ميثاقها الصادر في عام ١٩٩٦ وتم وضع مفاهيم أخرى مثل الحقيقة والدقة والشمول . (113)

وأدى هذا إلى خلق مناقشات مهمة في الصحافة وفي الجامعات حول مفهوم الموضوعية وما زالت هذه المناقشات تتصاعد بين الذين ما زلوا يتمسكون بهذا المفهوم وأولئك الذين يرون في التمسك به عقبة تحول دون البحث عن مستقبل جديد للصحافة يقوم على وظائف جديدة ومفاهيم جديدة تتناسب مع معطيات القرن الحادي والعشرين .

رابعاً - إشكالية الموضوعية في الواقع الإعلامي :

إن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو هل البيئة الإعلامية على المستوى العالي موضوعية ؟ وهل توفر هذه البيئة الإعلامية إمكانية لتطبيق مفهوم الموضوعية .

وبداية فبانه لكي تكون البيئة الإعلامية موضوعية فبأنها لابد أن توفر لكل

الأصوات فرصا متساوية للوصول إلى الجماهير ، وإن تحصل الجماهير على المعرفة الشاملة التى توفر إمكانية لفهم الأحداث العالمية والمحلية وفى الوقت نفسه توفر للجماهير إمكانية المشاركة الفعالة فى الاتصال . فهل البيئة الإعلامية توفر إمكانية لتحقيق هذه الأهداف؟

إن البيئة الإعلامية على المستوى الدولى تقوم على السيطرة وليس على أساس تعدد الأصوات ولا توفر إمكانية للمعرفة المتنوعة . . ذلك أن حركة تدفق الأنباء فى العالم تسيطر عليها وكالات الأنباء الأربعة الكبرى والتى تعد المراكز الرئيسية للإنتاج الأخبارى ، وهى تتحكم فى ٥٠ - ٨٠ ٪ من تدفق الأخبار على مستوى العالم وهذا يجعل لها تأثيرا على المعرفة التى يتلقاها صناع القرار فى كل الحكومات على مستوى العالم. (114)

لكن السيطرة الغربية لا تتجلى فقط فى السيطرة على حركة تدفق الأنباء من خلال وكالات الأنباء الكبرى ولكن أيضا فى تركيب النظام الإعلامى الدولى وعلى فلسفة هذا النظام فقد استطاعت دول الشمال - وبشكل أكثر تحديدا الولايات المتحدة الأمريكية - أن تبني إمبراطورية اتصالية واسعة تستخدمها فى السيطرة الدولية وقادت مجموعة من التكتلات الاتصالية الغربية أهم التحولات فى التاريخ الاقتصادى عن طريق زيادة تركيز إنتاج وتخزين ونقل واستقبال الرسائل. (115)

وهذه السيطرة الأمريكية على النظام الإعلامى الدولى تؤدى كما يقول شيلر : إلى الاستعمار الثقافى الذى يعرفه شيكر بأنه مجموعة من العمليات التى تؤدى إلى نقل مجتمع معين إلى النظام الغربى وأن التخب الثقافية لهذا المجتمع يتم جذبها والضغط عليها وإجبارها ، وأحيانا رشوتها وذلك لتشكيل المؤسسات الاجتماعية بشكل يؤدى إلى نقل قسم المجتمع الغربى إلى هذا المجتمع وحث هذا المجتمع على تبني هذه القيم (116).

يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم سيطرتها على النظام

الإعلامى الدولى فى فرض ثقافة واحدة على العالم هى الثقافة الغربية، وظهرت أصوات من داخل وسائل الإعلام الغربية تحذر من خطورة هذا العمل مثل جون بيرت المدير العام لشبكة BBC الذى حذر عام ١٩٩٦ من أن سهولة الحصول على البرامج والخدمات الإعلامية العالمية سوف يشجع على ظهور ثقافة عالمية واحدة . وهذه الثقافة العالمية الواحدة تعنى ثقافة عالمية متأثرة وإن ذلك سيؤدى إلى تدهور البيئة الثقافية . (117)

إن هذه الثقافة الغربية التى يعمل النظام الإعلامى الدولى على فرضها هى ثقافة أحادية ضيقة يتم فيها فرض نمط واحد للتفكير وثقافة واحدة ، وتؤدى إلى قبولية البشر وتنميطهم. (118)

وقد أتاحت التطورات التكنولوجية الحديثة فى مجال الاتصالات المزيد من الإمكانيات للولايات المتحدة الأمريكية لفرض المزيد من سيطرتها الثقافية على العالم ومصادرة حق الشعوب فى الاختيار الحر لنظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعلى سبيل المثال فإن الولايات المتحدة تستخدم إمبراطوريتها الاتصالية فى فرض السوق العالمية فهى قضية أساسية بالنسبة للولايات المتحدة وأوروبا الغربية وهى تسعى إلى تنظيم العالم على أساسها وعادة ما يكون هناك غضب أمريكى شديد عند ظهور أية معارضة للسوق العالمية. (119)

وهكذا فإن الواقع الإعلامى الدولى يقوم على السيطرة الأمريكية ولا يوفر مجالا للتعددية والتنوع وهو ما يجعل المعرفة التى يتلقاها الجمهور تأتى بشكل أساسى من مصادر غربية وذات مواصفات يحددها اللاعبون الأساسيون فى الاقتصاديات الدولية الرأسمالية وهم يستخدمون وسائل الإعلام التى يسيطرون عليها فى تدعيم هذه الاقتصاديات وللمحافظة على النظم السياسية والاجتماعية التى تسمح لهم بتحقيق أقصى قدر ممكن من الأرباح ولذلك يعملون على تدعيم الأيديولوجية الرأسمالية كما يستخدمون وسائل الإعلام التى يسيطرون عليها لإعادة إنتاج قيم المشروع الخاص الحر والأرباح والسوق وخلق الشروط السياسية والأيديولوجية المناسبة لذلك وتدعيم هذه الشروط ثقافيا . لذلك فإن الثقافة والأيديولوجيا والسياسة والاقتصاد مترابطة فى إنتاج وسائل الإعلام والمؤسسات الإعلامية. (120)

ولكن من هم هؤلاء اللاعبون الأساسيون كما يطلق عليهم ماكثير - أو لوردات القرية العالمية كما يطلق عليهم ماكيب ؟ إنهم مجموعة من الشركات متعددة الجنسيات (عابرة القارات) والبحث يحدد عددها على المستوى الدولي بـ ٥٠ شركة وهذه الشركات تتحكم عن طريق مجالس إداراتها في أوجه النشاط الاقتصادي المختلفة على المستوى العالمي (صناعية - بنوك - تعدين - خطوط جوية - تأمين - صناعة الأدوية - الصناعات الإلكترونية ، وصناعة الأسلحة (وفي الوقت نفسه تتحكم في وسائل الإعلام) صحف - راديو - تليفزيون - كتب - سينما (121).

ومن بين هذه الشركات هناك ٢٩ شركة تكون أنظمة لوسائل أعلام أصبحت تسيطر على نصف الصحف و المجلات ومحطات الإذاعة والتلفزيون والكتب والسينما وهذه الشركات بالإضافة إلى الحكومة الأمريكية ووكالات الأنباء تحدد أجندة وسائل الإعلام ، وتقدم كل وسائل الإعلام بالمعلومات والإخبار الدولية والقومية ، وبالتالي تتحكم في المعلومات التي تصل إلى الجماهير .

وهذه الشركات متنوعة في أنشطتها الاقتصادية فعلى سبيل المثال جنرال إلكتريك وستنجهاوس وهما تمتلكان شبكات تليفزيون رئيسية ، وفي الوقت نفسه تشاركان بشكل كبير في الكثير من المجالات المثيرة للجدل مثل إنتاج الأسلحة النووية ، وتعتمد الشركتان على الحكومة الأمريكية في تدعيم بحوثهما في مجالات الطاقة الذرية والمجالات العسكرية ، وفي خلق مناخ مناسب لاستثماراتها الخارجية .

وعلى مستوى الولايات المتحدة الأمريكية يقول بجد كيان إن ١٠ شركات كبرى تسيطر على ما يسمعه ويشاهد ويقرأه الجمهور الأمريكي ، وترتيباً على ذلك يؤكد بجد كيان أن أمريكا تتحول إلى ديكتاتورية شمولية. تسيطر فيها هذه الشركات على الجمهور الأمريكي وتعمل كما لو كانت وزارة إعلام في الديكتاتوريات الشمولية (122).

وتؤكد مجموعة تحليل وسائل الإعلام ما توصل إليه بجد كيان حيث إن ١٠

شركات في الولايات المتحدة الأمريكية لها مصالح مالية كبيرة تسيطر على شبكات التلفزيون الرئيسية CBS - ABC - NBC وتسيطر على ٣٤ محطة تلفزيون أخرى و ٢٠١ نظام للتلفزيون الكابلي و ٦٢ محطة راديو و ٢٠ شركة تسجيلات و ٥٩ مجلة بما فيها التايم والنيوزويك و ٥٨ صحيفة تشمل النيويورك تايمز والواشنطن بوست - وذا وول ستريت جورنال - ولوس أنجلوس تايمز ، بالإضافة إلى ٤١ شركة لنشر الكتب ، وشركات صور متحركة مثل كولومبيا بكتشرز - وشركة فوكس (123)

إن هذا بوضع المثل الذي وصلت إليه عملية الاحتكار في ملكية وسائل الإعلام على المستوى الدولي ، وعلى مستوى الولايات المتحدة الأمريكية .

ويأتي على رأس لوردات القرية العالمية روبرت ميردوك التي فتت إمبراطوريته الإعلامية بشكل كبير في كل أنحاء العالم . ويقول ماكنير إن السيرة الذاتية التي كتبها وليم شاوكروس عن روبرت ميردوك يبين بشكل لا يدع مجالاً للشك أن ميردوك هو عضو قيادي في نخبة سرية عالية (عابرة للثقافات) مكونة من أكبر رجال الإعلام والسياسيين تدير حركة العالم ، وتسعى هذه النخبة منذ الحرب العالمية الثانية لجعل العالم آمناً كما يرون هذا الأمن ، وهو يستخدم إمبراطوريته الاتصالية عابرة القارات للترويج للثقافة الأمريكية كما أن الصحف التي يمتلكها هي أكثر الصحف التي تنتهك الأخلاقيات الصحفية . (124)

وتشير الكثير من الدراسات إلى أن هذه الشركات متعددة الجنسيات لها أجندتها السياسية الخاصة والتي تتطابق في أغلب الأحيان مع الأجندة السياسية للحكومة الولايات المتحدة الأمريكية وأنها تعمل على فرض ثقافة تقوم على التسلية والترفيه والتركز على الفردية والاحتياجات الخاصة لإنسان ، والشامل مع الجمهور كمستهلكين ، وهو ما يؤدي إلى زيادة ثقافة الاستهلاك ، حيث يؤكد هرمان وماكنزي أن الشركات الاتصالية الكبرى تدفع العالم كله لتبني النموذج الاقتصادي الموجود في الولايات المتحدة ، وفي الوقت نفسه فإنها تدفع وسائل الإعلام في العالم كله لتسير طبقاً

للتنمذج الموجود في الوسائل الإعلامية الأمريكية ، ويؤدى ذلك إلى إضعاف نظم الإذاعة العامة وتقوية وسائل الإعلام التجارية ونتيجة لذلك يتزايد تأثير المعلنين على مضمون وسائل الإعلام وأدائها ومعاييرها ، لذلك تتزايد التسلية التى تتركز فى الجنس والعنف ، ونتج عن ذلك تناقص الأخبار الجادة والتغطىة الاستقصائية والوثائقية والمناقشات حول القضايا المجتمعية . (125)

وهكذا فإن تزايد ظاهرة التركيز والإحتكار فى ملكية وسائل الإعلام يؤدى إلى إنتاج نوعية معينة من المضمون يركز على التسلية ، وهذه التسلية تستخدم كأداة للسياسة بهدف منع الناس من إعطاء قدر من الاهتمام للواقع السياسى والاجتماعى ، ومنع الناس من الاشتراك فى جهد منظم لإصلاح المجتمع .

وتستخدم الوسائل الإعلامية التى تسيطر عليها الاحتكارات مفهوم الموضوعية لكى تنشر الوهم بأنها تقدم تغطىة واقعية حقيقية غير متحيزة ، بينما هى تقوم بحذف الحقائق والتفسيرات التى تشكل تحديا للوضع القائم ، والتقليل من شرعية أية حركات تسعى إلى تغير الوضع القائم أو إصلاحه . (126)

وفى هذه البيئة الإعلامية التى تقوم على احتكار عدد قليل من الشركات متعددة الجنسيات لوسائل الإعلام هل يمكن أن يكون الصحفيون الذين يعملون فى هذه الوسائل موضوعيين ؟ ... هل يمكن أن يطبقوا مفهوم الموضوعية ؟ وإلى أى مدى يتمتع الصحفيون بالحرية فى تغطىة الأخبار ونشرها ؟

يرى هرمان وتشومسكى أن الصحفيين والمحربين يتم اختيارهم للعمل فى وسائل الإعلام طبقا لقدرتهم على أن يعبروا عن مصالح ملاك وسائل الإعلام ويلبوا احتياجات هؤلاء الملاك ، وغالبا ما يواجه الصحفيون الراديكاليون صعوبات كبيرة فى الحصول على وظائف فى وسائل الإعلام وحتى لو حصلوا على وظائف فإن إنتاجهم الإعلامى غالبا ما يتعرض للتغيير .. وهكذا فإن تركيب وسائل الإعلام يميل إلى معاقبة وجهات النظر الراديكالية ، ويشجع على قبول الوضع القائم لكى يمكن الشرقى فى الوظيفة

الإعلامية وهكذا فإن الملاك لا يحتاجون إلى إصدار أوامر لرؤساء التحرير أو للصحفيين، فهم يعرفون أنهم لى يكونوا ناجحين فإنهم لابد أن يعبروا عن مصالح ملاكهم (127)

ولذلك فإن الاستقلال التحريرى قد تناقص بشكل كبير نتيجة لتزايد الانحياز إلى الاحتكار والتركيز فى ملكية وسائل الإعلام ن رؤساء التحرير أصبحوا مجرد عمال يستطيع الملاك طردهم فى أى وقت ، وأصبحوا يدركون أن عليهم أن يعبروا عن تحيزات المالك واتجاهاته لى يستطيعوا أن يعيشوا ويترقوا فى عملهم المهنى . (128)

وإذا كان هذا ينطبق على رؤساء التحرير فإنه يمكن أن ينطبق بشكل أكبر على الصحفيين ، ذلك أن هؤلاء هم الجانب الأضعف ، ويمكن طردهم فى أى وقت ، كما يتم التحكم فى وصول إنتاجهم الإعلامى إلى الجمهور .

بالإضافة إلى ذلك فإن الشركات متعددة الجنسيات التى تسيطر على وسائل الإعلام تفتح أبوابا لرؤساء التحرير والصحفيين لى يتولوا وظائف أخرى إلى جانب عملهم الصحفى ، وهو ما يساهم فى زيادة دخلهم وزيادة قوتهم وسلطتهم، وهو ما يؤدى فى النهاية إلى أن يصبحوا جزءا من النخبة التى تدير السياسة والاقتصاد والثقافة ، وتؤكد مجموعة تحليل وسائل الإعلام أن الموضوعية تعنى أن يتجنب الصحفيون صراع المصالح ، لكن هناك مشات من الناشرين ومدراء شركات وسائل الإعلام ورؤساء تحرير وصحفيين يشغلون فى الوقت نفسه مناصب فى شركات أخرى تجارية وصناعية وبنوك ، فكيف يمكن لهؤلاء أن يتجنبوا صراع المصالح ، وأن يطبقوا معايير موضوعية فى اختيار الأخبار خاصة تلك التى تتعلق بأنشطة الشركات التى يعملون بها .

ولذلك تؤكد مجموعة تحليل وسائل الإعلام أنه قد أصبح هناك تطابق أيديولوجى بين الكثير من الصحفيين العاملين فى الوسائل الإعلامية فى الولايات المتحدة الأمريكية وملاك هذه الوسائل وأن الرقابة الذاتية أصبحت حقيقة لا يمكن إنكارها ، وفى إطار هذا الاتفاق الأيديولوجى فإن الكثير من الآراء التى تتعارض مع هذا الاتفاق يتم

حجبها حتى لا تصل إلى الجماهير وأن الرقابة الذاتية يمارسها الصحفيون ورؤساء التحرير والمنتجون للرسائل الإعلامية فى التلفزيون بالرغم من أنهم لا يعترفون بذلك ، وقد يكونون غير واعين به . (129)

ونتيجة للتطابق الإيديولوجى بين الشركات متعددة الجنسية والحكومة الأمريكية فإن التطابق قد تزايد فى وسائل الإعلام الأمريكية بين رؤية الحكومة للأحداث ، فى وسائل الإعلام لها . (130)

ولذلك فإنه فى هذه البيئة الإعلامية سواء على المستوى الدولى أو فى داخل الولايات المتحدة الأمريكية فإن مفهوم الموضوعية من المستحيل تطبيقه ويصبح مجرد أداة للتضليل الإعلامى ، وإخفاء ممارسات الشركات متعددة الجنسيات فى التحكم فى المعلومات وإنتاجها وتحريرها وتوزيعها والسيطرة عليها .

خامساً - الأيديولوجية الغربية لوسائل الإعلام :

هل يمكن تطبيق مفهوم الموضوعية فى ضوء الأيديولوجية الغربية لوسائل الإعلام والتي تطورت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ؟ .

إن هذه الأيديولوجية الإعلامية الغربية قد أنتجت تركيباً لوسائل الإعلام تعرضنا فيما سبق لأهم عناصر هذا التركيب وهو التركيز والاحتكار وما يهمنا هنا هو كيفية تأثير هذه الأيديولوجية الغربية على المضمون الإعلامى بشكل عام وعلى عملية الإنتاج الأخبارى بشكل خاص ، ولذلك سوف نحاول الإجابة على سؤال أساسى هو كيف تتم عملية إنتاج الأخبار وما دور مفهوم الموضوعية فى عملية الإنتاج .

أولاً : ما هو دور الصحفي فى عملية إنتاج الأخبار وإلى أى حد تعتمد هذه العملية على الأحكام التى يصدرها حول أهمية الحدث وما إذا كان يستحق التغطية أم لا .

والإجابة من المؤكد أنها تحتاج إلى دراسات أخرى . . . ولذلك فإننا هنا نتناول عملية إنتاج الأخبار باختصار وتركيز يتناسب مع أهداف هذه الدراسة وتركيزها على مفهوم الموضوعية .

إن عملية إنتاج الأخبار في العالم تتم من خلال عمل مؤسسى تتوزع فيه الأدوار على إعداد كبيرة من العاملين في المؤسسات الإعلامية ، ونتيجة لأن تكاليف إنتاج الأخبار أصبحت كبيرة فإن الوسائل الإعلامية تعتمد بشكل أساسى على وكالات الأنباء التى تقوم بدور كبير فى عملية تغطية الأخبار وإنتاجها وتوزيعها.. ويظل هناك دور للوسائل الإعلامية فى القيام بإنتاج نسبة من الأخبار التى تسعى لأن تتميز بها عن غيرها من الوسائل ولكن هذه العملية لا تعتمد على قرارات فردية من جانب الصحفيين الذين يقومون بالتغطية ، فهم جزء من مؤسسة لها روتين يومية ، وتوزيع للسلطة والمسئوليات ، وتقوم بتحديد المعايير وغير ذلك ، وهو ما يجعل قرارات الصحفيين غير مستقلة ومحكومة بمجموعة من الشروط والمعايير التى تحدد بشكل مؤسسى .

ويضاف إلى ذلك أن كل وكالات الأنباء ووسائل الإعلام لا تستطيع أن تنشر أو تبث كل ما يقع فى العالم من أحداث ، فالأنباء كثيرة جداً بحيث أننا إذا أردنا نشر كل الأنباء عن كل الأحداث التى تقع فى العالم ، فإننا نحتاج إلى وسائل إعلامية توازى آلاف أضعاف العدد الحالى من وسائل الإعلام فى العالم كله ، وهو أمر لا يمكن تصوره مهما وصلت إليه ثورة المعلومات ، ومهما أنتجت هذه الثورة من تقنيات .

وعلى ذلك فإن ما يصل إلى الجمهور هو نسبة قليلة جداً من المعلومات عن قليل جداً من أحداث العالم ، وهذه النسبة القليلة جداً تخضع لعمليات انتقائية عبر مستويات متعددة وفى هذه العمليات الانتقائية لابد من أن يتم إهمال الكثير من الأحداث والمعلومات ، والتركيز على أحداث ومعلومات معينة ، وبالضرورة فإن هذه العمليات الانتقائية تحمل الكثير من المظالم وأوجه الاختلال وانعدام العدالة .

إن عملية اختيار الأحداث التى تتم تغطيتها كثيراً ما تخضع لعمليات تكليف من المؤسسة تصدر طبقاً لشروط مؤسسية روتينية للصحفيين بتغطية أحداث معينة، ولكن هناك أيضاً أحداث يقوم الصحفيون بتغطيتها بناء على قرارات فردية يتخذونها بناء على تطبيق معايير معينة على الحدث ، والحكم على قيمته الأخبارية ، ولكن يظل هناك جوانب ذاتية فى هذه العملية سواء من جانب أولئك المحررين الذين يصدر عن التكاليفات للصحفيين بتغطية بعض الأحداث أو من جانب الصحفيين أنفسهم .

يضاف إلى ذلك أنه من الصعب أن تصل إلى الجمهور أية قصة خبرية في شكلها الأصلي الذي كتبه بها الصحفي الذي قام بالتغطية ، ولكن تمر هذه القصة من منتجها إلى الجمهور على عدد من حراس البوابات ، الذين يقومون بعمليات الحذف والإضافة والتشكيل النهائي للقصة . وكان أول من أشار إلى عملية حراسة البوابات هو ولبورشام في الستينيات. (131)

والجمهور لا يرى حراس البوابات هؤلاء .. لكنهم دائما وراء الستار يشكلون معرفة الجمهور ، ويقررون كيف يتم تصوير العالم ؟

وخلال الرحلة التي تقطعها القصة الخبرية عبر البوابات فإنها كثيرا ما تتعرض للاختصار والحذف ، والتشويه ، والتركيز على معلومات معينة ، ومصادر معينة ، وإهمال وجهات نظر أو التقليل من أهميتها .

ولكن كيف يتم اتخاذ القرارات بالحكم على القيمة الخبرية للحدث ، وكيفية تغطيته والمساحة التي يحتلها وغير ذلك من القرارات .. لقد تم تطوير منظومة من المعايير يطلق عليها القيم الخبرية .. وهذه المعايير هي جزء من الأيديولوجية الغربية لوسائل الإعلام ، وقد تم تهيئتها بشكل واسع اعتمادا على الصيغة التجارية لوسائل الإعلام وأنها تهدف إلى إعطاء الجمهور ما يريد وإلى زيادة توزيع الصحف .. لكن من المؤكد أيضا أن هذه المنظومة تهدف إلى تحقيق أغراض سياسية وثقافية .

ونظرا لطبيعة هذه الدراسة فإننا لن نتمكن هنا من شرح هذه المنظومة ، ونكتفي فقط برصد نتائج تطبيقها ، وعلاقة هذا التطبيق بمفهوم الموضوعية الذي تركز عليه هذه الدراسة .

من أهم نتائج تطبيق المنظومة الخبرية الغربية في عملية انتقاء الأخبار ونشرها :

١- التركيز على أخبار دول النخبة (الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية) حيث تحتل هذه الأخبار أهمية كبيرة ، وتركز عليها وسائل الإعلام في كل أنحاء العالم (132) وهو ما يشكل أحد العوامل المهمة التي أدت إلى الاختلال في تدفق الأنباء على مستوى العالم .

إن هذا التركيز على أخبار الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية يؤدي إلى أن تحتل هذه الدول بشكل دائم مركز دائرة اهتمام الدول والشعوب على مستوى العالم كله، ويؤدي إلى زيادة سيطرة هذه الدول على العالم من خلال خلق تصور عام لدى الجماهير عن تفوق هذه الدول .

٢- التركيز على النخبة الرأسمالية العالمية ، وهو ما يؤدي إلى المزيد من سيطرة الرأسمالية على العالم كفلسفة وكمجموعة من الشركات متعددة الجنسية التي تسيطر سيطرة احتكارية على الكثير من مجالات النشاط الاقتصادي والإعلامي أيضاً .

٣- التركيز على أخبار الأشخاص الأقرباء والمشهورين ، وغالباً ما يشكل هؤلاء جزءاً من النخبة الرأسمالية أو النخبة الحاكمة .

٣- إن هذا كله يجعل الإعلام إعلاماً تخفياً يتدفق من أعلى إلى أسفل وفي ظل ذلك تزداد سلبية الجماهير وعجزها عن المقاومة والتغيير .

٤- التركيز على الأخبار السلبية أكثر من الإيجابية ، وغالباً ما تكون الأخبار التي تنشر عن دول الجنوب سلبية وهو ما يؤدي إلى تشكيل صور نمطية سيئة لهذه الدول والشعوب الجنوبية الفقيرة .

٥- التركيز على الأشخاص وهو ما يؤدي إلى أن التغطية الإخبارية للأحداث تركز على جوانب شخصية وكثيراً ما تختزل صور الشعوب في صور بعض القادة والزعماء .

٦- التركيز على أخبار الصراع .

٧- إهمال خلفية الأحداث ، وهو ما يجعل معظم الأحداث غير مفهومة ولا يمكن تفسيرها .

٨- التركيز على الأخبار الخفيفة والسريعة ، والاهتمام عن الأخبار الصعبة ، وهو ما يحدد المعرفة التي يحصل عليها الجمهور في قضايا فردية .

٩- التركيز على الأخبار المشيرة . وقد حدد ميردوك ثلاثة مجالات رئيسية يتم التركيز

عليها هي الجريمة والجنس والرياضة ، وهذا يمكن أن يشكل عملية إلهاء عام للجماهير ، والعمل على إفقادها القدرة على البحث عن المعرفة الحقيقية .

إن هذه القيم الخبيرة التي تم تطويرها في وسائل الإعلام الغربية لا يمكن أن تحقق عرضاً موضوعياً للأحداث فهي تمثل مرآة مشوهة للواقع .. تعكس فقط ما تريده النخبة من المشهورين والأثرياء .. وإذا كانت القيم الخبيرة تعبر عن القيم الاجتماعية ، فإن القيم الخبيرة المطبقة في المجتمعات الغربية تشير إلى عالم يركز على النخبة والأحداث السلبية. (133)

يضاف إلى ذلك أن الثقافة السائدة تلعب دوراً مهماً في عملية اختيار الأخبار ونشرها ، وتؤثر على قرارات الصحفيين والمؤسسات الإعلامية في اختيار الأخبار وصياغتها وتلعب الثقافة الغربية بشكل عام دورها في تشكيل المضمون الإعلامي بالشكل الذي يخاطب الجمهور الأمريكي كما تشكل رؤية الصحفيين الغربيين للأحداث ، ويتضح ذلك في دراسة قام بها عالم الاجتماع هيرت جازر للقصص الخبيرة في وسائل الإعلام الأمريكية ، واستنتج جازر أن الصحفيين لديهم نظام قيمي أمريكي متطابق Atypical American Value System وهم يطبقون هذه القيم الأمريكية على ما ينتجون من معلومات وموضوعات صحفية ، وتؤثر هذه القيم على أحكامهم فيما يختص بالأخبار وقد حده جازر ، فيما أساسية تؤثر على الأحكام التي يصدرها الصحفيون من أهمها .

١- المركزية العرقية الأمريكية Ethnocentrism ، حيث يرى الصحفيون الأمريكيون الأشياء بعيون أمريكية وهذا يؤدي إلى تلوين الأخبار .

٢- الديمقراطية توجد جازر أن الصحفيين الأمريكيين يفضلون الديمقراطية طبقاً للنموذج الأمريكي ، ونتيجة لذلك فإنهم يصفون أشكال الحكم الأخرى بالفساد والصراع والبيروقراطية .

٣- الرأسمالية : لاحظ جازر أن الفساد وسوء السلوك في المؤسسات التجارية

والصناعية يتم تغطيته ولكن باعتباره انحرافات ومعظم الأخبار تعرض نظرة متفائلة للاقتصاد الأمريكي .

٤- الفردية : لاحظ جازز إن الصحفيين الأمريكيين يحبون القصص التي تتعلق بالأفراد الذين يستطيعون هزيمة الأقوى .

٥- الاعتدال : بالرغم من أن الصحفيين الأمريكيين يحبون تحويل الأفراد إلى أبطال فإنهم يقفون عند حدود معينة ، حيث إن المتطرفين يعاملون كمطرفين يكسرون النظام القيمي ، وتنزع عنهم الشرعية ويعتقد الصحفي الأمريكي أن نقص الاعتدال خطأ ولذلك يعامل السياسيين الذين يطرحون أفكاراً ، أو يناقشون قضايا تكون مختلفة مع النظام الأمريكي على أنهم غير معتدلين أو متطرفين .

٦- النظام الاجتماعي : إن الصحفيين يفتون أي أحداث تمثل خطراً على النظام الاجتماعي ، لكن التغطية دائماً تستهدف استعادة النظام والأمن ، فقد درس جازز تغطية وسائل الإعلام الأمريكية للأحداث العنصرية عام ١٩٦٧ ووجد أن وسائل الإعلام ركزت على جهود الجيش والشرطة لاستعادة النظام بدلاً من الوصف الدقيق للأحداث .

٧- القيادة : ينظر الصحفيون الأمريكيون إلى الأشخاص الذين يتولون القيادة على أنهم مصادر أساسية ربما لأنهم يتمتعون بالقدرة على حماية النظام الاجتماعي إذا كانت هناك أية أسدات تهدد هذا النظام ، ويقول جازز إنه لا أحد في هذا العالم يتلقى اهتماماً من وسائل الإعلام أكثر من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذي ينظر إليه على أنه حامى النظام (134) .

وهكذا فإن القيم الخبيرة ، والثقافة السائدة ، تجعل مضمون وسائل الإعلام يتمحور حول الولايات المتحدة ، ويعمل على تدعيم الوضع القائم ، وحماية النظام الأمريكي ، ويكرس السيطرة الثقافية الأمريكية على العالم .

يضاف إلى ذلك أن بعض الوسائل الإعلامية الأمريكية قد أصبحت تشكل

إشكالية الموضوعية في وسائل الإعلام

لصحفيين المرجعية في تحديد الأحداث التي يتم التركيز عليها ، وكيفية تغطيتها ، بالإضافة إلى معايير الممارسة الصحفية ، وتعتبر النيويورك تايمز ، والواشنطن بوست و CNN أهم الوسائل الإعلامية التي تشكل المرجعية بالنسبة للصحفيين ، فعندما يكون الصحفيون في شك من عملية اختيار الأخبار فإنهم في العادة ينظرون إلى جريدة النيويورك تايمز ، وكيف غطت هذا الخبر ويؤدي ذلك إلى تزايد ظاهرة التشابه الأخباري ، حيث يصف ليز براون معجزة بنيه وبين رئيس شبكة NBC وفي هذه المعجزة أبدى براون استغرابه من تشابه نشرات الأخبار في الشبكات الأمريكية الثلاث ، فرد رئيس شبكة NBC وما وجه الفجأة في ذلك أنظر إلى النيويورك تايمز إنها ركزت على القصص نفسها كما فعلنا .

إن هذا يجعل الأحكام التي تصدرها النيويورك تايمز على الأخبار تشكل مرجعية للوسائل الإعلامية الأخرى ، وللحكم على صلاحية الأخبار . (135)

كما أن وسائل الإعلام تقدم الأخبار بأسلوب متشابه يقوم على استخدام قالب الهرم المقلوب ، ويؤدي استخدام هذا القالب إلى إهمال خلفية الأحداث ، كما أن هذا القالب يرتبط - كما يقول منديتش - بأسوأ جوانب التحكم الحكومي في الصحافة ، فهو يجعل وجهات النظر الرسمية تأتي في مقدمة الخبر حيث يرى الصحفيون أنها تتضمن أهم المعلومات . (136)

ولكن إلى أي حد تلتزم وسائل الإعلام بمفهوم الموضوعية في تغطيتها للأحداث؟ لقد استخدم الباحثون المعارضون لمفهوم الموضوعية عددا من الأحداث التي توضح عدم التزام وسائل الإعلام بهذا المفهوم ، وكان أهم هذه الأحداث حرب الخليج . ولقد أوضحت الدراسات التي تناولت هذه الحرب ما يلي:-

١- إن هذه الحرب قد أوضحت أن وسائل الإعلام الأمريكية بشكل خاص والغربية بشكل عام لم تكن مستقلة ، فقد أظهرت هذه الحرب كما يقول شو أن العلاقة بين السلطات في الغرب ووسائل الإعلام قوية ، وإن وسائل الإعلام هي التي ساعدت بوش على تحقيق انتصاره في حرب الخليج . (137)

٢- إن استخدام الرقابة قد وصل إلى مستويات عالية خلال هذه الحرب التي تعتبر تطوراً خطيراً في تاريخ الرقابة ، فقبل هذه الحرب كانت الرقابة تستهدف منع وصول معلومات معينة إلى الجمهور ، أما خلال هذه الحرب فإن الرقابة لم تكتف بذلك ، بل استهدفت استخدام المعلومات التي تنشرها وسائل الإعلام لتغيير الإدراك العام لطبيعة الحرب نفسها ، والتركيز على تصوير الحرب كما رستها السلطة الأمريكية على أنها حرب بدون موت ، وبدون ضحايا حيث تم التركيز على صورة القنابل الذكية التي تصطاد الأهداف بدون وقوع ضحايا ، وكأنها حرب بدون بشر ، وكان مبرر هذا الاستخدام والأساليب التي اتبعتها وسائل الإعلام هو أن الجمهور لم يعد يؤيد الحرب التي تزدى وقوع أعداد كبيرة من الضحايا المدنيين .. هذا هو الدرس الذي تعلمه القادة الغربيون والعسكريون والمدنيون من حرب فيتنام ، التي أصبحت نموذجاً لفهم دور وسائل الإعلام في الصراعات المعاصرة . (138)

٣- قاد التلفزيون تغطية حرب الخليج ، واحتلت الـ CNN مكانة مهمة في عملية التغطية حتى أنها أصبحت تشكل المصدر الرئيسى لأخبار الحرب وقتل المرجعية الأساسية لوسائل الإعلام في تحديد الموضوعات التي يتم التركيز عليها ، والمعلومات التي تصل إلى الجماهير عبر هذه الوسائل وكانت الصحف تابعة لتلفزيون في تغطيتها للحرب ، أى أن الـ CNN وشبكات التلفزيون الأمريكية الثلاث الأخرى هي التي حددت مجال التغطية لحرب الخليج .

٤- لم تكن تغطية حرب الخليج تهتم بتوفير المعلومات للجمهور ، أو البحث عن الحقيقة ، فبالرغم من أن وسائل الإعلام الغربية كان لديها الكثير من المعلومات عن الضحايا المدنيين في العراق فإنها قامت بإخفاء هذه المعلومات ، والصور التي تصور المأساة التي ارتكبتها قوات التحالف ، حيث لم يسمح بالتصوير إلا عن طريق قوات التحالف نفسها ، واكتفت وسائل الإعلام بنقل الصور التي سمعت بها قوات التحالف دون جهد حقيقى لنقل المعلومات .. وظلت وسائل الإعلام تكتفى بنقل ما تروده قوات التحالف من أنها تتجنب الضحايا المدنيين ، وحتى عندما يتم

الكشف عن معلومات عن الضحايا المدنيين فإن وسائل الإعلام تردد ما تقوله الحكومة عن تحميل صدام حسين المسؤولية عن ذلك كما حدث عند تدمير مخبأ الأميرة فلقد تم التركيز في محطات التلفزيون على أن العراق يستخدم المدنيين كدروع بشرية (139)

٥- إن وسائل الإعلام الغربية خلال حرب الخليج قد استخدمت الأساليب التي تطورت خلال الحرب الباردة لرسم صورة نمطية للعدو وتؤدي إلى زيادة كراهية العدو والنفور منه والخوف منه ، وهو ما يؤدي بالتالي إلى التأييد العام لاستخدام كل الوسائل ضد العدو بما فيها الحرب ، وكانت استراتيجية بناء الصورة النمطية للعدو تقوم على بناء عالم الأحلام القائم على ما يصفه سميث وويلسون بالخرافات الشعبية وهي :

- نحن طيبون وهم أشرار .
- إن عدونا يقوم بقيادة مؤامرة دولية ضدنا .
- مشكلات العلاقات الخارجية يسببها عدونا .
- الاستجابة الوحيدة المناسبة هي العمل العسكري .
- المواطنون لا بد أن يؤيدوا قرارات السلطة في السياسة الخارجية .
- نحن مدافعون عن العالم الحر ولا بد أن نتحمل أي خطر لحماية هذا العالم (140)

ومن الواضح أن وسائل الإعلام قد استخدمت هذه الاستراتيجية بشكل واسع خلال حرب الخليج ، حيث تم رسم صورة لصدام تقوم على أنه يمثل خطراً على العالم - أخطر رجل في العالم - هتلر - الطفل الشرير - الكلب المجنون - يجب شنقه بشكل طويل ويطى ... الخ . (141)

٦- تبنت وسائل الإعلام خلال حرب الخليج المصطلحات نفسها التي فرضها التحالف ،

وهكذا فإن وسائل الدعاية الرسمية للتحالف لم تفرض فقط على وسائل الإعلام الصورة العامة للحرب ، بل أثرت أيضا على لغة وسائل الإعلام (142)، وكانت اللغة المستخدمة خلال هذه الحرب تهدف إلى تحقيق أهداف دعائية ، وأنها تبعد إلى حد كبير عن مفهوم الموضوعية .

٧- أوضحت دراسة شر أن الصحف البريطانية لا تختلف في تغطيتها لحرب الخليج عن وسائل الإعلام الأمريكية ، وأنها كانت مؤيدة للحرب - مؤيدة لأمريكا - مؤيدة للحكومة ، وأن الفروق بين الصحف النوعية quality وصحف التابلويد قد تناقصت بشكل كبير خلال هذه الحرب وأنها اتبعت الخطة الدعائية لقوات التحالف تماما مثل التلفزيون وكانت الجارديان هي الصحيفة الوحيدة التي عارضت دخوله الحرب بينما كانت الصن هي الصحيفة الوحيدة التي دافعت عن فكرة استخدام الأسلحة الذرية لضرب العراق. (143)

وهكذا فإنه إذا كانت الحرب العالمية الأولى واستخدام الولايات المتحدة الأمريكية للصحف في الدعاية قد أدى إلى تقديم مفهوم الموضوعية باعتبارها يمثل الحل لأزمة مصداقية الصحافة فإن حرب الخليج قد أثبتت أن هذا المفهوم - كما يرى الكثير من الأكاديميين - خرافة وأنه يستخدم في التضليل والإخفاء والتركيز على نوعية معينة من المعرفة كما أنه يمكن أن يؤدي إلى ما يطلق عليه ريتشارد هوفستيتزر "التحيز المركب" وإلى التحيز للأقوى. (144)

والآن فإن الكثير من الدراسات توضح أن وسائل الإعلام بشكل عام والصحافة بشكل خاص تعاني من أزمة مصداقية وهذا يفرض ضرورة البحث عن مفاهيم جديدة ورؤى جديدة.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة مفهوم الموضوعية ، وقدمت عرضاً للتعريفات المختلفة للمفهوم وتوصيفا نقدياً لعناصره ثم تناولت نشأة مفهوم الموضوعية وتطوره وإشكالية

الموضوعية في الواقع الإعلامي والأبديولوجيا الغربية لوسائل الإعلام ومن خلال هذه الدراسة تتضح النتائج التالية :

١- ليس هناك تعريف محدد لمفهوم الموضوعية وأن التعريفات التي قدمت لهذا المفهوم قد ركزت على نفي صفات معينة مثل الذاتية والتحيز والتحزب ويرجع ذلك إلى غموض المفهوم وأنه لم يكن نتاجا لنظرية تم بحثها وأنه مفهوم مملوء بالتشويش الدلالي

٢- يتكون مفهوم الموضوعية من ستة عناصر على النحو التالي :-

أ - البحث عن الحقائق ونشرها : ويتطابق مفهوم الحقيقة مع مفهوم المعلومات وذلك كنتيجة لنموذج التركيز على المعلومات الذي تطور في وسائل الإعلام الغربية وأن هذا التركيز على المعلومات قد أدى إلى تناقص القدرة على تحليل المعلومات وتفسيرها .

ب - مصادر المعلومات : يقوم مفهوم الموضوعية على التركيز على المصادر الرسمية باعتبارها المصادر الموثوق بها ، والتركيز على النخبة السياسية والاقتصادية والثقافية كما أن الاعتماد على المصادر المجهلة يتيح للصحفيين إمكانية نشر معلومات غير حقيقية وهو ما يؤدي إلى تناقص مصداقية وسائل الإعلام .

ج - الفصل بين الخبر والرأي : ويعتبر هذا العنصر أكثر العناصر التي حظيت بقدر من الاتفاق حولها ، لكن في الفترة الأخيرة ظهرت بعض الانتقادات لهذا العنصر من أهمها أنه يحرم المواطنين من رؤية الصحفيين للأحداث ومن معرفة مشاعر الصحفيين وانطباعاتهم عن الأحداث التي يقومون بتغطيتها .

د - الحياد وعدم التحيز : وقد أوضحت الدراسة أن التحيز ظاهرة واضحة في وسائل الإعلام الغربية وأن الحياد لا يمكن تحقيقه وأن مفهوم الموضوعية يمكن أن يستخدم لإخفاء الوسائل الإعلامية لتحيزاتها بدلا من إعلان هذا التحيزات.

د - عدم التحزب : بمعنى عدم الانتماء إلى الأحزاب السياسية أو تفضيل وجهة نظر حزب على آخر وهو ما أدى إلى التقليل من مصداقية الصحف الحزبية لصالح وسائل الإعلام التجارية وقد أوضحت الكثير من الدراسات أن هذه الفكرة غير واقعية وأن ممارسات الوسائل الإعلامية تتناقض مع هذه الفكرة .

و - التوازن : بمعنى عرض وجهات النظر المختلفة . . . لكن هذا التوازن كثيراً ما يكون شكلياً . . . ويقوم على الاختيار الزائف للقضايا والمصادر ومعاور النقاش وأن وسائل الإعلام تستخدم فكرة التوازن لتحقيق التشويق وليس للتعبير عن تعددية الآراء وتنوعها .

٣- أوضحت الدراسة أن مفهوم الموضوعية قد نشأ خلال القرن التاسع عشر ، نتيجة لظهور الصحافة التجارية وغيصة الثمن وتغيير القاعدة الاقتصادية للصحافة كما أن هذا المفهوم قد استخدمته وزارة الدفاع الأمريكية خلال الحرب الأهلية الأمريكية لإجبار الصحفيين على الاعتماد على المصادر الرسمية وإعطاء أهمية أكبر للبيانات الرسمية عن الحرب وتطور هذا المفهوم عقب الحرب العالمية الأولى فقد استخدم كوسيلة لزيادة مصداقية الصحافة .

وظهر أول تحد لمفهوم الموضوعية في ستينيات القرن العشرين حيث ظهر مفهوم الصحافة الجديدة الذي أعلن العداء لمفهوم الموضوعية كما شهدت تسعينيات القرن العشرين موجة واسعة من النقد لمفهوم الموضوعية وكان ذلك نتيجة لتطور تكنولوجيا الاتصال وظهور أشكال اتصالية جديدة مثل الإنترنت وزيادة المخاطر التي تواجهها الصحافة بشكل خاص ووسائل الإعلام التقليدية بشكل عام .

٤- أوضحت الدراسة أن الواقع الإعلامي لا يوفر إمكانية لتطبيق مفهوم الموضوعية فعلى المستوى الدولي تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية ودول الشمال الغنية على النظام الإعلامي الدولي وإن تدفق الأنباء في العالم المعاصر يتميز بالاختلال وعدم العدالة .

وعلى مستوى الولايات المتحدة الأمريكية ودول الشمال تسيطر الاحتكارات الكبرى (الشركات متعددة الجنسية) على وسائل الاتصال وتستخدم هذه السيطرة في تدعيم الوضع القائم الذي يحقق لهذه الشركات أكبر قدر ممكن من الأرباح .

٥- أوضحت الدراسة أن الفلسفة الغربية لوسائل الإعلام تتناقض مع مفهوم الموضوعية ففي ظل هذه الفلسفة يتم اختيار الأخبار ونشرها اعتمادا على مجموعة من المعايير التي تم تطويرها في الغرب والتي تؤدي إلى التركيز على النخبة وإشباع الرغبات الفردية ومعاملة الإنسان كمستهلك وليس كمواطن .

انطلاقا من هذه النتائج فإننا يمكن أن نطرح السؤال التالي : هل مفهوم الموضوعية يتناسب مع معطيات ثورة المعلومات وتطور تكنولوجيا الاتصال ؟

إن هذه الثورة الاتصالية والمعلوماتية تفرض على الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى مثل الإذاعة والتليفزيون ضرورة المراجعة الشاملة للكثير من المفاهيم التي استخدمت طوال القرن العشرين وأن تبحث لها عن أدوار ووظائف جديدة وأساليب جديدة في توفير المعرفة للجماهير وهو ما يمكنها من الصمود ويوفر لها إمكانية للحياة والمنافسة الوسائل الاتصالية الحديثة وإذا لم تقوم بذلك فإن مستقبلها يتعرض للخطر .

والسؤال هو ما الوظائف المتميزة التي يمكن أن تقوم بها الصحافة المطبوعة ؟ وهل نموذج التركيز على المعلومات الذي تطور في ظل الحضارة الغربية يمكن أن يكون صالحا للصحافة في القرن الحادي والعشرين .

إن الوسائل الاتصالية الحديثة خاصة الإنترنت يمكن أن توفر المعلومات بشكل أفضل وأسرع . . . لكن الإنسان لا يحتاج إلى المعلومات فقط . إنه يحتاج إلى تحليل هذه المعلومات وتفسيرها والآراء المختلفة والمناقشة الحرة لكل قضايا المجتمع والشؤون الدولية . . . لذلك فإن الصحافة المطبوعة يمكن أن تركز على القيام بالوظائف التالية :

١- التغطية الشاملة والمتعمقة للأحداث والتي تقوم على تحليل الأحداث وتفسيرها . . . وعرض وجهات النظر المختلفة حولها ووصف الصحفي لهذه الأحداث

بشكل متميز يعتمد على معايشة الصحفي الحدث ، وعرض معصلة تجربته في معايشة للحدث . . . ومعايشة الجماهير ، بدلا من الاعتماد على المصادر الرسمية ، والتخبة .

وفي ضوء ذلك لابد من الاعتراف بأهمية التجربة الذاتية للصحفي وعدم نفي المشاعر والانطباعات الذاتية فهذا النفي غير واقعي ولا يمكن تحقيقه وبالإضافة إلى ذلك فإن الجمهور يريد أن يعرف هذه الانطباعات والمشاعر الذاتية والآراء الخاصة للصحفي الذي عايش الحدث وهو ما يمكن أن يعطى للتغطية أبعادا أكثر تشويقا . إننا نحتاج إلى أن نتعامل مع الصحفي كإنسان وليس كآلة فهو لا يمكن أن يكون آلة . . . إنه إنسان ونحن نريده أن يكون إنسانا يتحدث إلينا من موقع الحدث كإنسان يحب ويكره مثلنا وينحاز للحق مثلنا ويرصد لنا مشاعر البشر وآلامهم وأحزانهم وما يقع عليهم من ظلم وما يقومون به من مقاومة وما يحققون من انتصارات وما يتعرضون له من هزائم .

إن مستقبل الصحافة يحتاج إلى الصحفي الإنسان الذي يتعامل مع الجمهور كمواطنين وليس كمستهلكين . . . لا يهتم بتسليةهم ولكن يهتم بإثارة وعيهم ودفعهم للتفكير وتقديم النماذج والتجارب الإنسانية الحية التي يمكن أن يتفاعلوا معها في كل مراقف الحياة .

وبحسب مستقبل الصحافة إلى الصحفي الأكثر جرأة وشجاعة الذي لا يحتاج إلى إخفاء تحيزاته خلف مجموعة من الإجراءات والطقوس التي تعرف بالموضوعية ولكنه يعلن انحيازه بوضوح وعلى هذا الأساس يمكن للجمهور أن يتعامل معه . . . إن إعلان الصحفيين لتحيزاتهم هو الذي يمكن الجمهور من فهم ما ينتجونه من مواد صحفية . وهو الذي يمكن أن يحقق احترامهم لأنفسهم واحترام الجمهور لهم .

إن مستقبل الصحافة يحتاج إلى الصحفي الذي يمتلك اقتناعات فكرية ويشارك على أساسها بفعالية في شئون المجتمع وليس ذلك الصحفي المنفصل عن المجتمع والذي لا يهتم بما يحدث ويمتقد أنه يؤدي واجبه ينقل المعلومات بالاعتماد على المصادر الرسمية .

٢- إدارة المناقشة الحرة ونقلها إلى الجماهير . . وإدارة المناقشة لا بد أن تتم من خلال صحف متعددة ومتنوعة تمثل جميع الاتجاهات السياسية والفكرية وهذا يتطلب فتح المجال لإصدار الصحف .

يضاف إلى ذلك أن هذه المناقشة يجب أن يشارك فيها الجمهور ولا تقتصر على النخب كما أنها تقوم على اختيارات صحيحة لقضايا ومحاورة النقاش بمعنى أن تكون القضايا لها أهمية بالنسبة للمجتمع يضاف إلى ذلك أن الرأي وليس الخبر هو ما يمكن أن تتميز به الصحف المطبوعة عن غيرها من الوسائل الإعلامية لذلك فإنه لا بد من زيادة عدد الصفحات المخصصة للرأي وإعطاء اهتمام أكبر لوسائل القراء .

لذلك لا يمكن القيام بهذه الوظائف وصنع مستقبل جديد للصحافة دون تحطيم صنم الموضوعية الزائف كما وصفه بحق جون كاتز ، حيث أنه يشكل عقبة أمام مسئولية الصحافة نحو المجتمع . . لكن هل يمكن التفكير في بناء مفهوم بديل ؟

إن المفهوم البديل الذي يمكن أن يقوم عليه مستقبل جديد للصحافة هو مفهوم العدالة بمعناها الشامل وليس مفهوم الموضوعية . . ذلك أن مفهوم الموضوعية يقوم على عدم قيام الصحفيين بأفعال معينة وفصل الصحفيين عن المجتمع وتحويلهم إلى آلات وبالتالي فهو مفهوم سلبي أما العدالة فإنه مفهوم إيجابي يوجه الصحفيين إلى القيام بأفعال معينة لصالح المجتمع وبالتالي يبنى مسئوليتهم تجاه المجتمع والجمهور .

إن الإنسان يمكن أن يكون عادلاً لكنه لا يمكن أن يكون موضوعياً ذلك أن الموضوعية تتطلب أن ينفي الصحفي ذاتيته وانتماءاته وعواطفه ومشاعره وتحيزاتاته . أما العدالة فإنها لا تتطلب ذلك . . بل تتطلب القيام بفعل إيجابي يتحثل في السعي لتحقيق العدالة كقيمة أساسية في الحياة . . بما يتطلبه ذلك من الرفاء بالحقوق للجميع وعدم الظلم والسعي إلى مقاومة الظلم .

إن الموضوعية تتطلب أيضاً من الصحفي أن يتخلى عن آرائه وينفصل عن المجتمع . . وهذا ظلم للصحفي يتنافى مع العدالة التي تتطلب أن يعبر الصحفي عن آرائه . .

وفي الوقت نفسه يدرك أن اقتناعه بصحة رأيه لا ينفي احتمال صحة آراء الآخرين . .
وأن من حق الآخرين أن يعبروا عن آرائهم كما يعبر هو عن رأيه . . ومن واجبه أن
يمكنهم من ذلك حتى وهو يختلف معهم .

إن مفهوم العدالة أيضاً يفرض على الصحفي أن يتأكد من صحة المعلومات التي
ينشرها ودقتها، مهما يكن مصدرها وأن يقوم بتصحيح أية أخطاء في هذه المعلومات
وأن يعتمد في استقاء معلوماته على مصادر متعددة ومتنوعة وليس فقط على المصادر
الرسمية .

يضاف إلى ذلك أن مفهوم العدالة هو مفهوم نابع من الحضارة العربية والإسلامية
ولذلك فإننا يمكن أن نتفاعل معه ونفهمه ، وندرب أنفسنا عليه بدلا من ذلك المفهوم
الغريب (الموضوعية) .

لكن مع ذلك فإن مفهوم العدالة يحتاج إلى دراسة أخرى تستهدف وصف عناصره
وكيفية تطبيقه في مجال الإعلام .

دور الصحف الحزبية في تشكيل اتجاهات الشباب نحو الأداء الحكومي بمصر

دراسة تطبيقية لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام

مقدمة

* تلعب وسائل الإعلام دوراً أساسياً في إدارة المواقف الصراعية داخل المجتمعات التي تهدف إلى إحداث تحولات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية تتعارض وجهات النظر حولها، ويعتمد أفراد الجمهور على الجرائد في متابعة المراحل الأولى لمواقف الصراع داخل المجتمع ثم يصبح التليفزيون بعد ذلك المصدر الأساسي للحصول على المعلومات، وتظهر تأثيرات وسائل الإعلام في بناء تصورات الجمهور منذ المراحل المبكرة بما يبرز أهمية الدور الذي تلعبه الصحف في ذلك . (١)

وقد خلقت التجربة الحزبية الثانية في مصر (١٩٧٧) وما أفرزته من إصدارات صحفية حالة من الصراع في تقييم الأداء الحكومي (التنقيضي) بشكل أساسي، وأصبحت الصحيفة أحد الأنواع الأساسية في إدارة الصراع الحزبي خصوصاً بعد تحول بعض الصحف الحزبية الأسبوعية إلى صحف يومية (الوقد / الأحرار)، الأمر الذي أعطى هذه الصحف ثقلًا أكبر في طرح الرأي العام الآخر أو الجانب الآخر من صورة الحكومة في مقابل الجرائد القومية الثلاث التي تصدر صباحاً بشكل يومي (الأهرام - الأخبار - الجمهورية).

ففي إطار ما تطرحه الصحف الحزبية من تصورات حول الأداء الحكومي الداخلي والخارجي فإنه من الوارد أن تؤثر قراءة هذه الصحف في حالة اعتماد الجمهور عليها كأحد مصادر الحصول على المعلومات على اتجاهه نحو الأداء الحكومي حيث تدخل كعامل وسيط في تحديد طبيعة الدور الذي تلعبه الجرائد القومية في بناء اتجاهات ذات طابع إيجابي حول الأداء الحكومي.

الإطار النظري للدراسة

تتأسس هذه الدراسة في إطار نموذج الاعتماد على وسائل الإعلام -Dependen- cy Model of Mass Communication والفكرة الأساسية داخل هذا النموذج تقبلود في أن المتلقي داخل المجتمعات الحديثة يعتمد على وسائل الإعلام كمصدر معلومات تسهم في تكوين معارفه ومدرجاته، وتوجهاته إزاء ما يقع في المجتمع، ويتوقف نوع ودرجة الاعتماد على وسائل الإعلام على مجموعة من الشروط البيئية: أولها وأهمها الدرجة التي ينظر بها المجتمع إلى أنه يمر بحالة تغير أو تحول، وثانيها أن وسائل الإعلام تخدم العديد من الوظائف والأهداف الإعلامية الواضحة والمحددة^(٢)

ويرصد هذا النموذج ثلاثة أنواع من التغيرات المتعلقة بالتأثير المعتمد على وسائل الإعلام تتمثل في^(٣)

١- مجموعة التأثيرات المعرفية Cognitive ويتحدد في :

- خلق أو حل الغموض.

- بناء الاتجاهات.

- ترتيب الأولويات.

- امتداد وتوسع أنظمة الاعتقادات الخاصة بالجمهور.

٢- مجموعة التأثيرات الوجدانية Affective ويتحدد في:

- خلق الخوف أو القلق.

- زيادة أو تخفيض حالة الاغتراب.

- بناء أو حل القضايا.

- إثراء أو التزويد باستراتيجيات للفعل.

فالجمهور يعتمد على وسائل الإعلام في تكوين اعتقاداته واتجاهاته إزاء الأحداث التي تقع داخل الواقع المحيط به وما يترقب عليها من سلوكيات وردود أفعال إزاء هذه الأحداث، وتختلف أوضاع المتلقي في علاقته بالنظام الاجتماعي والتحول التي تحدث بداخله والتي قد تحقق مكاسب للبعض في حين تؤدي إلى خسائر للبعض الآخر، كما تختلف درجة الاعتماد على وسائل الإعلام كأحد المصادر المساعدة في الحصول على معلومات حول الأوضاع الاجتماعية السائدة.

وفى ظل التباين والاختلاف فيما تقدمه الصحف الحزبية من معلومات (كميا ونوعيا) مقارنة بالصحف القومية، وفى ظل التباين فى درجة المصادقية الخاصة بالتوعيتين من الصحف وحجم سلطتها على المتلقى، فى ظل هذه التباينات يمكن أن تصبح الصحف الحزبية أكثر مركزية فى تكوين التصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية بالنسبة للبعض أكثر من البعض الآخر وهو ما تبحثه هذه الدراسة.

الدراسات السابقة

فى إطار نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام فى الحصول على المعلومات وتكوين اعتقادات واتجاهات الجمهور نحو الأحداث التى تقع داخل المجتمع تم رصد مجموعة من الدراسات التى تبحث فى هذا الإطار، ومن أبرز هذه الدراسات ذات الصلة بموضوع دراستنا:

Effects of Newspaper Coverage on Community Issue Concerns and Local Government Evaluations.

فى إطار ما تذهب إليه النظريات الاجتماعية من أن وسائل الإعلام والعناصر الأخرى للنظام الاجتماعى تؤثر فى بعضها البعض بمرور الوقت، واستخدام نتائج ثمانية دراسات مسحية أجريت على مدار ثمانية سنوات وتحليل مضمون عدد من الصحف اليومية الحضرية قام الباحث بفحص العلاقة بين التغطية لقضايا المجتمع ودرجة الاهتمام العام بها وتقييمها للخدمات الحكومية.

وقد أوضحت النتائج أن كمية التغطية الصحفية كانت مرتبطة بالمستويات العليا للاهتمام بها وتقييمها للخدمات الحكومية المتعلقة بقضايا المجتمع، فى حين كان هناك اهتمام أقل بتقييم خدمات الحكومة، وقد أظهر تحليل السلاسل الزمنية وجود تأثير من اتجاهين بين التغطية الصحفية والاهتمامات العامة بالقضايا التى تنشرها الصحف، فى حين كان للتغطية الصحفية تأثير من اتجاه واحد على تقييم خدمات الحكومة.

Crime News and Real World Blues of The Media on Social Reality (5).

قام الباحثان بفحص تأثير الانتباه إلى أخبار الجريمة بالتلفزيون وبالجرائد على الإدراك العام والاتجاهات والسلوكيات المتعلقة بالجريمة وذلك باستخدام أسلوب المسح على مرحلتين لذات العينة التى تكونت من مجموعة من المراقبين.

وقد ثبت من الدراسة أن هناك علاقة بين زيادة درجة الانتباه إلى أخبار الجريمة في التليفزيون وزيادة الإحساس بالخوف وتجنب النشاط، ولم توجد علاقة مماثلة فيما يتعلق بالتعرض لأخبار الجريمة في الصحف رغم وجود علاقة بين زيادة الاهتمام بهذه النوعية من المواد الصحفية وزيادة قارئية الصحف.

Media Exposure and Beliefs about Science and Technology.

تستخدم هذه الدراسة نموذج الاعتماد على وسائل الإعلام لفحص تأثير التعرض للمعلومات العلمية داخل وسائل الإعلام على اعتقادات الأفراد حول العلم والتكنولوجيا، وقد وجدت هذه الدراسة أن التعرض للمعلومات العلمية داخل وسائل الإعلام يؤدي إلى تبني أكبر لفكرة تقدم العلم والتكنولوجيا في اتجاه السيطرة على البيئة المحيطة بالإنسان، في حين أن الاعتقاد حول مسائل علمية وتكنولوجية محددة (مثل ضرورة الاحتفاظ بالتفوق العلمي والتكنولوجي لأسباب تتعلق بالأمن القومي) يعتمد على ارتفاع درجة الاهتمام العام بالتعرض للمواد المتعلقة بالشئون العامة وقضايا الواقع الاجتماعي.

مشكلة الدراسة

تتمثل هذه الدراسة في اختبار تأثير قراءة جريدة الوفد الحزبية اليومية على تكوين اتجاهات سلبية لدى قراء الصحف اليومية في تقييم الأداء الحكومي في مصر، وذلك من خلال التحليل الدلالي لعنوان الموضوع الرئيسي لعينة من الأعداد الصادرة من جريدة الوفد، لاستخلاص مجموعة من التصورات التي تطرحها الجريدة حول طبيعة الأداء الحكومي وصياغتها في مقياس اتجاهات بغرض اختبار قراءة هذه التصورات على اتجاه قراء الصحف اليومية في مصر نحو الأداء الحكومي بها.

أهداف الدراسة

وتتحدد في هدفين رئيسيين:

- ١- رصد مجموعة التصورات المطروحة داخل العناوين الرئيسية بصحيفة الوفد وتوزعها على الحقول الدلالية المختلفة.
- ٢- رصد تأثير قراءة الوفد على تكوين اتجاهات خاصة بتقييم الأداء الحكومي لدى قراء الصحف اليومية.

فروض الدراسة

يتمثل الفرض الرئيسى لهذه الدراسة فى أن هناك علاقة بين اعتماد القارئ على الصحيفة الحزبية كأحد مصادر المعلومات الخاصة بالأداء الحكومى وتكوين اتجاهات سلبية لديه عند تقييم هذا الأداء، على أساس أن المعالجة الصحفية داخل الجرائد الحزبية المتعلقة بأداء الأجهزة التنفيذية بالدولة تأخذ اتجاه الانحياز المضاد خصوصاً من خلال عنوان الخبر الرئيسى أو المانشيت الصحفى للجريدة.

وفى إطار هذا الفرض تتحقق الدراسة من ثلاثة فروض أخرى فرعية تتعلق بتأثير ثلاثة متغيرات أخرى وبسيطة تتدخل فى تحديد هذه العلاقة، ويتمثل هذه الفروض فى:

١- تتأثر العلاقة بين قراءة الصحف الحزبية وتكوين اتجاهات سلبية لدى القارئ حول الأداء الحكومى بدرجة انتظامه فى قراءة هذه الصحف.

٢- لا تتأثر العلاقة بين قراءة الصحف الحزبية وتكوين اتجاهات سلبية لدى القارئ حول الأداء الحكومى بدرجة اعتقاده فى صحة المعلومات المنشورة داخل هذه الصحف.

٣- لا تتأثر العلاقة بين قراءة الصحف الحزبية وتكوين اتجاهات سلبية لدى القارئ حول الأداء الحكومى بدرجة اعتقاده فى توازن المعالجة الصحفية لمسألة الأداء الحكومى داخل هذه الصحف.

الإطار المنهجى للدراسة:

١- منهج وعينة الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة منهج المسح فى مستواه الوصفى Descriptive والتحليلى Analytical لوصف وتحليل التصورات المطروحة داخل عناوين الموضوع الرئيسى على الصفحة الأولى داخل جريدة الوفد، وكذلك وصف وتحليل اتجاهات قراء الصحف اليومية فى مصر حول الأداء الحكومى فى علاقته بقراءة جريدة الوفد.

وقد قام الباحث بتحليل العناوين الرئيسية داخل الأعداد الصادرة من هذه الجريدة خلال الأشهر الثلاث الأولى من عام ١٩٩٧: يناير/فبراير/مارس (وهى أقرب فترة إلى الدراسة)، وقد اقتصر المجال التطبيقى على جريدة الوفد، وتم استبعاد الصحف الحزبية الأسبوعية لأن الدور الحيوى للمانشيت الصحفى يظهر داخل الصحف اليومية بحكم غلبة الطابع الخبرى على الأولى، ومن المعلوم أن مانشيت الجريدة يرتبط بالموضوع الخبرى الرئيسى بها.

أما استبعاد الأحرار كصحيفة حزبية يومية من الدراسة فقد كان السبب فيه هو حداثة تجربة الجريدة في الإصدار اليومي، حيث لم يمر على هذه التجربة سوى سنتين ويضع شهوور وذلك على عكس جريدة الوفد التي تصدر يومياً منذ ما يقرب من عشر سنوات. (١)

وعلى المستوى الميداني قام الباحث بتطبيق مقياس الاتجاه على عينة من طلاب جامعة القاهرة (١٠٠ مفردة) تم اختيارهم طبقاً لقواعد العينة الحصصية العشوائية بأسلوب التوزيع المتساوي، حيث تم اختيار عدد عشرة طلاب بشكل عشوائي في إطار عشر كليات (٢).

٢- أدوات جمع البيانات :

وقد تشكلت في أداتين:

١- التحليل الدلالي: وذلك لجمع البيانات الخاصة بتحديد الحقول الدلالية التي تبرز التصورات التي تطرحها جريدة الوفد حول الأداء الحكومي من خلال تحليل الكلمات الرئيسية على صفحات الجريدة خلال فترة البحث وتوزيعها على الحقول الدلالية المختلفة.

٢- الاستبيان:

وذلك لجمع البيانات الخاصة بقياس اتجاهات القراء نحو الأداء الحكومي بمصر في علاقته بقراءة جريدة الوفد بما تحاول تكريسه من تصورات حول درجة نجاح أو فشل هذا الأداء، وقد تم اختبار درجة الثبات الخاصة بمقياس الاتجاه المتضمن داخله على عدد عشرة أفراد من مجموع العينة (مائة مفردة)، وثبت وجود معامل ثبات مرتفع بلغ ٩٥٪ حيث تعد الاتجاهات من المسائل التي تخضع للثبات وعدم التغير السريع أو الفجائي.

٣- التحليل الإحصائي للبيانات:

تعتمد هذه الدراسة في تحليل البيانات الخاصة بها على معاملين:

١- معامل كاي ٢ بيرسون الخاص Pearson Chi - Square لقياس العلاقة بين الاعتماد على الصحف الحزبية كمصدر للمعلومات وتكوين اتجاهات سلبية حول الأداء الحكومي.

٢- معامل الارتباط الجزئي Partial Correlation لقياس تأثير درجة الانتظام في قراءة الصحيفة الحزبية على اعتقاد القارئ في صحة المعلومات المنشورة بها واعتقاده في درجة التوازن في معالجة المسائل المتصلة بالأراء الحكومي وتحديد درجة هذه العلاقة.

الباب الأول

المفهوم الدلالي للمصطلحات الأساسية

داخل عناوين الأقسام الرئيسية بجريدة الوفد

تلمح الموضوعات الرئيسية داخل الصحف الحزبية دوراً مهماً نظراً للطابع التنافسي الذي يتركه بيع هذه النوعية من الجرائد خصوصاً في حالة تعددها وتباين الاتجاهات التي تعبر عنها، وتتدخل هذه النوعية من الصحف في نوعين من المنافسة:

١- المنافسة الداخلية: وهي تلك المنافسة التي تقع بين الصحف المختلفة التي تصدرها الأحزاب المصرية، ورسم أن كل صحيفة من هذه الصحف (وخصوصاً الأسبوعية) في حالة استبعاد جريدها الوفد والأخبار اليومية) تصدر في يوم مختلف، إلا أن طبيعتها الأسبوعية تجعلها لا تلاحق في نفس يوم صدورها بل تستمر في المرحض لأيام تالية لتنافس صحفاً حزبية أخرى، ومن هنا يأتي دور العنوان الذي يفي أن يستغل في منافسة لبيع الجريدة.

٢- المنافسة الخارجية: وذلك مع الصحف الأخرى غير الحزبية (التي اصطلاح على تسميتها بالقومية) التي تصدر بشكل يومي متلاحق لتدخل في منافسة مع الصحف الأخرى على القارئ.

وعادة ما يتولى كتابة العنوان الخامس بالموضوع الرئيسي على الصفحة الأولى لجنة عمل يوكل إليها ذلك والتي تتاول الأكرام عند الصياغة بمجموعة من القواعد الأساسية التي تتعلق في معظمها باستخدامات اللغة المعبرة والدالة على مضمون الخبر الرئيسي (٧)

وقد يكون من أهم ما لفتت نظريات اللغة الحديثة النظر إليه هي قضية الوساطة بالنسبة للعلوم الإنسانية، فهذه العلوم تختلف عن العلوم الطبيعية من حيث المادة التي تتعامل معها وهي مادة موجودة في الطبيعة، في حين تتعامل العلوم الإنسانية مع مادة يبدعها الإنسان هي "العلاقات" فالحياة الفردية والاجتماعية تتجلى في شكل علامات هي العامل المادي الذي نتاوله العلوم الإنسانية، ولكن هذا العامل المادي أو الدال ليس

الغاية ولكنه مجرد وسيط يعبر عن أشياء غير مادية موضوعها الذهن البشرى، ومن هنا تنشأ معضلة العلوم الإنسانية في محاولة استقراء هذه العلاقات بشكل موضوعي (٨)

إن تحليل اللغة هو أكثر الطرق موضوعية ومنهجية لفهم وتوصيف واكتشاف المضمون داخل النص الصحفي، ومن أبرز الأدوات المنهجية التي يمكن أن تستخدم في تحليل هذه النوعية من النصوص على المستوى العلاماتي أداة التحليل الدلالي "Semiological Analysis" ويقصد بالسينيولوجية علم العلاقات العام، فهي تبحث في كافة الأنظمة الرمزية ذات الدلالة حتى ما كان منها خارجاً عن نطاق اللغة، وإن كانت تركز بدرجة أكبر على النظام الرمزي للغة باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان (٩)

ويعتمد التحليل الدلالي للنصوص الصحفية على رصد العناصر الدالة داخل النص، سواء كانت هذه العناصر دالة بالنسبة للمحلل في حد ذاته في إطار المشكلة البحثية التي يتناولها وأهدافه البحثية التي يهدف إليها، أو في إطار القيمة التعبيرية لهذا العنصر داخل النص بغض النظر عن وجهة نظر المحلل، وبالتالي يمكن التفرقة بين الثوابت الدلالية داخل النص الصحفي، وهي تلك العناصر ذات القيمة التعبيرية الثابتة، والمتغيرات الدلالية التي تختلف قيمتها من باحث إلى آخر طبقاً لنوع القراءة النصية التي يقوم بها.

وإذا نظرنا إلى النص الصحفي من الوجهة البنيوية اللغوية فإننا نجد الكلمة المفردة والتراكيب يمثلان جوهر عناصر البنى الدلالية بداخله، وتعرف الكلمة من الوجهة الدلالية على أنها "أصغر شكل حر يمكن إفراده من الكلام، ومن الواضح أن هذا التعريف يركز على الجانب الشكلي أو بعبارة أخرى الجانب الصرفي" (١٠)

وإذا نظرنا إلى الوحدات الفنية التي يتكون منها النص الصحفي عموماً والتي تشمل: العنوان، والمقدمة، والمثن، والخاتمة (إن وجدت) كوحدات دالة سنجد أن مقدار الدلالة داخل كل وحدة من هذه الوحدات تقل تنازلياً كلما انتقلنا من العنوان إلى المقدمة إلى المثن.

فمن المفروض أن العنوان الصحفي هو أكثر الوحدات الفنية دلالة على المضمون داخل النص الصحفي بحيث يشكل أداة القارئ في اختيار الموضوعات الصحفية التي يرغب في متابعة تفاصيلها، وداخل العنوان تلعب الكلمة دوراً أساسياً في بنيته إلى

الحد الذي يمكن معه أن يتكون العنوان من كلمة واحدة فقط في بعض الأحيان، وفي حالة تشكل جملة العنوان من أكثر كلمة فعادة ما تكون هناك كلمة رئيسية Key Word أو أكثر تحمل المضمون الأساسي بداخله فمن الضروري أن توزن كل كلمة داخل العنوان بعناية شديدة، ومن المهم الانتباه إلى وضع الكلمات الرئيسية بداخله، ومن الأفضل أن يتم وضع الكلمة الرئيسية في بداية جملة العنوان حيث يؤدي ترحيلها من هذا الموضع إلى إضعاف القدرة التأثيرية لها. (١١)

وبذا فإن الكلمات الأساسية داخل العناوين الخبرية تمثل العناصر الدالة بداخلها والتي تشكل أساس التحليل الدلالي لها، ومن خلال رصدها يتم تكوين شبكات الحقول الدلالية التي تهدف الصحفية إلى غرسها في ذهن القارئ بشكل منظم وهادف، وخصوصاً من خلال المانشيت الصحفي اليومي والذي يمثل أكثر أنواع العناوين دلالة على صفحات الجرائد.

وقد وجد من التحليل الدلالي لمانشيتات جريدة الوفد خلال فترة الدراسة أن الإطار البنوي الدال لعناوين الموضوعات الرئيسية على صفحات جريدة الوفد يتشكل من ثلاثة مكونات وذلك بعد استبعاد الكلمات الوظيفية (مثل كلمات الصلة وحروف الجر وغيرها من مفردات لاتحمل معنى جزئياً في ذاتها) وتتمثل في:

١- الكلمة الرئيسية Key Word وهي كلمة مفردة في أغلب الأحيان.

٢- كلمة أو عبارة الصلة: وهي الكلمة أو العبارة التي تصل الكلمة الرئيسية بالمكون الثالث الذي يتم المعنى الذي يحمله نص جملة العنوان.

٣- عبارة إكمال المعنى: وهي العبارة التي يتم بها المعنى الذي يحمله نص جملة العنوان.

وبتحليل الكلمات الرئيسية داخل عناوين الموضوعات الرئيسية بجريدة الوفد وجد أنها تتوزع على ثلاثة حقول اسمية:

١- الأسماء العامة: ويقصد بها ألقاب الأشخاص كالوزراء ورؤساء مجلس الشعب والشورى وأسماء المؤسسات المختلفة داخل الدولة.

٢- الأسماء المشتقة: ويقصد بها الأسماء المعبرة عن معان مشتقة من أفعال كالمصادر واسم الفاعل واسم المفعول.

٣- الأسماء الشخصية: ويقصد بها الأسماء الخاصة بال شخصيات والجماعات

والأماكن المشهورة والتي يعرفها القارئ جيداً، ويوضح الجدول التالي التوزيعات التكرارية والنسبية لكل نمط هذه الأنماط الثلاث:

جدول رقم (١)

يوضح توزيع المفردات الرئيسية داخل مانشتيات الوفد على أنواع الأسماء المختلفة

النسبة	التكرار	الكلمة الرئيسية
٢٣,٥ %	٥٠	أسماء عامة
٤٩,٧ %	٧٤	أسماء مشتقة
١٦,٨ %	٢٥	أسماء شخصية
١٠٠ %	١٤٩	المجموع

يلاحظ من الجدول السابق أن هناك توازناً في توزيع الكلمات الرئيسية داخل عناوين الوفد بين الأسماء المعبرة عن ألقاب مسئولين ومؤسسات أو أسماء شخصية بأنواعها المختلفة، والأسماء المعبرة عن أحداث (الأسماء المشتقة) ويدل ذلك على أن الجريدة تلتزم بمقدار من التوازن في التركيز على الأحداث في ذاتها بغض النظر عن فاعليها أحياناً، وفي التركيز على محركات الأحداث بغض النظر عن هذه الأحداث في ذاتها وذلك في أحيان أخرى.

أولاً: توزيع المفردات المعبرة عن الأسماء العامة داخل العناوين الرئيسية بالوفد:

تبالغ جريدة الوفد عند استخدام الأسماء العامة داخل العناوين في توزيع ألقاب المسئولين بين اللجوء في أغلب الأحيان إلى استخدام أسمائهم وذلك في محاولة لتغيب هذه الأسماء وعدم تكرارها لدى جماهير القراء ومحاولة أيضاً تطرح رؤية مؤسسية للأوضاع في مصر بغض النظر عن الأشخاص الذين يمثلون هذه المؤسسات - وتركز الأسماء العامة التي تستخدمها الجريدة في مسئولى الدولة بمستوياتهم المختلفة في الوقت الذي تختفى فيه الأسماء المعبرة عن أية تنظيمات شعبية أو اجتماعية أخرى وذلك باستثناء حزب الوفد الذي تنطلق الجريدة باسمه.

وقد لوحظ في هذا الإطار أن الصحيفة تركز في عناوينها على نشاط رجال الحكم والمسئولين عن السلطة التنفيذية عموماً (الرئيس - الحكومة - الوزراء - المحافظون -

المجموعة الاقتصادية) يلي ذلك التركيز على الأسماء المعبرة عن الجهاز التشريعي (رؤساء مجلسي الشعب والشورى) ثم النقابات ثم أجهزة الأمن والقضاء، ثم الجامعات، ويوضح الجدول التالي هذه المسألة بالتفصيل.

جدول رقم (٢)

الحقول الدلالية المختلفة التي تتوزع عليها الأسماء العامة داخل مانشيتات الوفد

الحقول	الأسماء	التكرار	النسبة
١- السلطة التنفيذية	- الرئيس	٥	٪١٠
	- الحكومة	٧	٪١٤
	- مجلس الوزراء	٣	٪٦
	- رئيس الوزراء	٢	٪٤
	- الوزراء	٤	٪٨
	- المحافظون	٣	٪٦
	- المجموعة الاقتصادية	١	٪٢
٢- السلطة التشريعية	- مجلس الشعب	٢	٪٤٤
	- مجلس الشورى	٢	٪٤
	- رئيس مجلس الشعب	٢	٪٤
	- رئيس مجلس الشورى	٢	٪٤
	- أعضاء مجلس الشعب	٤	٪٨
	- أعضاء مجلس الشورى	٢	٪٤
٣- النقابات	- النقابات	٢	٪٤
	- اتحاد العمال	٤	٪٨
٤- أجهزة الأمن	- أجهزة الأمن	١	٪٢
٥- القضاء	- القضاء	٣	٪٦
٦- الجامعات	- الجامعات	١	٪٢
المجموع		٥٠	٪١٠٠

ثانياً: توزيع المفردات المعبرة عن الأسماء المشتقة داخل العناوين :

تمثل المصادر الصريحة النسبة الأكبر من الأسماء المشتقة التي تستخدم كمفردات رئيسية في صياغة العنوان الرئيسى داخل جريدة الوفد، تليها بعد ذلك بنسب ضئيلة للغاية المصادر الميمية وأسماء الأفعال وأسماء المفعول كما هو موضح بالجدول التالى:

جدول رقم (٢)

تكرارات ونسب الأسماء المشتقة داخل عناوين الموضوع الرئيسى بجريدة الوفد

النسبة	التكرار	الأسماء المشتقة
٩٠,٥٪	٦٧	مصادر صريحة
٥,٤٪	٤	مصادر ميمية
٢,٧٪	٢	اسم فاعل
١,٤٪	١	اسم مفعول
١٠٠٪	٧٤	المجموع

يلاحظ من الجدول السابق أن النسبة الأكبر من الأسماء المشتقة داخل المفردات الرئيسية بمانشيتات الوفد تتركز فى المصادر (صريحة وميمية) بنسبة ٩٥,٥٪، مما يدل على أن المانشيتات فى هذه الحالة عادة ما تكون معبرة عن أحداث تقع داخل المجتمع على أساس أن المصدر كمتغير لغوى يعبر عن حالة فعلية لايمثل الزمن جزءاً منها، والقيمة الرئيسية لاستخدام المصادر كبدايل للأفعال فى الصياغة الصحفية، وخصوصاً فيما يتعلق بوحدة العنوان تتمثل فى تغيب العنصر الزمنى، وهى مسألة شديدة الحيوية فى الصياغة الصحفية التى يعبر فيها المحرر عن أحداث منتهية، فيكون من المنطقى أن يعبر عنها لغوياً بصيغة الماضى، ولكن فى ظل المنافسة الخيرية لوسائل الإعلام الإلكترونية يصبح استخدام هذه النوعية من الأفعال بما تتضمنه من إيعاءات مسألة توجد عليها تحفظات كثيرة، ومن هنا كان لجوء الصحفيين باستمرار إلى استخدام المصادر كصيف لغوية تعتمد على تغيب عنصر الزمن فى تحرير العناوين

ويتحليل مجموعة من التصورات الأيديولوجية التي تصور اهتزاز الأوضاع السياسية والاجتماعية داخل البلاد مما يعكس ضعف الأداء الحكومي، حيث نجد أن الحقول الدلالية لمجموعة المصادر تلك تتوزع على الموضوعات الآتية:

١- ارتباك نظام الدولة.

٢- فشل سياسات الدولة.

٣- محاولات حل مشاكل الدولة.

ويوضح الجدول التالي التوزيعات التكرارية والنسبية لتلك الحقول:

جدول رقم (٤)

توزيع المصادر على الحقول الدلالية المختلفة داخل عناوين الموضوع الرئيسى

بجريدة الوفد

الحقل	التكرار	النسبة
ارتباك نظام الدولة	٢٣	٪٣٢.٤
فشل سياسات الدولة	٢٢	٪٣١
محاولات حل مشاكل الدولة	٢٦	٪٣٦.٦
المجموع	٧١	٪١٠٠

وتحاول الجريدة باستعراض من خلال مجموعة من الكلمات الرئيسية التي تحشد داخل كل حقل من هذه الحقول تكريس المعانى والدلالات التي تحملها مجموعة المفردات المعبرة عن المفاهيم التي تشملها الحقول وذلك عن طريق الآيتين:

١- آلية التنوع اللفظي (التراخي): باستخدام الكلمات التي تعبر عن ذات المعنى أو عن جزئيات مختلفة يتضمنها المعنى العام الذي يعبر عنه المفهوم داخل الحقل.

٢- آلية استدعاء المعنى (التناقض أو التضاد): بتوظيف أسلوب الحضور والغياب في فهم المعانى، فوجود الكلمات المعبرة عن معانٍ ودلالات سلبية داخل الحقول يؤدي بالقارئ إلى استدعاء الكلمات المعبرة عن المعانى والدلالات النقيضة التي ترددها

باستمرار منظومة الصحف القومية مما يوقع القارئ باستمرار في دائرة شك فيما تنشره هذه الصحف من أخبار ومتابعات.

فداخل الحقل الدلالي المعبر عن ارتباك نظام الدولة تستخدم الكلمات الرئيسية التي تعبر عن حالة الانقسام والاختلاف والصراع والتضارب والارتباك وغير ذلك من مفردات تحمل مجموعة المعاني التي تؤكد اعتزاز الأوضاع وضعف الأداء الحكومي بالدولة، يتضح ذلك من مراجعة الجدول التالي:

جدول رقم (٥)

مفردات المصادر المختلفة داخل حقل ارتباك الدولة

مفردات الحقل	التكرار	النسبة
١- أزمة	٥	٪٢٠,٧
٢- ارتباك	٢	٪١٣,٢
٣- خلافات	٢	٪١٣,٢
٤- انقسام	٢	٪٨,٧
٥- تهديد	٢	٪٨,٧
٦- اشتعال	٢	٪٨,٧
٧- استمرار	١	٪٤,٣
٨- صراعات	١	٪٤,٣
٩- مشادات	١	٪٤,٣
١٠- تضارب	١	٪٤,٣
١١- غموض	١	٪٤,٣
١٢- قصب	١	٪٤,٣
المجموع	٢٣	٪١٠٠

وداخل الحقل الدلالي المعبر عن فشل الدولة تستخدم مجموعة من المفردات التي تعبر عن معان ودلالات المفهوم الذي يعبر عنه هذا الحقل، مثل فشل وعجز وتلف وانخفاض وخسائر ومخالفات وغير ذلك من مفردات يوضحها الجدول التالي:

جدول رقم (٦)

يوضح مفردات المصادر المختلفة داخل الحقل المعبر عن فشل الدولة

مفردات الحقل	التكرار	النسبة
١- فشل	٣	٪١٣,٩
٢- خسائر	٢	٪٩,٢
٣- تلف	٢	٪٩,٢
٤- تأجيل	٢	٪٩,٢
٥- تعطيل	١	٪٤,٥
٦- مخالفات	١	٪٤,٥
٧- مهزلة	١	٪٤,٥
٨- انخفاض	١	٪٤,٥
٩- ارتفاع	١	٪٤,٥
١٠- عجز	١	٪٤,٥
١١- إصرار	١	٪٤,٥
١٢- تحميل	١	٪٤,٥
١٣- إدانة	١	٪٤,٥
١٤- نفاذ	١	٪٤,٥
١٥- تصاعد	١	٪٤,٥
١٦- تصعيد	١	٪٤,٥
١٧- تحميل	١	٪٤,٥
المجموع	٢٢	٪١٠٠

أما الحقل الثالث والمتعلق بمحاولات حل مشكلات البلاد، فرغم أنه يمكن النظر إليه على أنه يقدم تصوراً إيجابياً حول دور الدولة (علاقة الحضور) إلا أنه يؤكد من طرف آخر وجود مشاكل كثيرة تحاول الدولة حلها (علاقة الغياب) وإذا ربطنا ذلك بما تكرسه الصحافة داخل الصقلين السابقين (ارتباك نظام الدولة - فشل الدولة) من معان

ودلالات، فإننا يمكن أن تخرج بمقولة أنه على الرغم من معنى الدولة لحل المشكلات فإنها تفشل في ذلك مما يؤدي إلى ارتباك النظام بداخلها، ويوضح الجدول التالي ذلك:

جدول رقم (٧)

مفردات المصادر المختلفة داخل حقل محاولة حل مشاكل الدولة

مفردات الحقل	التكرار	النسبة
١- دراسة	٢	٪٧,٧
٢- عرض	١	٪٢,٨
٢- صرف	١	٪٢,٨
٤- تجنيد	١	٪٢,٨
٥- فتح	١	٪٢,٨
٦- خطة	١	٪٢,٨
٧- زيادة	١	٪٢,٨
٨- ترتيبات	١	٪٢,٨
٩- انتهاء	١	٪٢,٨
١٠- عملية	١	٪٢,٨
١١- تنسيق	١	٪٢,٨
١٢- تشييد	١	٪٢,٨
١٣- تزايد	١	٪٢,٨
١٤- طرح	١	٪٢,٨
١٥- إصدار	١	٪٢,٨
١٦- جهود	١	٪٢,٨
١٧- اختيار	١	٪٢,٨
١٨- دعم	١	٪٢,٨
١٩- حسم	١	٪٢,٨
٢٠- تحرك	١	٪٢,٨
٢١- تعليمات	١	٪٢,٨
٢٢- تنفيذ	١	٪٢,٨
٢٣- التزام	١	٪٢,٨
٢٤- محاولة	١	٪٢,٨
المجموع	٢٦	٪١٠٠

ثالثة: توزيع المفردات المعبرة عن الأسماء الشخصية داخل العناوين الرئيسية بالوقت: تتوزع الأسماء الشخصية التي وردت كمفردات رئيسية في عناوين الموضوعات الرئيسية في جريدة الوفد على مجموعة من الحقول:

١- حقل مصر: ويشمل مفردات مصر والقاهرة وبعض أسماء الجمع كالعمال والفلاحين والمهندسين، وبالنظر إلى هذه المفردات يلاحظ غياب العديد من الكلمات الأخرى التي تنتمي إلى هذا القطاع الدلالي كالطلاب ورجال الأعمال وغيرها من المفردات الأخرى المشاركة في إدارة التولاب الاجتماعي في مصر بجوانبه المختلفة.

٢- إسرائيل: ويشمل مفردات إسرائيل وتل أبيب وأسماء رئيس الوزراء الإسرائيلي واللوبي الصهيوني والجماعات اليهودية.

٣- حقل الغرب: ويشمل بشكل أساسي مفردات واشنطن والغرب.

٤- حقل العرب: ويشمل مفردات الجامعة العربية، وزراء الخارجية العرب، والدول الإسلامية، ويلاحظ هنا تركيز الجريدة على المفردات المعبرة عن التنظيمات التي تبلور التجمعات العربية، مع غياب المفردات المعبرة عن كل دولة عربية على حدة. ويوضح الجدول التالي ذلك بالتفصيل:

جدول رقم (٨)

الحقول الدلالية المختلفة التي تتوزع عليها الأسماء الشخصية

الاسماء الشخصية	المفردات	التكرار	النسبة
١- حقل مصر	أ- مصر	٥	٪٢٠
	ب- القاهرة	٣	٪١٢
	ج- الفلاحون	٢	٪٨
	د- المهندسون	١	٪٤
٢- حقل إسرائيل	أ- إسرائيل	٣	٪١٢
	ب- تل أبيب	٢	٪٨
	ج- نتنياهو	٢	٪٨
	د- اللوبي الصهيوني	١	٪٤
	هـ- الجماعات اليهودية	١	٪٤
٣- حقل الغرب	أ- الغرب	١	٪٤
	ب- واشنطن	١	٪٤
٤- حقل العرب	أ- الجامعة العربية	١	٪٤
	ب- وزراء الخارجية العرب	١	٪٤
	ج- الدول الإسلامية	١	٪٤
المجموع		٢٥	٪١٠٠

المبحث الثاني

تأثير التصورات المطروحة بعنوانين الموضوعات الرئيسية بجريدة الوفد على اتجاهات الشباب نحو الأداء الحكومي

تم استخدام مقياس ليكرت Likert كأساس لحساب درجة الاتجاه (١٢) كما تحددت العبارات الدالة على ذلك، ويوضح الجدول التالي مؤشرات هذا المقياس والدرجة التي يحصل عليها كل مؤشر في حالة التعبير عن عبارة سلبية الاتجاه أو عبارة إيجابية الاتجاه:

جدول رقم (٩)

درجات المؤشرات المختلفة على مقياس الاتجاهات

المؤشر	درجات العبارة الإيجابية	درجات العبارة السلبية
موافق جداً	٥	١
موافق	٤	٢
محايد	٣	٣
غير موافق	٢	٤
غير موافق جداً	١	٥

وفي ضوء ذلك تحددت درجة إيجابية وسلبية القارئ إزاء الأداء الحكومي بالشكل التالي:

- ١- إيجابي جداً ٦٠ درجة فأكثر
- ٢- إيجابي ٤٨ إلى أقل من ٦٠ درجة
- ٣- محايد ٣٦ إلى أقل من ٤٨ درجة
- ٤- سلبي ٢٤ إلى أقل من ٣٦ درجة
- ٥- سلبي جداً ١٢ إلى أقل من ٢٤ درجة

وفي ضوء الحقل الدلالية الثلاثة التي توزعت عليها الكلمات الرئيسية داخل عنوان

الموضوع الرئيسى على الصفحة الأولى داخل الوفد والتي شملت:

١- حق ارتباك الدولة

٢- حق فضل الدولة

٣- حق محاولة فشل مشاكل الدولة

وفاء على ذلك تم صياغة مقياس للاتجاه يتكون من اثنتى عشرة عبارة تعكس التوجهات الموضوعية داخل كل حق من هذه الحقول، وقد شمل المقياس ست عبارات تعكس إيجابياً وستاً تعكس اتجاهات سلبياً، وقد تحددت هذه العبارات فى:

١- هناك انقسام بين مسئولى الحكومة فيما يتعلق بإصلاح الدولة.

٢- تتخذ الحكومة العديد من القرارات ضد مصالح المواطنين.

٣- تنقسم القرارات الوزارية بالفموض.

٤- سياسة الحكومة تؤدي إلى خسائر متوالية.

٥- ترتكب الحكومة مخالفات كثيرة فى الإصلاح الاقتصادى.

٦- تؤجل الدولة باستمرار حل مشكلات الطبقات الفقيرة.

٧- ثبات سعر الجنيه المصرى دليل على نجاح الدولة فى الإصلاح الاقتصادى.

٨- يتدخل الرئيس حسنى مبارك لحماية مسيرة الإصلاح فى الوقت المناسب.

٩- تعمل الدولة على زيادة المرتبات.

١٠- تحاول الدولة إصدار القوانين التى تدفع الاستثمار فى مصر.

١١- هناك التزام من جانب الحكومة بحماية حقوق الطبقات الفقيرة.

١٢- تبذل الدولة جهوداً كبيرة لحل مشكلات الشباب.

أولاً: علاقة التعرض لصحيفة الوفد الحزبية بتكوين اتجاهات سلبية لدى القراء حول

الاداء الحكومى

من واقع الدراسة الميدانية التى أجريت على عينة من طلاب الجامعة (١٠٠ مفردة) وجد أن اتجاههم نحو الاداء الحكومى من واقع درجاتهم على مقياس الاتجاه المؤسس على الحقول الدلالية التى عبر عنها العنوان الرئيسى داخل الوفد فتوزع على النحو التالى:

جدول رقم (١٠)

درجات القراء عينة البحث على مقياس الاتجاهات نحو الأداء الحكومي

النسبة	التكرار	الاتجاه
٪١٢	١٢	إيجابي جدا
٪٢٢	٢٢	إيجابي
٪٢٧	٢٧	محايد
٪٢٥	٢٥	سلبي
٪١٤	١٤	سلبي جدا
٪١٠٠	١٠٠	المجموع

وبذا فإن اتجاه قراء الصحف اليومية نحو الأداء الحكومي يتركز بشكل أساسي في الاتجاه السلبي (٪٣٩) ثم الاتجاه الإيجابي (٪٣٤) ثم الإتجاه المحايد (٪٢٧)، وقد تحققت هذه الدرجات للاتجاهات المختلفة نحو الأداء الحكومي في ظل درجة أقبال على قراءة الصحف اليومية القومية الثلاث وصحيفة الوفد من جانب القراء عينة البحث بالشكل الموضح في الجدول التالي:

جدول رقم (١١)

مستوى قارئية جريدة الوفد في إطار الصحف اليومية القومية

النسبة	التكرار	الجريدة
٪٢٥,٣٩	٢٣	الأهرام
٪٢٦,٩٢	٢٥	الأخبار
٪٢٠,٧٧	٢٧	الجمهورية
٪٢٦,٩٢	٢٥	الوفد
٪١٠٠	١٣٠	المجموع

وقد ثبت من التحليل الإحصائي وجود علاقة بين الإقبال على قراءة جريدة الوفد وتبنى اتجاهات سلبية عند تقييم الأداء الحكومي من جانب القراء حيث بلغت قيمة كاي

العلاقة بين قراءة جريدة الوفد والدرجة التي حصل عليها الباحثون على مقياس الاتجاه نحو الأداء الحكومي (٤٣) عند درجة حرية (٣١) وبدرجة معنوية (٠.٠٥) الأمر الذي يعني أن القراء الذين يعتمدون على الصحف الحزبية كأحد مصادر معلوماتهم يتبنون اتجاهات سلبية نحو الأداء الحكومي (بمعامل اتفاق ٠.٥٤)، وذلك مقارنة بالقراء الذين يعتمدون بدرجة أكبر على الجرائد القومية حيث ثبت من التحليل الإحصائي استقلالية العلاقة بين قراءة هذه الجرائد وتبنى اتجاه سلبي نحو الأداء الحكومي، ويوضح الجدول التالي ذلك:

جدول رقم (١٢)

العلاقة بين قراءة الجرائد القومية وتبنى اتجاهات سلبية نحو الأداء الحكومي

الجريدة	قيمة كاي العالقة	درجة الحرية	درجة المعنوية
الأمرام	٢٩	٣٠	٠.٤٦
الأخبار	٢٥	٣٠	٠.٧٢
الجمهورية	٢٢	٣٠	٠.٨١

ثانياً: العوامل المؤثرة في تحديد درجة سلبية اتجاه قراء الصحف الحزبية نحو الأداء الحكومي:

تم قياس درجة تأثير مجموعة من العوامل الوسيطة التي تتدخل بدرجة متفاوتة في تحديد درجة سلبية اتجاه قراء الصحف الحزبية تمثلت في:

١- درجة الانتظام في قراءة صحيفة الوفد.

٢- درجة الاعتقاد في مصداقية المادة المنشورة.

٣- درجة الاعتقاد في توازن المعالجة الصحفية.

١- تأثير درجة الانتظام في قراءة الصحف الحزبية على تكوين اتجاهات سلبية لدى القراء:

تبين من الدراسة الميدانية أن النسبة الأكبر من قراءة صحيفة الوفد يقرعونها بشكل منتظم، بما يعني درجة أكبر من الارتباط والولاء من جانب القارئ إزاء هذه الصحيفة، ويوضح الجدول التالي ذلك:

جدول رقم (١٢)

درجة الانتظام في قراءة صحيفة الوفد

النسبة	التكرار	درجة الانتظام
٥٨,٨٢٪	١٠	دائماً
٢٢,٥٣٪	٤	أحياناً
١٧,٦٥٪	٣	نادراً
١٠٠٪	١٧	المجموع

وقد قام الباحث بقياس تأثير هذا المتغير (الانتظام في القراءة) على العلاقة بين الأقبال على قراءة جريدة الوفد وتكوين اتجاهات سلبية لدى القراء حول الأداء الحكومي في مصر وذلك باستخدام معامل الارتباط الجزئي Partial Correlation ، وقد بلغت قيمته (٠,٤) بدرجة معنوية (٠,٠٥) ، مما يعني أن متغير الانتظام في القراءة يعد متغيراً مؤثراً في تحديد درجة سلبية الاتجاه نحو الأداء الحكومي كنتيجة مترتبة على متابعة صحيفة الوفد، حيث ترتفع درجة سلبية هذا الاتجاه بزيادة درجة الانتظام في متابعة الصحيفة بشكل منتظم أو أحياناً، وهو ما تحقق في النسب المعبر عنها داخل الجدول السابق، حيث يتابع القراء من عينة البحث جريدة الوفد بشكل منتظم بنسبة (٥٨,٨٢٪) وأحياناً بنسبة (٢٢,٥٣٪).

٢- تأثير درجة الاعتقاد في درجة مصداقية الصحيفة الحزبية على تكوين اتجاهات سلبية لدى القراء:

في إطار ما يمكن أن تلعبه درجة مصداقية ما ينشر على صفحات الجريدة من معلومات من دور في تشكيل اتجاهات الجمهور على نحو أو آخر، فقد تم قياس تأثير هذا المتغير على العلاقة بين قراءة جريدة الوفد وتكوين اتجاهات سلبية لدى القراء فيما يتعلق بالأداء الحكومي، وقد بلغت قيمة معامل الارتباط الجزئي الخاصة بتأثير هذا المتغير على العلاقة (٠,٣) بدرجة معنوية (٠,٢٥) بما يعني أنه متغير غير مؤثر أو غير فاعل في تحديد درجة هذه العلاقة أو طبيعتها، وقد يكون ذلك مرتبطاً بمسألة الانتظام في قراءة الجريدة والتي تعبر بشكل مبدئي عن درجة اقتناع القارئ بمصداقية ما تنشره من معلومات، خصوصاً وأن النسبة الأكبر من القراء ترى أن الصحف التي

يقرؤونها تنشر معلومات صحيحة تماماً بنسبة (٤١٪) وإلى حد ما بنسبة (٤٢٪)، ويوضح الجدول التالي ذلك:

جدول رقم (١٤)

درجة اعتقاد القارئ في صحة المعلومات المنشورة على صفحات الجرائد اليومية

صحة المعلومات المنشورة	التكرار	النسبة
صحيحة تماماً	٤١	٤١٪
صحيحة إلى حد ما	٤٢	٤٢٪
غير صحيحة	١٦	١٦٪
المجموع	١٠٠	١٠٠٪

٢- تأثير درجة الاعتقاد في توازن المعالجة الصحفية على تكوين اتجاهات سلبية لدى القراء:

ثبت من الدراسة الميدانية أن النسبة الأكبر من القراء (عينة البحث) ترى أن الصحف التي تقرأها تعالج مسألة الأداء الحكومي بشكل موضوعي متوازن دون أن تنحاز مع أو ضد الرموز والمفردات المعبرة عنه، في حين ترى النسبة الأقل أن الصحف تعالج هذه المسألة بشكل غير موضوعي ومنحاز إما مع فعاليات الأداء الحكومي أو ضده، ويوضح الجدول التالي ذلك:

جدول رقم (١٥)

درجة اعتقاد القراء في موضوعية وتوازن المعالجة الصحفية لمسألة الأداء الحكومي

المعالجة	التكرار	النسبة
موضوعية متوازنة	٦١	٦١٪
منحازة مع الحكومة	٣٦	٣٦٪
منحازة ضد الحكومة	١٣	١٣٪
المجموع	١٠٠	١٠٠٪

وقد أثبت التحليل الإحصائي عدم وجود تأثير لهذا المتغير على تحديد درجة أو نوع العلاقة بين الإقبال على قراءة جريدة الوفد ووجود اتجاهات سلبية لدى القارئ حول الأداء الحكومي في مصر، حيث بلغت درجة معامل الارتباط الجزئي الخاص بهذا المتغير (٠.٠٤) عند درجة معنوية (٠.٢٤).

خاتمة الدراسة

ثبت من التحليل الدلالي لمجموعة من المانشيتات الصحفية التي نشرت على الصفحات الأولى لجريدة الوفد خلال ثلاثة أشهر أن المفردات أو الكلمات الرئيسية داخل هذه الوحدة الخبرية، أيا كان تصنيفها: أسماء عامة أو أسماء مشتقة أو أسماء شخصية تتوزع على مجموعة من الحقول ذات الدلالات السلبية التي تعمل على بث مجموعة من التصورات الأيديولوجية التي تطرح تقييمات سلبية للأداء الحكومي معبرة عن حالة الفشل والارتباك والاختلال داخل نظام الدولة، بمعنى آخر فقد حاولت صحيفة الوفد أن ترسم من خلال عناوين الموضوع الرئيسي على الصفحة الأولى بها أن ترسم صورة سلبية لأداء الأجهزة التنفيذية في مصر بكافة مفرداتها: الرئاسية والوزارية والمؤسسية وبكافة الرموز عن هذه المفردات.

وفي إطار نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام حاولت الدراسة اختبار مجموعة من الفروض التي تفسر العلاقة بين الاعتماد على صحيفة الوفد كأحد مصادر المعلومات ووجود اتجاهات سلبية حول الأداء الحكومي في مصر لدى عينة من قراء الصحف (من طلاب جامعة القاهرة) ودرجة تدخل عدد من العوامل الأخرى الوسيطة في تحديد هذه العلاقة والتي تمثلت في درجة الانتظام في قراءة الصحيفة الحزبية، ودرجة الاعتقاد في مصداقية المعلومات المنشورة بها، ودرجة الاعتقاد في توازن المعالجة الصحفية لقضية الأداء الحكومي بداخلها.

وقد أثبت التحليل تحقق الفروض التي قامت عليها الدراسة بالشكل التالي:

١- ثبات الفروض الرئيسية بوجود علاقة بين اعتماد القارئ على صحيفة الوفد الحزبية كأحد مصادر المعلومات الخاصة بالأداء الحكومي وتكوين اتجاهات سلبية لديه عند تقييم هذا الأداء.

٢- تتأثر العلاقة بين قراءة جريدة الوفد وتكوين اتجاهات سلبية لدى القارئ حول الأداء الحكومي بدرجة انتظامه في قراءة هذه الجريدة.

٣- لا تتأثر العلاقة بين قراءة جريدة الوفد الحزبية وتكوين اتجاهات سلبية لدى القارئ حول الأداء الحكومي بدرجة اعتقاده في صحة المعلومات المنشورة داخل هذه الجريدة.

٤- لا تتأثر العلاقة بين قراءة جريدة الوفد الحزبية وتكوين اتجاهات سلبية لدى القارئ حول الأداء الحكومي بدرجة اعتقاده في توازن المعالجة الصحفية لمسألة الأداء الحكومي داخل هذه الجريدة.

هوامش الدراسة

- (1) Smith, Kim, Effects of Newspaper Coverage on Community Issues Concerns and Local Government Evaluations, Communication Research Vol. 14 # 4, August, 1987, p380.
- (2) Mcquail, Denis & Windahl, Seven, Communication Models: The Study of Mass Communication (London : Longman, 1981) P 65.
- (3) Ibid., P66.
- (4) Smith, Kim A., Op. cit, PP375-395.
- (5) Okeefe, Garrett J., & Nash-Reid, Kathaleen, Crime News and World Blues: The Effects of the Media on Social Reality, Communication Research, Vol. 14 # 2, April 1987, PP 147-163.
- (6) Elliott, William R., & Rosenberg, William L., Media Exposure and Beliefs about Science and Technology, Communication Research, Vol. 14 , 2, April 1987, PP. 164-188.
- (7) Hodgson, F. W., Modern Newspaper Editing and Production (London: Heinemann Publishing Ltd. 1987) P 137.
- (٨) سيزار قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة (القاهرة: دار إلياس المصرية، ١٩٨٦) ص ١١٥.
- (٩) أحمد مختار عمر، علم الدلالة (الكويت: مكتبة العربية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢) ص ١٢.
- (١٠) محمد حسن عبد العزيز، الخواص التركيبية للجمل في اللغة العربية كما تمثلها لغة الصحافة المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة - كلية الإعلام) ص ١٢٨.
- (11) Hodgson F.W., Op. Cit, P 138.
- (12) Wimmer, Roger D., Mass Media Research : An Introduction (California: Wandsworth, Inc, 1983)P27.

الإعلام والمشاركة السياسية المقومات والأشكال

أصبحت مشاركة المواطن في إدارة الشؤون العامة أحد أهم ملامح المجتمع الحديث والتي تميزه عن المجتمع التقليدي، كما أنها تعد أحد عناصر الممارسة الديمقراطية، وإن كانت النظم غير الديمقراطية تعرف في الأخرى أشكالاً من المشاركة ولكنها تتسم بأنها أقل حرية وأكثر خضوعاً للتوجيه من أعلى.

ويشهد العالم الآن تطوراً سريعاً في اتجاه توسيع نطاق المشاركة السياسية، وفي هذا الإطار يلعب الإعلام دوراً رئيسياً في تدعيم هذا الاتجاه. وتزداد أهمية هذا الدور في عصر تتسارع فيه معدلات الاتصال وتنتشر فيه المعلومات، مما يتيح لأعداد أكبر من الأفراد - في كثير من البلدان - فرصاً غير مسبقة للمعرفة وإدراك أهمية المشاركة في الحياة العامة.

والدور الذي يضطلع به الإعلام لتهيئة الرأي العام للمشاركة السياسية يختلف حدوده ومساحته من نظام سياسي إلى آخر تبعاً لطبيعة العلاقة التي تربط الإعلام بالسلطة السياسية وكذلك تبعاً لحدود الدور السياسي الذي يلعبه الإعلام في تشكيل وعي الجمهور للاهتمام بالقضايا والأحداث السياسية.

أولاً: الإعلام ومقومات المشاركة السياسية:

تقوم المشاركة السياسية على دعامين أساسيين هما: التنشئة السياسية والثقافة السياسية.

ويمكن القول أن التنشئة والثقافة هما المتغيران الأكثر تأثيراً على عملية المشاركة إيجاباً وسلباً. ويلعب الإعلام - من خلال أجهزته المختلفة - دوراً مؤثراً في تشكيل الثقافة السياسية للرأي العام، فضلاً عن دوره - مع غيره من الوسائل - في عملية التنشئة السياسية المستمرة.

ويانصب على الثقافة السياسية فيقصد بها مجموعة المعارف والآراء والاتجاهات السائدة لدى الرأي العام نحو المثبتون والمفاهيم السياسية ومنها مفهوم الدولة والسلطة والأحزاب والمنظمات المختلفة وهذه الثقافة تؤثر في السلوك السياسي للمواطنين حكماً ومحكوماً، بما في ذلك الاتجاه نحو المشاركة من عدمه، فالثقافة السياسية الإيجابية تدفع نحو المشاركة بينما الثقافة السلبية تحد من هذه المشاركة لأنها تنطوي على قيم اللامبالاة والخوف من العمل العام والخوف من السلطة.

ويعتبر الإعلام - بوسائله المختلفة - أحد أهم مصادر الثقافة السياسية للرأي العام، ولكن تختلف طبيعة هذا المصدر من مجتمع إلى آخر، ومن فتره زمنية إلى أخرى في المجتمع نفسه فقد يعمل الإعلام على تدعيم وتكريس ثقافة سياسية أحادية في المجتمع السلطوي بينما قد يعكس ثقافات متباينة ومتنوعة في المجتمع الذي يسمح بحرية تدفق الآراء والأفكار وحرية الممارسة الإعلامية وهو ما يعكس على الاتجاهات والآراء التي تعبر عنها وسائل الإعلام داخل المجتمع.

وفيما يتعلق بالشق الثاني من الدور الإعلامي في تدعيم المشاركة السياسية فيتضح من خلال دور الإعلام في التنشئة السياسية التي تعتبر في جوهرها عملية انتقال للثقافة السياسية إلى أجيال جديدة في المجتمع أو تعديل في بعض جوانبها أو تغييرها. ولا يقصد بالتنشئة هنا المرحلة الأولى في حياة الفرد فقط، ذلك أن عملية التنشئة السياسية هي عملية ديناميكية مستمرة يتعرض فيها الفرد لمؤثرات مختلفة تؤثر على اتجاهاته السياسية طوال المراحل العمرية.

وإذا كانت الثقافة السياسية تحدد الإطار العام لمشاركة الرأي العام، فإن التنشئة السياسية هي التي تحدد مدى الاهتمام الذي يوليه الفرد للقضايا السياسية بشكل

عام، فهذا الاهتمام يتوقف على نوعية خبرات التنشئة المبكرة التي تزداد أهميتها - بطبيعة الحال - ولكنها لا تلغى وجود مؤثرات مستمرة. وهذا ما يفسر أن أقساماً من الرأي العام تبدأ اهتماماتهم بالقضايا السياسية في منتصف حياتهم أو في مرحلة متقدمة منها.

وفي كل هذه المراحل يتعرض الفرد إلى أدا أو أكثر من أدوات التنشئة السياسية التي يعتبر الإعلام واحد منها إلى جانب الأسرة والمدرسة وجماعة الأصدقاء والمؤسسات الدينية ومواقع العمل والنقابات سواء عمالية أو مهنية وكذلك الأحزاب السياسية.

ولا يقلل تعدد أدوات التنشئة السياسية على هذا النحو من دور الإعلام في عملية التنشئة السياسية، خاصة في العصر الراهن الذي يشهد ثورة هائلة في الاتصالات تجعل دور الإعلام في هذه العملية أقوى وأعمق من أي وقت مضى.

فالإعلام يزود الفرد بالمعلومات السياسية ويسهم في تكوين وتدعيم أو تغيير ثقافته السياسية واستعداده للعمل العام. كما يحقق الإعلام اتصالاً غير مباشر بين الرأي العام والنخبة الحاكمة أو سلطة الدولة فينقل مطالب وطموحات الناس إلى أجهزة صنع القرار، كما ينقل إلى هذه الأجهزة ربح فعل الرأي العام تجاه السياسات والقرارات الحكومية. وهذا التدفق المستمر من أسفل إلى أعلى وبالعكس يغطي الإعلام دوراً بارزاً في عملية الاتصال السياسي.

ثانياً: الإعلام ومستويات المشاركة السياسية :

توجد أربعة مستويات للمشاركة السياسية يعكس بعض المستويات الإيجابية لهذه المشاركة ومنها: ممارسة النشاط السياسي والاهتمام بالحياة السياسية، بينما يعكس البعض الآخر المستويات السلبية لهذه المشاركة والتي تتمثل في: الابتعاد أو العزوف عن الحياة السياسية أو العلاقة الهامشية بها والاحتجاج غير الشرعي على أوضاع سياسية معينة. وفي كافة تلك المستويات يؤثر الإعلام بشكل أو بآخر على هذه المستويات بظهرها الإيجابي أو السلبي.

فبالنسبة إلى من يمارسون العمل السياسي سواء كان عملاً تنفيذياً أو برلمانياً أو حزبياً وكذلك المنخرطين في العمل العام بأشكاله المختلفة، يلعب الإعلام دوراً حيوياً، حيث يعد - بالنسبة إلى هذا المستوى من المشاركة - المصدر الرئيسي للمعلومات التي يحتاج بناء على معرفته بها مواقفهم ويحدد اتجاهاته وفقاً للموقع الذي يشغله على الخريطة السياسية، وفي العصر الراهن أصبحت المعلومات أهم مصادر القوة السياسية، الأمر الذي أدى إلى ازدياد أهمية الإعلام بالنسبة لممارس النشاط السياسي.

كما يحتاج هذا الممارس إلى الإعلام ليوجه من خلاله رسائله السياسية من ناحية وتغطية الأنشطة التي يقوم بها وتعريف الرأي العام بها من ناحية أخرى. فبدون الإعلام يفقد القائم بالعمل السياسي الأداة الوحيدة التي تتيح له تعريف القطاع الذي ينشده من الرأي العام بالأنشطة التي يقوم بها ويسعى من خلالها إلى الحصول على شعبية أو زيادتها سواء على المستوى المركزي أو المحلي ولا تقل أهمية الإعلام بالنسبة إلى المستوى الأدنى من المشاركة السياسية وهو مستوى المهتمين بالحياة السياسية، بل تزداد هذه الأهمية، فإذا كان الإعلام واحداً من أدوات متعددة يعتمد عليها الممارس للأنشطة السياسية، فإن الإعلام هو الإدارة الرئيسية إن لم تكن الوحيدة التي يعتمد عليها المهتم بالحياة السياسية من أجل متابعة ما يجري فيها من أحداث وتطورات فالمهتمون بالحياة السياسية يحصلون على ما يرضى اهتماماتهم السياسية من خلال متابعتهم لوسائل الإعلام سواء الصحف والمطبوعات المختلفة أو النشرات والبرامج الإخبارية والسياسية في الإذاعة والتلفزيون وبالتالي تتشكل آرائهم واتجاهاتهم وفقاً للأطر والكيفية التي يتعالج بها هذه الوسائل الأحداث والشئون السياسية.

ورغم أن المستوى الثالث للمشاركة - وهو ما يطلق عليه الهامشيون في العمل السياسي - يتضمن من لا يمارسون هذا العمل ولا يهتمون به عادة ولا يخصصون له وقتاً أو موارد، إلا أن بعضهم يخطر للمشاركة بدرجة أو بأخرى في أوقات معينة خاصة أوقات الأزمات عندما يشعرون بأن مصالحهم المباشرة مهددة، وكذلك لعدم

وجود قنوات مباشرة يعتمدون عليها - في تلك الأوقات - للحصول على المعلومات والبيانات، فيصبح ما تتيحه وسائل الإعلام عن هذه الأزمات هو الأداة الرئيسية للمعلومات التي تشكل اتجاهات هذه الفئة.

وبذلك يصبح الإعلام هو أحد أهم مصادر تكوين الإدراك السياسي الذي يدفع هذه الفئة إلى المشاركة في مثل هذه الظروف.

أما المستوى الذي يطلق عليه المشاركة الاحتجاجية أو المتطرفة أو العنيفة فيقصد بها التحرك خارج الأطر الشرعية والمفالة في التعبير عن الاحتجاج على موقف معين أو السعي إلى التغيير السياسي أو الاجتماعي بقوة السلاح.

في المستوى السابق من المشاركة السياسية السلبية، يلعب الإعلام دوراً من خلال توظيفه للمعلومات والأحداث يسهم في دفع بعض الأفراد إلى هذا النوع السلبي من المشاركة أما بقصد من خلال التحريض المباشر، أو بغير قصد من خلال تقديم رسائل إعلامية تثير احساساً بالسخط أو الغضب على نظام الحكم أو المجتمع.

ثالثاً: المشكلات المتعلقة بدور الإعلام في تدعيم المشاركة السياسية :

إذا كانت المشاركة السياسية مرغوبة إلى حد أنها صارت أحد دلائل حيوية وفعالية واستقرار المجتمع والنظام السياسي، فمن الطبيعي أن يكون نجاح الإعلام في تدعيمها هو أحد المعايير لتقويم أدائه.

ومن هنا تبرز أهمية معالجة المشكلات التي تواجه دور الإعلام في تدعيم المشاركة أو التي تنتج عن أداء الإعلام وتؤثر سلبياً على هذه المشاركة.

وتمثل المشكلة الأم التي تواجه دور الإعلام في القيود التي تفرض عليه وتضع حداً لقدرته على نقل المعلومات والأحداث والتطورات إلى الرأي العام بشكل كامل وأمين وفي الوقت المناسب - يضاف إلى ذلك مشكلة ضعف تأثير وسائل الإعلام في بعض الدول النامية لأسباب تتعلق بالامية وانخفاض مستويات المعيشة وضعف البنية التحتية

للاتصال مما يعوق سرعة تدفق البيانات والمعلومات، ولكن تظل مشكلة قصور الإعلام في تقديم الحقائق هي الأكثر تأثيراً بشكل سلبي على استعداد الرأي العام للمشاركة السياسية أو على نوعية هذه المشاركة، فالاستعداد للمشاركة يتوقف على جانب أساسي منه على المعرفة التي يقدمها الإعلام للرأي العام، كما يرتبط هذا الاستعداد، في جانب آخر منه، بنوع الثقافة السياسية التي يعكسها الإعلام وما إذا كانت ثقافة متحررة تدعو إلى المشاركة أم ثقافة محافظة تدفع إلى العزوف عن المشاركة هناك نوع ثالث من الثقافة السياسية يدفع إلى المشاركة ولكن على حساب أمن واستقرار المجتمع، وهي ثقافة العنف السياسي أو الديني أو العرقي أو غيره من صور العنف التي يمكن أن يفنيها إعلام متطرف يسمى إلى تدعيم المشاركة الاحتجاجية التي يمكن أن تهدد النظام العام كما يمكن أن يسهم إعلام متطرف في تغذية العنف دون قصد من خلال تقديم مواد إعلامية تثير سخط قطاعات من الرأي العام.

ومن الطبيعي أن تكون مشكلات الممارس للعمل السياسي مع الإعلام أكثر من مشكلات المهتم بالحياء السياسية، فالأخير هو مجرد متلقي الرسالة الإعلامية، وبالتالي تتركز التحديات التي يواجهها مع الإعلام فيما إذا كانت الرسائل الإعلامية صادقة وموضوعية وكافية للإجابة على تساؤلاته أو زائفة ومنحازة ومتجزئة، أما ممارس النشاط السياسي فهو متلقي ولكنه مرسل أيضاً للرسالة الإعلامية، ولذلك فهو معني بأن يكون الإعلام جاهزاً لنقل رسالته بالكيفية التي يرغب فيها، وبصورة أفضل من منافسيه.

والذلك يمكن أن تصطدم مصلحة الممارس إذا كان في موقع تنفيذ مع مصلحة المهتم بالحياء السياسية إذا كانت الأول مصلحة في توجيه الإعلام في الاتجاه الذي يدعم رسالته، بينما تظل مصلحة الثاني في تحرير الإعلام.

وثمة إشكالية أخرى تتعلق بالإطار العام الذي يشكل الإعلام في سياقه معتقدات واتجاهات ومعارف الجمهور حول القضايا السياسية المختلفة فمن المسلم به أن

الأحداث والقضايا السياسية لا تعكس معنى محدداً - في حد ذاتها - بل أن السياق الذي تقدم خلاله والتركيز على بعض جوانب وشخصيات هذه الأحداث السياسية، كل هذه العوامل هي التي تمثل المرجعية التي تتشكل من خلالها توجهات الرأي العام، لا سيما بالنسبة إلى المنتمين إلى المستوى الثاني من المشاركة السياسية، أي الذين لديهم ميل إلى الاهتمام بالأحداث والشؤون السياسية دون الانخراط في العمل السياسي. ومن هنا يصبح «الإطار العام» أو «الإطار المحدد» الذي تضيفه التغطية على الأحداث هو المحرك الأساسي لاتجاهات الرأي العام.

كما أن اعتماد الإعلام أو تركيزه على أي من «السمات الأساسية» أو «السمات العاطفية» للفعل السياسي هو الذي يكون اتجاه الأفراد تجاه هذا الفعل وهو ما يبرز بوضوح في كيفية تقديم الإعلام للصورة الذهنية للمرشحين السياسيين وقت الانتخابات.

وفي هذا الإطار ترصد الدراسات خمسة عوامل يعزى إليها تحديد الأطر - التي يقدم من خلالها الإعلام - الأحداث والقضايا السياسية والتي تؤثر في توجيهات الرأي العام تجاهها.

وهذه العوامل تتحدد في :

- درجة الاستقلال السياسي لوسائل الإعلام.

- مصادر الأخبار والأحداث.

- القيم والأعراف السائدة التي تعكسها الممارسة الإعلامية.

- الخلفية والمعتقدات الأيدلوجية السياسية والثقافية التي يعتنقها القائمين على

الإعلام.

- طبيعة الأحداث ذاتها.

- ومع اختلاف هذه العناصر واختلاف حدود تأثيرها على توجهات وآراء الرأي العام وبالتالي تأثير ذلك على حدود المشاركة التي تستثيرها - تظل العلاقة التي تربط الإعلام بالسلطة السياسية هي التي يصاغ في إطارها حدود الدور الذي يمارسه الإعلام في دفع الرأي العام نحو المشاركة السياسية، وهذه العلاقة تصاغ في إطار ما تسمح به السلطة السياسية - أيأ كان مستوياتها - من حرية الممارسة الإعلامية ليصبح الإعلام في خدمة السياسية أي يمثل أحد العناصر التي تعتمد عليها السلطة السياسية في عملية اتخاذ القرار وتهيئة الرأي العام لقبوله. وهذا الارتباط يزيد في النظم السلطوية مما قد يكون عنصراً معوقاً تقف حائلًا دون المشاركة الإيجابية لافتقار الإعلام للمصداقية لدى الرأي العام.

يضاف إلى ما سبق إشكالية أخرى تتعلق بالبيئة السياسية العامة التي يمارس في إطارها الإعلام دوره في تدعيم قيم المشاركة، وهي بيئة تكتنفها بعض الغوائق في تلك النظم منها الاختلال الموجود في الإطار القانوني والسياسي، وحدود فعالية الممارسة الديمقراطية (الأحزاب والنيابات والانتخابات البرلمانية) وغياب قيم الممارسة الديمقراطية وبذلك يتضح أن فعالية الدور الإعلامي في تدعيم المشاركة السياسية هو دور مرهون بتطور مناخ الاتصال السياسي وتوسيع دائرة الحوار والمناقشة والتعددية وتدعيم القيم الديمقراطية ومراقبة المؤسسات السياسية، وكلها عوامل تسهم في تفعيل دور الإعلام ودفع الرأي العام نحو الاهتمام والمشاركة السياسية.



الصور الإعلامية والقرارات السياسية

التكوين والعلاقات المتبادلة (*)

تقديم:

تمثل العلاقة بين النظامين الاتصالي والسياسي موضوعاً لعدد كبير من الدراسات والبحوث التي حاولت وضع نماذج عامة يمكن في ضوئها تحديد طبيعة العلاقة بينهما (علاقة اعتماد متبادل - علاقة خضوع وهيمنة) واتجاه هذه العلاقة (من وسائل الإعلام والاتصال إلى النظام السياسي - من النظام السياسي إلى وسائل الإعلام والاتصال) وذلك في ضوء أطر نظرية عامة ومقاربات فكرية متشابهة في بعض الجوانب ومختلفة في كثير منها.

وقد ركزت هذه الدراسات جميعها على العلاقة المباشرة بين النظامين، وعلى وضعها وجهاً لوجه، ومحاولة إجراء الحوار النقدي بينهما، وصولاً إلى رؤية موضوعية لطبيعة هذه العلاقة، بيد أن العلاقات بين النظم ليست بهذه الدرجة من المباشرة دائماً، كما أنها ليست بهذا الوضوح في غالبية الأحيان، إذ كثيراً ما تكون العلاقة بين نظامين (كالنظام السياسي والنظام الاتصالي) علاقة غير مباشرة، ومستترة، ولذا تتطلب دراستها الاستقراء لما هو واضح ومباشر من ناحية، والاستنباط لما هو مستتر وغير مباشر من ناحية أخرى.

وتقوم فكرة هذه الدراسة على طرح نظري مفاده أن علاقة وسائل الإعلام بالنظام السياسي ومتخذى القرارات السياسية (في الأنظمة الليبرالية فقط ^(١)) لا تتم إلا من خلال الانعكاسات المتبادلة بينهما، بمعنى آخر، فإن النظام الإعلامي لا يؤثر مباشرة في اتخاذ القرار السياسي بإمداده بمعلومات مباشرة يمكن لصانعي السياسات

ومتخذى القرارات أن يتخذوها أساساً للبناء عليه، أو قاعدة معرفية للانطلاق منها، وإنما يؤثر من خلال بشه ونقله للصور أو التصورات التي من شأنها التأثير في العقل الجمعي وفي مدركات الرأي العام وهو ما ينتقل صدها من خلال وسائل الإعلام نفسها إلى صانعي السياسات ومتخذى القرارات.

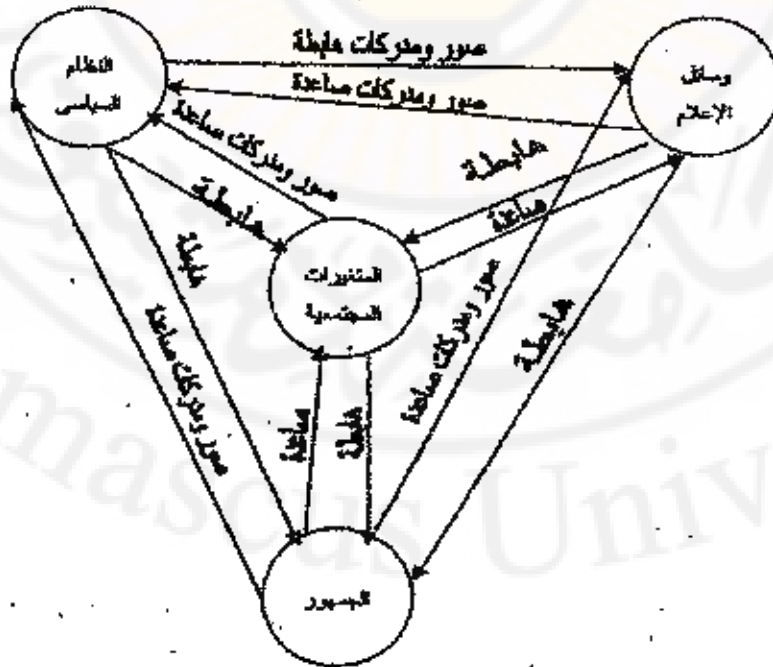
كذلك فإن تأثير النظام السياسي على وسائل الإعلام يأتي من قيام متخذى القرارات وصانعي السياسات ببث صور ومدركات يمكن لوسائل الإعلام أن تنقلها أو تبلور الآراء حولها أو تعجل بتنفيذها، وتصبح هذه المدركات والصور هادية للرأي العام أو قائدة له للمطالبة بتحقيق هذه التصورات.

معنى هذا أن العلاقة بين وسائل الإعلام والقرارات السياسية لا توجد إلا من خلال المدركات والتصورات والصور المتبادلة بين النظامين والتي تتم بطريقة غير مباشرة في معظم الأحيان ومستترة في غالبيتها وتبادلية في جميعها.

الشكل التالي يوضح تصور الباحث للعلاقة بين النظامين :

شكل رقم (١)

العلاقة بين النظامين الإعلامي والسياسي



ويمكن إلقاء مزيد من الضوء على هذه العلاقة من خلال المباحث الثلاثة التالية:-

المبحث الأول: وسائل الإعلام وصناعة الصور ونقلها.

المبحث الثاني: وسائل الإعلام وعلاقتها بتخذي القرارات وصانعي السياسات.

المبحث الثالث: الصور ودورها في اتخاذ القرارات السياسية.

المبحث الأول: وسائل الإعلام وصناعة الصور ونقلها

تقديم:

تكاد تجمع الدراسات الإعلامية على كون وسائل الإعلام إحدى الوسائل الفعالة التي يتم من خلال ما تقدمه من معلومات وأخبار تشكيل الصور الذهنية لدى الجمهور في شتى المجالات، فالطريقة التي تُعرض بها المرأة في التلفزيون والأدوار التي تقوم بها تكون صورة غطية لها لدى الجمهور^(٢) والطريقة التي يعرض بها السود تحدد اتجاهات الجمهور نحوه^(٣) كما أن الطريقة التي تعرض بها الجماعات الخارجية تحدد انطباعات الجماعة الداخلية نحوه وسلوكياتها تجاهها^(٤) وعلى حدّ تعبير أحد الباحثين تبرز وسائل الإعلام "كعامل هام في تشكيل الصور الذهنية عن الأفراد والشعوب من خلال ما تبثه من أحداث إخبارية ومضامين مختلفة"^(٥).

وتوجد الكثير من العوامل التي تهيئ لوسائل الإعلام القيام بهذا الدور، منها:-

١- الانتشار الواسع لوسائل الإعلام وامتدادها الأفقي والرأسي وقدرتها البالغة على الاستقطاب والإبهار: حيث أسهمت تكنولوجيا الاتصال الحديثة في مد واتساع نطاق تغطية وسائل الإعلام بمختلف أشكالها، كما أسهمت في تغيير شكل وأسلوب عمل وسائل الإعلام عموماً والتلفزيون خصوصاً، من خلال قدرتها على نقل الأحداث بسرعة مصحوبة بالصورة الفيلمية والتغطية الفورية لأماكن الأحداث أياً كانت، وتقديم الخلفية التفسيرية للأحداث بالاعتماد على تكنولوجيا الاتصال المعاصرة.

٢- استيلائها على أوقات الأفراد ومنافستها الشديدة للمؤسسات الاجتماعية الأخرى في مجال التأثير الجماهيري^(٦)

٣- إيقاع العنصر الحبالى الذي يتسم بالسرعة من ناحية وعزلة الأفراد عن

بعضهم البعض "حيث الزحام الذي كلُّ فرد فيه وحيد" (٧) مما يجعل من وسائل الإعلام مصدراً للشعور بالمشاركة وعدم العزلة.

المواد الإخبارية كإحدى أهم المضامين الإعلامية المشكّلة للصورة والناقلة لها:

تعدّ الوظيفة الإخبارية إحدى أهم الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام في مختلف المجتمعات ، ذلك أنها تلبّي حاجة بشرية أساسية وجدت مع الإنسان منذ بدء الخليقة وهي : البحث عن الأخبار (٨) فالإنسان - بوصفه كائناً اتصالياً - تواقٌّ للتعرف على البيئة المحيطة به، ويحدوه شغف شديد لتلمس الأخبار، ومعرفة حقائق الأحداث التي تدور من حوله (٩) وهو ما تحقّقه له المواد الإخبارية، كما أنها تشبع الفضول لدى الأفراد في معرفة ما يحيط بهم .. وهذا يساعدهم على تكوين وجهات نظر تجاه الأحداث، واتخاذ مواقف تجاهها (١٠)

وإذا كان البحث عن الأخبار حاجة إنسانية قديمة، فإن ظروف العصر الحديث قد زادت من شدة هذه الحاجة وزادت دوافعه لتلمسها .. فالشاهد أن الأفراد في المجتمعات الحديثة يعيشون في عزلة شديدة الواقع، خاصة في ضوء تفكك العلاقات الأسرية في المراكز الحضرية، ولذلك تؤدي وسائل الإعلام وظيفة حيوية للأفراد بمراقبة البيئة المحيطة، وللمجتمعات عن طريق تزويد النظام الاجتماعي بالمعلومات اللازمة، وإذا كان الأفراد يتصفون بالسلبية الشديدة في مجتمعاتنا المعاصرة بسبب هذه العزلة، فإن إطلاعهم على أحدث تطورات الأنباء أي معرفتهم بما يدور في العالم، من شأنه إعطاؤهم هذا الإحساس الكاذب بالمشاركة، بمعنى أنهم ليسوا فقط جزءاً من هذه الأحداث ولكنهم يشاركون في صنعها، هذه الحاجة النفسية هي التي تفسر، جزئياً ، كيف أن وسائل الإعلام بصفة عامة - والمضامين الإخبارية بصفة خاصة - أصبحت جزءاً مهماً من حياة الأفراد (١١)

وإذا كانت المواد الإخبارية بهذه الأهمية، سواء لدى وسائل الإعلام (١٢) أو لدى الجمهور (١٣)، فإن معرفة الأساليب والطرق التي تسهم بها في تكوين الصور الذهنية أو في نقلها تعتبر ضرورة لفهم تأثيراتها ومعرفة نتائجها .

الأساليب الإخبارية المستخدمة في تشكيل الصور الذهنية:

توجد عدة أساليب إخبارية أساسية تتكامل معاً وتسهم في تكوين الصور الذهنية لدى الأفراد الأكثر اعتماداً على وسائل الإعلام في استقاء المعلومات (١٤) وهذه الأساليب هي:

١- شخصية المواقف والأحداث: Personalization

يمكن تعريف شخصية المواقف والأحداث بأنه اتجاه الإعلاميين نحو جعل المواقف والأحداث تحتاج أفراد أكثر منها نتاج مجتمعات ومؤسسات، ونقل الحدث بدون تقديم السياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي نتج من خلالها وفي سياقها. وتوجد عوامل عديدة تدفع وسائل الإعلام إلى الاتجاه نحو شخصية الأحداث منها:

* خوف رجال الإعلام من هروب الجمهور من وسائل الإعلام في حالة التركيز على التحليلات المتعمقة.

* سهولة سرد الجانب الإنساني في أي قضية من سرد التفاصيل الجوهرية أو المتعمقة لها.

* سهولة متابعة الجمهور للأخبار المشخصة وسهولة الفهم (الظاهري) لها (١٥)

٢- إضفاء الطابع الدرامي على المواقف والأحداث: Dramatization

لعل استخدامنا لمصطلح "قصة إخبارية" دون غيره من المصطلحات يوضح لنا مفهوم الطابع الدرامي، إذ عادة ما تقدم وسائل الإعلام الأخبار في شكل قصص، لكل قصة منها شخصياتها (الفاعلون) وحبكتها (المأزق أو المشكلة)، وعادة ما يتم تقديم هذه القصة مختصرة في شكل كبسولة يمتزج بداخلها الحاضر بالماضي أو المستقبل. وهذه القصص الإخبارية أشبه ما تكون باليولودراما.. وهي ترضي الاهتمامات العاطفية التي تثار من خلال الشخصيات والحبكات، كما أن غالبيتها تدور حول عدد من المسؤولين المؤلفين الذين أصبحوا نجوماً إخبارية (١٦)

٣- تجزئـة المواقف والأحداث Fragmentation

ويعنى تجزئـة الأخبار عزل القصص الإخبارية عن بعضها البعض وعدم ربطها أو محاولة إيجاد الروابط بينها ، ولذا فإن المعلومات فى الأخبار تبدو منفصلة ومن الصعب جمعها فى إطار واحد . ويبدأ تجزئـة المعلومات بالتأكيد على الفاعلين كأشخاص أكثر من إبراز السياقات التى يعملون فى إطارها ، كما يساعد تقديم الأخبار فى شكل درامى على تقديم المعلومات بشكل مجزئ ، وتتم المبالغة فى عملية تجزئـة الأحداث والمواقف نتيجة حزم مساحات زمنية أو مكانية محدودة للقصـة الإخبارية فى الوسيلة الإعلامية وذلك لحـوف رجال الإعلام من أن يؤدى التطويل إلى إصابة المشاهدين بالملل ومن ثم ينصرفون عن الوسيلة.

والنتيجة النهائية لعملية التجزئـة هو تقديم الأخبار فى شكل هلامى Chaotic بحيث تظهر وتختفى دون رابط بينها (١٧)

٤- تنميط المواقف والأحداث Normalization

ويحدث تنميط المواقف والأحداث من خلال تقديم وسائل الإعلام لتفسيرات نمطية للمواقف والأحداث ، فالمستولون ورجال الإعلام يستجيبون للآزمات الطارئة وللمشكلات المجتمعية بقولهم إن هذه الأشياء سوف تعود إلى حالتها النمطية (العادية) Will Return to Normal (مرة ثانية . وأحد أسباب التنميط هو اعتماد وسائل الإعلام على الأسلوب الدرامى فى تقديم الأخبار ، وهذا الأسلوب الدرامى لابد له من حبكة plot تجعل الخبر مشيراً ، بيد أن هذه الحبكة قليلة من ناحية وكثيرة الاستخدام من ناحية أخرى مما يؤدى إلى تنميط المواقف والأحداث وحصرها داخل هذه الحبكة (١٨)

إن هذه الخصائص البنيوية والسمات الأسلوبية الأربعة للقصص الإخبارية فى التلفزيون تتشابه كثيراً مع الخصائص البنيوية والوظيفية للصور النمطية السابق ذكرها ، وذلك من حيث كونها جزئية وثابتة وقاصرة عن الاحتواء الكلى للموقف أو التفسير الشامل للقضية والحدث ، ومن ثم ، ووفق كثير من النظريات الإعلامية نظرية الغرس الشقافى ، نظرية الاعتماد - فإن هذه القصص الإخبارية التى تعرضها وسائل

الإعلام تؤثر على إدراكات المستقبلين ومدركاتهم وتكون لديهم صوراً غطية عن المواقف والأحداث المختلفة في أشكالها، والمتفردة في أسبابها.

إن السعى نحو أخبار جيدة المضمون وذات جودة عالية لا يتم إلا من خلال استبدال النظام الحالي الذي يعتمد على الشخصية وإضفاء الطابع الدرامي والتجزئ والتمطية في تقديم المواقف والأحداث، بمنظورات تركز على التوجهات المؤسسية والتحليلية والتاريخية والنقدية، وفي إطار هذه التوجهات وتلك المعلومات المنبثقة عنها، فإن الأفراد قد يستطيعون التوصل إلى فهم أعمق للمشكلات المجتمعية ويصبحون أكثر دافعية نحو المشاركة في حلها. وبالتالي يتعاملون مع الواقع أكثر من تعاملهم مع صورته، أو يتعاملون مع صورة مشابهة أو متوافقة للواقع أكثر من تعاملهم مع صورة مشوهة له أو مختلفة عنه (١٩)

وسائل الإعلام وتكوين الصور:

دراسة حالة لأساليب تكوين صورة العدو:

في إطار قيام وسائل الإعلام بشخصنة الأحداث والمواقف، وعرضها في قالب درامي، وتجزئتها، وتنميط أحداثها ومواقفها، تقوم هذه الوسائل بوضع بعض الحدود الثقافية بين الـ "نحن" والـ "هم"، بين "الحير كما نمثله" و "الشر كما يمثل الآخرون" بين من يمكن تصوره على أنهم "مسلاتكة" ومن يمكن تصوره على أنهم "شياطين" (٢٠)

وطبيعي أن من يخالفنا يتم عرضه في صورة "الغريب، الشيطان، الشرير"، أي أن الآخر في وسائل الإعلام يتم تجريده من شرعيته وما يتضمنه ذلك من تجريده من إنسانيته ونبذه واستخدام الألقاب السياسية المخزية ضده وإلصاق بعض الصفات المكروهة به وغيرها من الأساليب الإعلامية التي يمكن توضيح بعض عناصرها فيما يلي:

أولاً: تجريد العدو من شرعيته: المفهوم والخصائص:

يمكن تعريف التجريد من الشرعية بأنه عملية تصنيف الجماعات إلى فئات اجتماعية شديدة التطرف في السلبية، ويتم نبذ هذه الجماعات واستبعادها من

الجماعات الإنسانية لأنها تخرج على أعرافها، ولا تلتزم بمعاييرها، ولا تتمتع بقيمها، ولا تتفق مع توجهاتها، بمعنى آخر، فإن التجريد يعنى إنكاراً لأدمية الجماعة موضوع التصنيف (٢١)

ولهذه العملية عدة خصائص تميزها وتوضح أبعادها، منها:

- ١- إن هذه العملية تستخدم مضامين شديدة السلبية والبروز كأساس لها.
- ٢- إن هذه العملية تضع الجماعة موضوع التجريد (الأعداء) فى فئات وقوالب مرفوضة كلية من أعضاء الجماعة الداخلية.
- ٣- إن هذه العملية عادة ما تكون مصحوبة بتشكوين بعض المشاعر شديدة السلبية.
- ٤- إن هذه العملية قد تتضمن اتجاهات سلوكية سلبية نحو الجماعة موضوع التجريد.
- ٥- إن هذه العملية تركز إجمالاً على كون الجماعة الخارجية (الأعداء) لا تستحق المعاملة الإنسانية (٢٢)

ثانياً: طرق التجريد من الشرعية وأشكاله:

(١) التجريد من الإنسانية Dehumanization ويتم ذلك بطريقتين:

- (أ) وصف الجماعة الخارجية (الأعداء) بصفات لمخلوقات أدنى من مرتبة الإنسان العاوى (الجنس الوضيع الحيوانات)
- (ب) وصف الجماعة الخارجية بصفات لمخلوقات أقوى من الإنسان ولكنها مخلوقات خبيثة وشريرة (الشیطان) (٢٣)

ويمكن أن نرى نماذج عديدة لذلك فى وصف إيران (الخومينى) للولايات المتحدة بأنها "الشیطان الأعظم"، أو وصف الألمان (هتلر) لليهود بأنهم "جنس وضيع"، أو وصف البيض للسود بأنهم "أقل مرتبة منهم" و "حيوانات" (٢٤)

(٢) التبدد والإبعاد Out casting

ويعنى ذلك وصف الجماعة الخارجية بأنها معتدية على الأعراف الاجتماعية المحورية Pivotal Social Norms، مثل وصف الجماعات الخارجية بأنهم "قتلة"، و "لصوص"، "فاسدون أخلاقياً" و "شهوانيون"، و "شواذ... " وهؤلاء المعطون للأعراف والخارجون عليها لابد من إبعادهم، ونبذهم، والحط من أقدارهم (٢٥)

ويمكن أن نرى نماذج لذلك فى العلاقة بين يهود إسرائيل والفلسطينيين فى الأرضى العربية المحتلة، فاليهود يصفون الفلسطينيين بأنهم "قتلة" و "إرهابيون.. " و "متخلفون..." بينما يصف الفلسطينيون الإسرائيليين بأنهم "صهاينة" و "عنصريون" و إرهابيون" و "محتلون غاصبون" (٢٦).

(٣) استخدام الألقاب السياسية Use of political labels

أى أن التصنيف فى هذه الحالة يكون على أسس سياسية أيديولوجية، ويدهى أن هذه الألقاب المستخدمة فى وسائل الإعلام تكون مبنية على أهداف وأيديولوجيات وقيم سياسية (نازيون فاشيست استعماريون إمبراليون).

ويمكن أن نرى نماذج لذلك فى وصف الأمريكان للروس سابقاً بأنهم "شيوعيون" فى حين يصف الروس الأمريكين بأنهم "رأسماليون، إمبراليون"، وكل نوع يمثل الشر الذى لابد من القضاء عليه لدى الطرف الآخر.

(٤) إلصاق الصفات Trait characterization

ويعنى هذا الأسلوب نسب صفات شخصية لأفراد الجماعات الخارجية وإلصاقها بهم، بحيث تصبح فى النهاية مرتبطة بهم أشد الارتباط.

مثال على ذلك وصف وسائل الإعلام الألمانية (فى عهد هتلر) للفجر بأنهم "غير متوازنين، عديمو الشخصية، خاملون، لا يعتمد عليهم...".

(٥) المقارنة مع الجماعة الداخلية

Group Comparison وفى هذا الأسلوب يتم مقارنة الجماعة الخارجية

بالجماعة الداخلية، وإبراز الجماعة الخارجية باعتبارها مثلاً للشر والزيف والخداع، وكل

مجتمع لديه في ثقافته أمثلة للجماعات التي تستحق من وجهة نظر هذه الثقافة أن توصف بكل الصفات الرديئة. مثال على ذلك وصف وسائل الإعلام الأمريكية الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية بأنهم Huns أي برابرة، مدمرون (٢٧)

ثالثاً: الوظائف التي تحققها وسائل الإعلام للمجتمع من عملية تجريد الآخرين من شرعيتهم:

توجد وظائف عدة سياسية وأيدولوجية وثقافية تحققها وسائل الإعلام للمجتمع أو الجماعة الداخلية نتيجة لتجريد أعضاء الجماعة الخارجية من شرعيتهم، منها:

١- تبرير التصرفات السلبية جداً للجماعة الداخلية Justification For Extreme Negative Behavior، إذ تبرر وسائل الإعلام من خلال قيامها بهذا الدور التصرفات العدوانية وأعمال العنف التي تقوم بها الجماعة الداخلية ضد الجماعة الخارجية.

٢- إبراز الاختلافات والفروق بين الجماعات، فعن طريق عملية التجريد يتم وضع حدود فاصلة ومعروفة بين الجماعة الداخلية الـ "نحن" والجماعة الخارجية الـ "هم".

٣- إظهار الشعور بالتفوق Superiority إذ تحاول وسائل الإعلام إظهار تفوق الجماعة الداخلية من خلال تجريدتها لشرعية الجماعة الخارجية.

٤- التأكيد على تألف الجماعة Group Uniformity إذ تحاول كل جماعة إبراز تألفها وتماسكها في مقابل تناقض الجماعات الخارجية وتفككها (٢٨)

ملاحظات عامة على دور وسائل الإعلام في تكوين الصور:

١- الملاحظ على معظم الدراسات الإعلامية في مجال الصورة أنها ذات رؤية أحادية الجانب للموضوع، ولم تناقش معظمها الجانب الآخر من القضية، فمع اتفاقنا على أهمية وسائل الإعلام في تشكيل بعض الصور، فإن دورها الأكبر من وجهة نظر الباحث يكمن في نقل الصور، فهي وسيلة لنقل صور موجودة أصلاً في المجتمع أو هي مرآة عاكسة لهذه الصور، فالمجتمع ينتج الصور، ووسائل الإعلام تعكسها. وإذا كان البعض يزعم أن المسألة أشبه بجذلية أيهما الأسبق البيضة أم الدجاجة ؟ فإن الباحث

يرى أن وجود الصور قبل ظهور وسائل الإعلام واستمرارها معها يرجع الوجهة الأولى، وهي أن مهمة وسائل الإعلام الأساسية هي عكس الصور لا إنتاجها، ونقلها لا صانعتها.

٢- إنه مع اقتناعنا بكون وسائل الإعلام أداة لنقل الصور، فإن ذلك لا يمنع أن تكون وسائل الإعلام صانعة لبعضها، ولكن في حالات محددة ومحدودة، وهي:

(أ) أن يكون الشيء موضوع الصورة جديداً لا علم للمجتمع به من قبل، ولا عهد له به، فوسائل الإعلام وهي تنقل هذا الشيء، تصنع له صورة لدى الجمهور.

(ب) أن يكون الشيء موضوع الصورة غير متعارض في أسسه أو متناقض في تكوينه مع الصور القديمة الموجودة لدى المجتمع، أما إذا كان الشيء موضوع الصورة متعارضاً أو متناقضاً ففي هذه الحالة يشترط أن يكون لدى المجتمع الاستعداد والقابلية لتغيير توجهاتهم السابقة وصورهم القديمة، ولا يتم ذلك إلا في حالة وقوع حدث مثير وحيوي Spectacular Events يضعف الأسس التي تقوم عليها الصور القديمة ويهيئ المجال لتقبل الصور الجديدة أو المعدلة أو من خلال الأحداث التراكمية Cumulative Events. نرى أمثلة لذلك في صورة الصينيين لدى الهنود قبل الصراع الحدودي بينهما (ديسمبر ١٩٥٩) وبعده؛ فقبل الصراع كانت صورة الصينيين أنهم متقدمون، شرفاء، وطنيون، شجعان، مثقفون. أما بعد هذا الصراع فقد أصبحوا من وجهة نظر الهنود عدوانيين ويتسمون بالوقاحة ويعشقون الحرب وطماعين وأغبياء. كذلك نرى تغييراً في صورة اليابانيين لدى الأمريكيين قبل موقعة "بيرل هاربر" وبعدها.

(ج) أن تكون خصائص الشيء موضوع الصورة من الوضوح والبروز بحيث يمكن نقلها بسهولة إلى الجمهور وغرسها في تفكيره.

٣- إن قصر التركيز على دور المواد الإخبارية في تكوين الصور ونقلها لا يعنى التقليل من أهمية المواد والمضامين الإعلامية الأخرى، فالدراما بكافة أشكالها (مسلسلات، أفلام، مسرحيات...) تعتبر مصدراً فعالاً للتكوين والنقل، ولعل صورة الولايات المتحدة المتكونة لدى كثير من شعوب الدول الأخرى ترجع إلى الدراما

تسير إليه فتسير من الدراسات سير ...
إخبارية وأساليبها حتى تتماشى مع طبيعة الموضوع، ومع حدوده الموضوعية.
المنهجية.

٤- إن إبراد أربعة أساليب إخبارية فقط تستخدم في تشكيل الصور الذهنية نقلها، لا يعنى عدم وجود أساليب إخبارية أخرى، ولكن معناه أنها أهم الأساليب أبرزها، فمن الأساليب الأخرى التي قد تسهم في رسم الصورة بطريقة غير مباشرة أسلوب التجاهل وعدم الاهتمام والدفن: فتجاهل أخبار دولة معينة، وعدم الاهتمام قضائياها وعدم إبراد أية إشارة لها هو نوع من أنواع "نفي الآخر" و "تجريدته" "نزعته" و "سحقه" وما في ذلك من إشارة إلى عدم أهميته أو دونيته، وما يؤيد ذلك من تكوين صورة سلبية لهذه الدولة بطريقة غير مباشرة.

٥- إن نجاح وسائل الإعلام (المضامين الإخبارية) في نقل الصور السياسية صفة خاصة وفي تكوينها يتطلب بناء خاصاً للرسالة الإعلامية الإخبارية، وتوفر بعض العناصر الأسلوبية التي بدونها يصعب نقل الصور أو تكوينها، وهذه العناصر في جمالها فيما يلي:

(أ) بناء الرسالة وتأليفها: فمضمون الرسالة السياسية لابد أن يكون بسيطاً مألوفاً، مثالياً. فالصور السياسية تبدأ عادة بجملة رئيسية Key phrase أو ف ترسم طريقاً ملائماً للناس حتى يفكروا في موضوع الصورة. على سبيل المثال استروزقلت في دعايته الانتخابية شعار العهد الجديد New Deal وذلك للإشارة برنامج اقتصادي معقد، كما استخدم كيندي شعار الحد الجديد w Frontier واستخدم جونسون شعار المجتمع العظيم Great Society، واستخدم ريجان شعار الفيدرالية الجديدة New Federalism واستخدم بوش شعار "النظام العالمي الجديد" New World Order وفي مصر استخدم جمال عبد الناصر شعار "القوة العربية" واستخدم أنور السادات شعار "دولة العلم والإيمان" و "دولة المؤسسات" ويستخدم حسنى مبارك شعار "الشفافية وطهارة اليد" وهكذا.

(ب) إبراز الرسالة السياسية: لو أصبحت الرسالة أكثر بروزاً وظهوراً، وتم إغراق وسائل الإعلام بها أكثر من الرسائل المنافسة لها، فمن المحتمل أن يكون لها نصيب كبير في تكوين فكر الأفراد وتصوراتهم.

(ج) إحاطة الرسالة بسياج من المصادقية، وذلك عن طريق استخدام الحجج المنطقية أو الاستمالات العاطفية أو هما معا (٣٠)

خلاصة القول: إن وسائل الإعلام في ظل خصائصها الراهنة، وخصائص المجتمعات الحالية تلعب دوراً كبيراً في تكوين الصور لدى الأفراد وفي نقلها إليهم. وهي تتبع في ذلك أساليب مختلفة وطرقاً متعددة، وتشير نتائج كثير من الدراسات الإمبريقية إلى نجاح وسائل الإعلام في تحقيق كثير من أهدافها، وفي الوصول إلى كثير من غاياتها.

المبحث الثاني: وسائل الإعلام وعلاقتها بمتخذي القرارات السياسية

أ- مشاهد أولية

تزخر كتب الإعلام ودراساته بالعديد من المشاهد واللقطات ذات الدلالة في توضيح العلاقة بين وسائل الإعلام ومتخذي القرارات وصانعي السياسات، نقتطف منها هذه المشاهد:

١- كان البيت الأبيض خلال سنوات رونالد ريجان يصل إلى حالة توقف صارخ في السابعة مساءً، حتى يستطيع كل مسئول أن يشهد برامج الأخبار المسائية، ليرى، في المقام الأول، ما إذا كانت إدارتهم لمسرح الرئاسة قد تُرجمت بنجاح إلى لغة التلفزيون (٣١)

٢- في نهاية برنامج مدته نصف ساعة على شبكة CBS خصص لتقسيم الوضع الأمريكي في فيتنام (مارس ١٩٦٨) استنتج Walter Cronkite المذيع التلفزيوني الشهير "أن هذه الحرب لا يمكن لأمریکا الانتصار فيها، وأن على الحكومة الأمريكية أن تتفاوض لتخرج من فيتنام". وبمجرد بث البرنامج استدار الرئيس جونسون إلى مساعديه، وأعلن أنه إذا كان كرونكيت Cronkite يعتقد أن الحرب قد انتهت، فإن بقية الشعب لابد أنهم يعتقدون ذلك أيضاً (٣٢).

If Walter Cronkite Thought the war was over, so would the rest of the country.

٣- في حرب الخليج الثانية، وتحديدًا ليلة ١٦ يناير ١٩٩١، اجتمع الرئيس بوش ووزير الدفاع ريتشارد تشيني Cheney والجنرال كولن باول Colin Powell قائد العمليات المشتركة، في البيت الأبيض انتظاراً لسماع آخر التطورات في عملية "عاصفة الصحراء" من قيادة القوات في المنطقة، ولكنهم، وبدلاً من ذلك، استمعوا إلى هذه التطورات من خلال CNN التي غطت على الهواء من خلال ثلاثة مراسلين لها في بغداد وقائع المعركة خاصة في ساعاتها الأولى (٢٣)

٤- كان الرئيس كارتر (أثناء أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران) يقضى في مشاهدة شبكات التليفزيون الثلاثة التي كانت تبث إرسالها في وقت واحد عن آخر الأنباء، وذلك في المكتب البيضاوي، وقتاً أطول مما كان يقضيه في قراءة بوقيات وتقارير وكالة المخابرات المركزية CIA التي تحوى آخر التقييمات بشأن كيفية معالجتها (٢٤)

٥- كان سكرتير أحد المرشحين في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٨٨ يدعى أن هذا المرشح يقضى أكثر من ثلث وقته مع وسائل الإعلام مشتركاً في برامجها أو مشاهدتها لها (٢٥)

٦- عندما سؤلت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة عن زيارة السادات التاريخية إلى القدس، ومنحه (بالاشتراك مع بيجن) جائزة نوبل للسلام أجابت "أنا لا أعرف شيئاً عن جائزة نوبل... ولكنى أعتقد أنهما (السادات بيجن) يستحقان جائزة أوسكار (٢٦)

ب - استنتاجات مبدئية:

* إن هناك علاقة ما بين وسائل الإعلام ومتخذي القرارات السياسية، فهذا الاهتمام الذي تلقاه وسائل الإعلام من متخذي القرارات السياسية لابد أن يكون نتيجة علاقة ما بينهما ولا بد أن هذه الوسائل تثل شيئاً ما لدى متخذي القرارات.

* إن هذه العلاقة غير محددة الاتجاه في تأثيرها من يؤثر في من؟ من يسيطر

على من؟ من يحدد تصورات من؟ هل يهيمن متخذو القرارات السياسية على وسائل الإعلام؟ أم تفقد وسائل الإعلام متخذى القرارات وتدفعهم نحو غايات وأهداف تريدها وسائل الإعلام؟ (٣٧)

* إن شدة هذه العلاقة وقوتها غير محددة، وتتراوح بين الضعف الشديد في بعض الأحيان والقوة في بعضها الآخر. كما تميل هذه العلاقة إلى الانقسام والتباعد والغياب في بعض الحالات وإلى الالتحام والتقارب والحضور في حالات أخرى.

* إن هذه العلاقة بكتشفها نوع مما يمكن أن نطلق عليه "الذاتية الضبابية Blurred Subjectivity" فالعلاقة غامضة وغير واضحة، وأدوات الملاحظة ذاتية في أغلبها وغير موضوعية، والنتائج دائماً معلومات نصف كاملة، أو نماذج استثناءاتها أكثر من مجالات تطبيقها.

وبصفة عامة يمكن القول إن طبيعة العلاقة بين وسائل الإعلام ومتخذى القرارات السياسية يمكن تصور بعض أبعادها من خلال الإجابة عن الأسئلة الثلاثة الآتية:

أولاً: ما هو تصور متخذى القرارات وصانعى السياسات لدور وسائل الإعلام في مجال السياسة الخارجية؟

ثانياً: ما هو تصور الإعلاميين لدورهم في المجتمع ولطبيعة علاقتهم بمتخذى القرارات السياسية؟

ثالثاً: ما هو "التصور العام" لما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام في السياسة الخارجية؟

أولاً: تصور متخذى القرارات السياسية لدور وسائل الإعلام في مجال السياسة الخارجية:

لاعتبارات منهجية وتطبيقية متعددة، لا توجد دراسات إمبريقية تم إجراؤها على متخذى القرارات وصانعى السياسات لمعرفة دور وسائل الإعلام في مجال السياسة الخارجية، لذا فإن معظم التصورات المطروحة هي تصورات نتاج الملاحظة الشخصية، والاستنباط، والاعتماد على ملاحظات المقربين من متخذى القرارات وصانعى السياسات أو مذكراتهم وأحاديثهم.

ويمكن للباحث من خلال استقراء نتائج عدد من الدراسات والملاحظات الشخصية توضيح تصور متخذي القرارات لدور وسائل الإعلام في مجال السياسة الخارجية في النقاط التالية:

(١) وسائل الإعلام كوسيلة اتصال مع الدول الأجنبية وأداة تفاوض معها:

توجد حالات كثيرة تم استخدام وسائل الإعلام فيها من قبل بعض الزعماء كأداة رئيسية للاتصال مع نظرائهم في الدول الأخرى لاسيما في أوقات الأزمات وذلك لتوصيل رسائل سريعة لهم في حالة تعطل القنوات الدبلوماسية المعهودة أو بطئها في تنفيذ ما يوكل إليها. وفي هذه الحالات تتخذ وسائل الإعلام أشكالاً مختلفة في التوصيل، فقد تعمل كمكبر صوت وترفع نغمة التخاطب أحياناً، أو تميل إلى أسلوب "الهمس الدبلوماسي" Whispers of Diplomacy " في أحيان أخرى (٣٨) وهذه أمثلة لتلك الحالات:-

(أ) بعد قيام الثورة الإيرانية، وحصار الطلبة الإيرانيين للسفارة الأمريكية في طهران واحتجاز من فيها من الأمريكيين كرهائن، استخدم الحوميني وسائل الإعلام وكرسها لما يمكن تسميته بالدبلوماسية الفورية Instant Diplomacy، وشهد الجمهور الأمريكي واحدة من أطول المسلسلات الدبلوماسية - the Longest Diplomatic Soap Operas في تاريخ الشبكات التليفزيونية الأمريكية. وفي الولايات المتحدة، كان الرئيس كارتر ووزير خارجيته فانس Vance يتحدثان إلى أي شخص يمكن أن يستمع إليهما في طهران، ليس من خلال المسؤولين أو عن طريق الأساليب الدبلوماسية التقليدية، ولكن من خلال وسائل الإعلام (٣٩)

(ب) في أثناء أزمة الرهائن الأمريكيين في طهران واستيلاء الطلبة الإيرانيين على السفارة الأمريكية هناك، وجد الطلبة ضمن ما وجدوه وثيقة هامة أعدتها وكالة المخابرات المركزية CIA الأمريكية وعنوانها "إسرائيل: المخابرات الأجنبية وخدمات الأمن Israel: Foreign Intelligence and Security Service وتفسير الوثيقة إلى أن إسرائيل لا تقوم بأعمال تجسسية على الولايات المتحدة فقط ولكنها تستغل أو ترشو كثيراً من المسؤولين الأمريكيين. وقد قامت طهران بطبع هذه الوثيقة

وتوزيعها ونشرها في وسائل الإعلام، وتم استخدام وسائل الإعلام من قبل طهران في إيصال رسائل سياسية معينة متعلقة بهذه القضية إلى الولايات المتحدة، وهو ما كان له تأثيره على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية في حينها (٤٠)

(ج) أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان (1982) وقيامها بمذابح وحشية ضد اللبنانيين والفلسطينيين، ومحاولتها القبض على ياسر عرفات، استخدم الرئيس عرفات وريجان وسائل الإعلام لتبادل الرسائل بينهما في محاولة للتوصل إلى حل (٤١)

(د) في أثناء حرب الخليج الثانية، وانقطاع العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والعراق، استخدم الرئيس العراقي والأمريكي وسائل الإعلام لاسيما شبكة CNN في إيصال رسائل إلى الشعبين الأمريكي والعراقي. كذلك استخدم الرئيس المصري حسنى مبارك وسائل الإعلام في توجيه رسائل تحذيرية إلى الرئيس العراقي بلغ عددها حوالي سبع عشرة رسالة وذلك بعد سحب السفير المصري من العراق، وإحساس القيادة المصرية بعد خديعتها من قبل الرئيس العراقي بعدم إمكانية التعامل المباشر معه.

(هـ) في أغسطس ١٩٩٤ استخدمت الإدارة الأمريكية وسائل الإعلام في إيصال رسالة تحذيرية إلى القيادة الكويتية (فيدل كاسترو) تحذرها من السماح للكويتيين بالهجرة المتدفقة إلى الولايات المتحدة، وأن ذلك سوف يواجه بأعمال صارمة (٤٢)

٢- وسائل الإعلام كوسيلة تنفيذ سياسات أو كوسيلة تهديدية لذلك:

(أ) العدوان الأمريكي على الجماهيرية الليبية نفي عام ١٩٨٦ روجت الإدارة الأمريكية في وسائل الإعلام لقصة تزعم أن الرئيس الليبي معمر القذافي سيرسل إلى الولايات المتحدة بعض الفرق الإرهابية (سميت بالفرق الضاربة) وذلك لقتل الرئيس الأمريكي ريجان وبعض المسؤولين الكبار في أمريكا، وأن الرئيس السابق CIA هو الذى سيمد هؤلاء الإرهابيين بالمفرقات والمتفجرات كما سيتولى تدريبهم. وأن هؤلاء الإرهابيين على أهبة الاستعداد فى كندا أو المكسيك لتنفيذ المهمة. وكان هدف الإدارة الأمريكية من هذا الترويج هو تهيئة الرأى العام المحلى والعالمى لاتخاذ قرارات ضد ليبيا بل وللقيام بضربة عسكرية ضدها، وقد تم اختيار ليبيا لأنها عدو سهل بالمقارنة

مع الاتحاد السوفيتي يمكن إظهار تفوق الولايات المتحدة عليه، كما أن الولايات المتحدة كانت تهدف من ذلك إلى تحويل الأنظار عن فشلها في التعامل بصورة فعالة مع مشكلات أكثر خطورة في أماكن أخرى (٤٣)

(ب) العدوان الأمريكي على العراق: (1993) وهي قصة شبيهة بالقصة السابقة، مما يؤكد أنها استراتيجية مفضلة لدى الحكومة الأمريكية، فقد روجت الحكومتان الكويتية والأمريكية لقصة تزعم قيام الرئيس العراقي صدام حسين بإرسال فرقة إرهابية إلى الكويت وذلك لاغتيال الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش في أثناء زيارته للكويت لتكريمه على ما فعله من أجل تحرير الكويت !! وقد تم تسريب هذه القصة إلى وسائل الإعلام بعد مغادرة جورج بوش للكويت ووصوله إلى الولايات المتحدة، وذلك تمهيداً لقيام الإدارة الأمريكية الجديد آنذاك برئاسة كلينتون بضرب العراق واستعراض قدرتها على الردع وعلى استخدام القوة.

(ج) حرق السفارة الأمريكية في إسلام آباد (1979)، خلال الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق والمناورات المتبادلة بينهما، سرت الحكومة السوفيتية إلى وسائل الإعلام الروسية خبراً مفاده أن الولايات المتحدة تعتزم السيطرة على المسجد الحرام في مكة المكرمة، وكان الهدف من ذلك هو إثارة غضب المسلمين وحفيظتهم على الولايات المتحدة، وهو ما ترتب عليه قيام بعض الباكستانيين بحرق السفارة الأمريكية في إسلام آباد (٤٤)

(د) حرب يونيو ١٩٦٧: استخدمت إسرائيل وسائل الإعلام العالمية ببراعة في الترويج لقصة مفادها أن الدول العربية تعتزم تدميرها وإلقائها في البحر، وأنها معرضة للهجوم عليها من الدول العربية، وأنها دولة مسالمة لا تريد حرباً وإنما تريد العيش في سلام. وكان هذا الترويج يهدف التستر وشغل الرأي العام العالمي عن قيامها بالاستعداد لشن حرب جوية على الدول العربية المجاورة، وهو ما تم في ٥ يونيو. ولقد ظلّ الرأي العام العالمي لفترة طويلة بعد الحرب متعاطفاً مع إسرائيل باعتبار أن الدول العربية هي التي بدأت بالحرب وأن إسرائيل إنما كانت تدافع عن نفسها.

(هـ) فضيحة الأبسكام Abascam: (1978) إذ روجت المباحث الفيدرالية

الأمريكية FBI من خلال وسائل الإعلام لقصة مفادها أن بعض المشايخ العرب قد قاموا برشوة بعض الموظفين والمسؤولين في الإدارة الأمريكية، واستغلوا صلاتهم ببعض الشيوخ الأمريكيين في الحصول على امتيازات وتراخيص غير مشروعة، وأنهم (أي المشايخ العرب) في طريقهم للسيطرة على الاقتصاد الأمريكي. وقد كان الهدف من هذه القصة (المختلقة بطريقة رديئة وساذجة) هو تشويه صورة العرب وحكامهم حتى يتوافق ذلك مع السياسات الأمريكية الخارجية نحو عدد من الدول العربية آنذاك (٤٥)

(و) حرب الخليج الثانية تمثل حرب الخليج نموذجاً مهماً للطريقة التي يمكن أن توضح لنا كيفية استخدام صانعي السياسات ومتخذي القرارات لوسائل الإعلام في تنفيذ السياسات المرسومة أو التمهيد لها. الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى القول بأن الحرب كانت في المقام الأول "حرباً تليفزيونية" (٤٦) الضحية الأولى فيها هو الصد (٤٧) وأنها كانت أقرب إلى الفيلم السينمائي (٤٨) وعلى عكس الحروب والصراعات السابقة لم تبدأ المواجهة في ميدان القتال إلا بعد أن نجحت استراتيجيات الاتصال وتكتيكات الدعاية في التمهيد لذلك، سواء على المستوى المحلي أو المستوى الدولي (٤٩) وعلى حد تعبير شيلر فقد قدمت حرب الخليج فرصة ذهبية لتضليل الرأي العام عن طريق المعلومات الخاطئة، فما شاهده الناس في الواقع كان تخيلاً إعلامياً Media Imagery تم عزفه وبشه لكي ينقل الإحساس أو الشعور بالنصر Sense of Triumph ولكي يتم إدراك نتائج لم تحدث في الواقع ويساندها المنطق (٥٠)

٣- وسائل الإعلام كوسيلة لتبرير القرارات والسياسات:

يذهب شيلر (1999) إلى أن مديري أجهزة الإعلام (غالباً ما...) ومون بوضع أسس عملية تداول الصور والمعلومات ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها، تلك الصور والمعلومات هي التي تحدد معتقداتنا ومواقفنا، بل وتحدد سلوكنا في النهاية. وعندما يعتمد مديرو أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي فإنهم يتحولون إلى "سانسي عقول.." وعندما يؤدي التضليل الإعلامي للجهل بدوره بنجاح تنتفي الحاجة إلى اتخاذ تدابير اجتماعية بديلة (٥١) معنى هذا أن متخذي القرارات وصانعي السياسات قد يستخدمون وسائل الإعلام في إضفاء طابع خلاب على الموقف واستحداث معنى زائف له وذلك للحصول على التأييد الجماهيري.

ونستطيع القول إن معظم القرارات والسياسات التي تحكم حياتنا ونصر عليها ونؤمن بها هي نتيجة وجود مبررات وتفسيرات نجح متخذو القرارات وصانعو السياسات في إقناعنا بها، وهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها أو محاولة ذكرها مهمة عسيرة، بيد أن ذكر بعض النماذج التي كان عدم نجاح متخذى القرارات في استخدام وسائل الإعلام في تبريرها سبباً في انهيار السياسات المترتبة عليها، قد تعطينا إشارة واضحة إلى أهمية وسائل الإعلام بالنسبة لمتخذى القرار في هذا الخصوص، ومن الأمثلة التي توضح ذلك مايلي:

(أ) كان عدم نجاح إدارة الرئيس الأمريكى جونسون في تبرير اجتياح القوات الأمريكية لفيتنام ومحاولتها السيطرة عليها وإخضاعها سبباً في المظاهرات المتعددة التي حدثت في الولايات المتحدة (كان الرئيس السابق كلينتون أحد المتظاهرين فيها) وكانت سبباً في خروج الولايات المتحدة منها مهزومة هزيمة.

(ب) أدى فشل إدارة الرئيس الأمريكى ريجان في تقديم مبررات واضحة وقوية لإرسال القوات البحرية الأمريكية إلى لبنان (1982) وعدم تقديم تفسيرات واضحة للجمهور ووسائل الإعلام إلى إزدياد الضغط الشعبي المعارض لهذا القرار وإلى اضطراب الرئيس ريجان إلى سحب هذه القوات من لبنان (٥٢).

(ج) أدى عدم إيمان كثير من الصحفيين ورجال الإعلام في مصر لسياسات الرئيس السادات الاقتصادية وسياسة الانفتاح الاقتصادي، وعدم وجود تبريرات قوية لدى الحكومة حينذاك لتبرير القرارات الاقتصادية إلى عدم قدرة الحكومة على تنفيذ هذه القرارات نتيجة "الانتفاضة الشعبية" التي عمت أنحاء الجمهورية، والتي أطلق عليها السادات اسم "انتفاضة الحرامية".

(د) كانت عدم قدرة الرئيس السادات على تسويق فكرة السلام مع إسرائيل وتبرير فكرة التطبيع معها سواء على المستوى الإعلامى (المحلى) أو على المستوى الشعبى سبباً رئيساً في المظاهرات والحركات المناهضة له في السنوات الأخيرة من حكمه، ومحاولات الاغتيال الفاشلة المتعددة التي تعرض لها والتي انتهت بحادث المنصة في أكتوبر ١٩٨١م.

ثانياً: تصور الإعلاميين لطبيعة علاقتهم بمتخذي القرارات السياسية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية:

توجد نماذج إعلامية متعددة وضعها بعض الباحثين لتوضيح تصور الإعلاميين لطبيعة علاقتهم بمتخذي القرارات السياسية، نختار منها النماذج الثلاثة التالية:

(أ) نموذج برنارد كوهين Bernard, Cohen ويرى كوهين أن هناك سبعة تصورات للإعلاميين لطبيعة علاقتهم بمتخذي القرارات السياسية، وهذه التصورات هي:

(١) تصور المحرر المحايد The Neutral Reporter الذي يرى أن مهمة وسائل الإعلام في الشؤون الخارجية تقتصر فقط على الإخبار-The Press as In-former.

(٢) تصور المحرر المحايد الذي يرى أن مهمة وسائل الإعلام لا تقتصر فقط على الإخبار ولكنها تمتد إلى تفسيرها ومحاولة توضيحها سواء للجمهور أو لمتخذي القرار.

(٣) تصور المحرر المحايد الذي يرى أن وسائل الإعلام هي أداة في يد الحكومة تسيطر عليها وتتحكم فيها.

(٤) تصور المحرر المشارك The Reporter as Participant والذي يرى أن وسائل الإعلام هي السلطة الرابعة في المجتمع، ومن ثم يرى أن دور وسائل الإعلام إنما يكمن في كونها ممثلة عن الشعب.

(٥) تصور المحرر المشارك الذي يرى أن دور وسائل الإعلام هو نقد الحكومة ومراقبة قراراتها وسياساتها.

(٦) تصور المحرر المشارك الذي يرى أن دور وسائل الإعلام هو الدفاع عن سياسة الحكومة وتبرير قراراتها.

(٧) تصور المحرر المشارك الذي يرى أن وسائل الإعلام هي صانعة السياسات ومتخذة القرارات (٥٣)

(ب) نموذج بلومر وجيرفيتش Blumer & Gurevitch يرى الباحثان أن هناك ثلاثة تصورات لطبيعة العلاقة بين الإعلاميين ومتخذى القرارات السياسية:

(١) التصور الأول: الخصومة أو العداء:

ووجهة النظر الأساسية فى هذا التصور ذات طبيعة أيديولوجية، إذ يقوم على افتراض خصومة مستمرة وصراع دائم بين الإعلاميين والسياسيين.

(٢) التصور الثانى: التبادل الاجتماعى:

ويقوم هذا التصور على فكرة التفاعل المستمر بين الطرفين، ويرجع ذلك إلى أن طبيعة العلاقة بينهما تفرض وتحتم هذا التفاعل، فهناك مصالح واهتمامات مشتركة يصعب إنجازها فى غياب هذا التفاعل.

(٣) التصور الثالث: الاعتماد والتكيف:

يقوم هذا التصور على افتراض تداخل الأهداف بين الطرفين، بل إن بعض الأهداف تكاد تكون واحدة بينهما، مثل تحقيق درجة عالية من المصادقية لدى الجمهور. فكل من الإعلاميين والسياسيين يسعى لبناء الثقة بينه وبين الجمهور، وهذا لن يتحقق فى غياب توافق بين الطرفين، وأياً كانت الأهداف فكل طرف فى حاجة إلى الآخر؛ السياسى فى حاجة إلى وسائل الإعلام التى تقدمه للجمهور، والإعلامى فى حاجة إلى السياسى ليحصل منه على الجديد (٥٤)

(ج) نموذج بسيونى حمادة

قدم بسيونى حمادة (1994) اثنى عشر تصوراً للإعلاميين فى علاقتهم بالسلطة الحاكمة فى الوطن العربى بصفة عامة، وذلك دون تحديد لموضوع معين أو لسياسة بعينها. وهذه التصورات هى:

١- الإعلامى المتملق أو المداهن

٢- الإعلامى رجل البريد المنضبط

٣- الإعلامى الأنانى، النفعى، الغائى

- ٤ - الإعلامى المتفرنج المتهور
- ٥ - الإعلامى المعارض صاحب البرنامج
- ٦ - الإعلامى صاحب الرسالة
- ٧ - الإعلامى الخادم الأمين المطيع
- ٨ - الإعلامى البيروقراطى - الموظف
- ٩ - الإعلامى المتمرد فاقد الهدف والبرنامج
- ١٠ - الإعلامى المثقف، الهادئ، الدبلوماسى
- ١١ - الإعلامى الناقد الموضوعى
- ١٢ - الإعلامى الإسلامى المستنير (٥٥).

ثالثاً: التصور العام لما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام فى مجال السياسة الخارجية:

توجد مجموعة تصورات عامة صاغها الباحثون فى مجال الإعلام السياسى لما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام فى مجال السياسة الخارجية، فقد ذهب حميد مولانا (1994) إلى أن وسائل الإعلام يمكن أن تقوم بالوظائف التالية:

* كمساند كبير لسياسات الحكومة ومناصرة عن الوضع القائم Statues .
* كأداة دعائية Propagandist ومطلب سابق prerequisite للوصول إلى
أية غاية.

* كمراقب (Watch Dogs) لما تريده الحكومة (٥٦)

على أن هذا التصور يمكن اعتباره "تصوراً انفعالياً" أو "تصوراً موقفياً" نتيجة ظروف نشأته المرتبطة بحرب الخليج ، وما ارتبطت به من استخدام الولايات المتحدة بمهارة وإتقان لوسائل الإعلام فى تحقيق أهدافها، وفى الوصول إلى غاياتها ومراميها. ولذا فإن هذا "التصور" غير قابل للتطبيق أو التعميم إلا فى "أوقات الأزمات".

كما ذهب ريتشارد ديفيز Davis (1996) إلى أن دور وسائل الإعلام يمكن

تصوره في "الوساطة" فهي وسيطة Mediator في كثير مما يتخذ من سياسات خارجية، ويذهب إلى أن متخذي القرارات السياسية (في أمريكا) تأثرون بصورة مبالغ فيها بالصور التي تعرضها وسائل الإعلام للأحداث الخارجية، فالصور التي نُقلت من البوسنة والصومال ورواندا دفعت الحكومة الأمريكية إلى الاهتمام بحل هذه المشاكل من أجل نزع الصور السيئة من عقول الرأي العام الأمريكي الذي تأثر بها وتفاعل معها (٥٧)

معنى هذا أن دور وسائل الإعلام هو التوصيل والنقل Conduit Role من وإلى صانعي القرار ، بيد أنها ليست واسطة أو ناقلة عادية بل لها تأثير نسبي على صانعي السياسات، إذ يشير لارسون Larson (1986) إلى أن تغطية الشيفزيون للأحداث الخارجية تؤثر على السياسة الخارجية عن طريق حملها للعواطف والمشاعر والأحاسيس، فعلى سبيل المثال، يقال إن الرئيس الأمريكي ريجان كان متأثراً بتغطية وسائل الإعلام لأزمة الرهائن الأمريكيين في لبنان عندما تورط في فضيحة "إيران كونترا"، وأيضاً ضغط ريجان على إسرائيل لوقف ضرباتها على لبنان (1982) بعد أن تأثر بروية الجرحى والقتلى من المدنيين (٥٨)

على أنه لا يمكن تعميم هذا "التصور" أيضاً، فوسائل الإعلام لا تقوم بالنقل فقط في كل الحالات، بل يمكن أن تصنع أحداثاً وأن تصبح مشاركاً فعالاً في عملية صنع السياسات الخارجية وتوجيهها.

وبصفة عامة يمكن لنا تصور وظيفة وسائل الإعلام في مجال السياسة الخارجية بالاتفاق مع كوهين Cohen (٥٩) ولارسون Larson (٦٠) في قيامها بثلاثة أدوار رئيسة:

(١) دور المراقب أو الملاحظ للسياسة الخارجية The press as Observer منذ بداية السبعينيات ووسائل الإعلام تلعب دور المراقب أو الملاحظ لأداء الحكومة في مجال السياسة الخارجية، وتمارس نوعاً من الرقابة على الحكومة في هذا المجال، ساعداً على ذلك التطور التكنولوجي الهائل في مجال الاتصالات، والمكانة التي احتلتها الوسائل الإعلامية الإخبارية في حياة كثير من الناس.

ولعل إحدى النقاط المهمة في هذا المجال هو ما أحدثه قيام وسائل الإعلام بهذا الدور من تحول وتحول في الأنظمة الدبلوماسية الحديثة Modern Diplomatic System إذ أحدثت انقلاباً على أسلوب التحفظ Reticence والخصوصية Privacy التي اتسمت بها الدبلوماسية طوال عصورها الماضية. فالفاوضون في عصر التليفزيون ووسائل الإعلام يجب أن يتعاملوا في اللحظة نفسها مع المفاوضين المناظرين لهم من ناحية ومع الرأي العام ووسائل الإعلام من ناحية أخرى. لقد جعل التليفزيون ووسائل الإعلام من المفاوضات السرية والخاصة أو مسألة اتخاذ قرارات سرية مسألة صعبة للغاية (٦١)

وتوجد نماذج عديدة لأحداث لعبت فيها وسائل الإعلام دور المراقب أو الملاحظ نذكر منها على سبيل المثال ما أصطلح على تسميتها بـ "فضيحة إيران كونترا" والتي تسبب فيها خبر صغير نشر بإحدى الصحف اللبنانية عن قيام الولايات المتحدة بتزويد إيران بأسلحة ومعدات حربية مقابل إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين في يد حزب الله في لبنان. إذ تناقلت وسائل الإعلام الأمريكية هذا الخبر وتوسعت في تفاصيله مما كانت له آثاره السلبية على الرئيس ريجان وعلى شعبيته في الولايات المتحدة (٦٢)

كذلك ما أحدثه نشر تفاصيل صفقة طائرات الأوكس للسعودية في أواخر السبعينيات من اتجاهات سلبية ضد الإدارة الأمريكية والضغط عليها لإلغاء تلك الصفقة أو تزويد إسرائيل بطائرات أحدث منها (٦٣)

ومن الأحداث الداخلية التي قامت فيها وسائل الإعلام بدور المراقب على سبيل المثال فضيحتا ووتر جيت ومونيكا جيت في الولايات المتحدة، وقضية لوسي أرتين في مصر.

بالإضافة إلى هذه النماذج، توجد مجموعة من المواقف التي حاولت فيها الحكومات أن تعطل قيام وسائل الإعلام بهذا الدور، وحقت من وراء هذا التعطيل نجاحاً في تحقيق أهدافها، نذكر منها حرب الفوكلاتد بين بريطانيا والأرجنتين والغزو الأمريكي لجرينادا وبنما والغزو السوفيتي لأفغانستان، إذ تمتعت حكومات الدول الغازية وسائل الإعلام من القيام بوظيفتها لاسيما في مراحل الحرب الأولى، مما حقق لهذه الدول بعض المكاسب التي ما كان لها أن تتحقق لو قامت وسائل الإعلام بالإضافة

إلى هذه النماذج، توجد مجموعة من المواقف التي حاولت فيها الحكومات أن تعطل قيام وسائل الإعلام بهذا الدور، وحققت من وراء هذا التعطيل نجاحاً في تحقيق أهدافها، نذكر منها حرب الفوكلاند بين بريطانيا والأرجنتين والغزو الأمريكي لجرينادا وبنما والغزو السوفيتي لأفغانستان، إذ منعت حكومات الدول الغازية وسائل الإعلام من القيام بوظيفتها لاسيما في مراحل الحرب الأولى، مما حقق لهذه الدول بعض المكاسب التي ما كان لها أن تتحقق لو قامت وسائل الإعلام بوظيفتها كمراقب^(٦٤)

(٢) دور المشارك أو المعاون The Press As Participant

والطريقة الوحيدة التي تشترك فيها وسائل الإعلام في السياسة الخارجية إنما تكون من خلال استخدام متخذي القرارات وصانعي السياسات للمعلومات التي ترده بهذه الوسائل، إذ وفق بعض الدراسات أصبح صانعو السياسات أكثر اعتماداً على وسائل الإعلام من ذي قبل (نظر بعض الأمثلة في مشاهد أولية) ذلك لسببين على الأقل:

- إن وسائل الإعلام في كثير من الأحداث قد متخذي القرارات بالمعلومات بسرعة تفوق غيرها من الوسائل التقليدية التي يعتمدون عليها، وتشكل الانطباعات الأولى عن تلك الأحداث، فعلى سبيل المثال، في أثناء الـ ٤٨ ساعة الأولى من اختطاف الطائرة الأمريكية TWA رقم ٨٤٧ (يونيو ١٩٨٥) كانت أخبار شبكة CBS هي مصدر المعلومات الأول لكثير من المسؤولين في الولايات المتحدة^(٦٥) الموقف نفسه تكرر في الساعات الأولى من حرب الخليج^(٦٦) وفي حادث تحطم الطائرة المصرية البوينج وعلى متنها ٢١٧ راكباً قرب الشواطئ الشرقية للولايات المتحدة في أكتوبر ١٩٩٩.

- إن وسائل الإعلام قد تكون أحياناً همزة الوصل بين صانعي السياسات في الدول المختلفة وتصحيح قناة اتصال مباشر Direct Channel Of Communication بينهم، مثال على ذلك، يقال إن Walter Cronkite الإعلامي الأمريكي البارز كان قناة للاتصال بين الرئيس السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيغن قبل زيارة السادات للقدس، وأن السادات قد استمع لفكرة زيارة القدس من كرونكيت. بالإضافة إلى هذا فقد يتخذ القادة بعض الإعلاميين أصدقاء أو

مستشارين لهم (فى مصر نذكر سعد زغلول والعقاد جمال عبد الناصر وهيكمل السادات وأنيس منصور وموسى صبرى وأحمد بهاء الدين).. يمدونهم بتوقعات حول اتجاهات الرأي العام تجاه السياسات المختلفة، أو يساعدونهم على تنفيذ سياسات معينة.

(٣) دور المنشط The press as Catalyst

الدور الثالث للإعلام فى مجال السياسة الخارجية هو عملية التنشيط أو التعجيل، وتشير إلى الطريقة التى يكون فيها الاستخدام العام للتليفزيون ووسائل الإعلام للحصول على معلومات عن الشؤون الخارجية مؤثرا على كل من الشغطة الإعلامية من جهة والسياسة الخارجية من جهة أخرى (٧٦)

على سبيل المثال، لاحظ Adams & Heyl التغير الجذرى فى الرأي العام الأمريكى تجاه مصر ورئيسها السادات فى نهاية السبعينيات (كان الرئيس كارتر يقول للرئيس السادات، إشارة إلى فرط إعجاب الأمريكين بالسادات، لو رشحت نفسك فى الانتخابات الأمريكية فمن المتوقع أن تفوز فوزاً كاسحاً)!! اتجاه الرأي العام وكشافته تجاه مصر قد تغيراً، وأدت إيجابية الرأي العام الأمريكى تجاه السادات إلى زيادة التركيز عليه من قبل وسائل الإعلام وإبرازه لدى متخذى القرار وصانعى السياسات وهو ما عسّجّل أو نشط الدور الأمريكى تجاه عملية السلام فى الشرق الأوسط حينذاك (٦٨)

ملاحظات عامة على تصور العلاقة بين وسائل الإعلام والسلطة السياسية فى مجال السياسة الخارجية.

(١) إننا لا يمكننا "التسهيل" من شأن قوة وسائل الإعلام ونعتبرها متخذة القرارات أو صانعة السياسات، ونجعل صانعى السياسات مجرد منفذين لأوامر وسائل الإعلام أو مستقبلين سلبين لتصوراتها، كما لا يمكننا فى الوقت ذاته "التقليل" من شأنها وجعلها مجرد ناقل سلبى للأخبار و "دمية" فى يد متخذى القرارات، وإنما يمكن القول إن العلاقة بينهما (خاصة فى المجتمعات الليبرالية) هى علاقة "خصمين حميمين" أو "صديقين لودين"، إن صحّ هذان الشريكان اللقبان، فكل منهما (وسائل الإعلام - متخذو القرارات) يحاول فرض السيطرة والهيمنة وتحجيم دور الآخر.

فى الوقت ذاته يحرص كلٌ منهما على اتصال علاقته بالآخر وعلى تعسيقها، فهما إذن فى شد وجذب فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، والعلاقة بينهما فى مد وجذر.

ووسائل الإعلام على هذا قد تقوم أحياناً بمجرد النقل السلبي للأحداث، وقد تكون هى صانعة الحدث أو المعجلة به، بيد أن دورها غير ثابت دائماً، وإنما يتغير بتغير الظروف والأحداث.

(٢) إن هذه النماذج المقدمة غير صالحة للتطبيق فى كل الدول، فاختلاف أنظمة الحكم وتوجهاتها نحو وسائل الإعلام واتساع قاعدة المشاركة فى اتخاذ القرارات أو انحسارها ومستوى الديمقراطية فى الدول، بالإضافة إلى اختلاف القوانين المحددة لدور وسائل الإعلام والحاكمة لطريقة عملها، كل هذه عوامل تؤثر على دور وسائل الإعلام فى مجال السياسة الخارجية.

(٣) إن هذه النماذج لا تنطبق على الدول العربية بصفة خاصة ودول العالم الثالث باستثناءات قليلة بصفة عامة. حيث تكون وسائل الإعلام خاضعة للسلطة، ومنفذة لتوجهاتها وملبية لأوامرها، وساعية دائماً لخدمة أهدافها. مثل هذه العلاقة أحادية الجانب لا يمكن فيها لوسائل الإعلام أن تقوم بأى دور أو تسهم فى أى حدث، وهو ما ينعكس سلباً على اتجاهات الجمهور نحوها وتصوره لأدوارها.

(٤) إن هذه النماذج والأدوار السابقة ذات طبيعة "مؤقتة" و "لحظية" وغير صالحة لتفسير علاقة وسائل الإعلام بالسلطة السياسية فى فترات تاريخية سابقة أو فترات مستقبلية لاحقة، فالتطور المستمر فى تكنولوجيا الاتصال، وما يتبعه من تطور فى التشريعات الحاكمة له والمحددة لأدواره، تجعل من هذه الأدوار أدواراً "متحركة" و "متغيرة"، وإن كانت المؤشرات تتجه نحو قوة وسائل الإعلام ككل مركب وضعفها كوسائل منفردة.

المبحث الثالث: الصور ودورها فى صناعة القرارات السياسية

تقديم

حظيت الصورة القومية باهتمام الباحثين فى الدراسات النفسية والاجتماعية لمعرفة أثرها على السلوك الإنسانى، وكذلك لفهم وتفسير العلاقات بين الدول المختلفة، فلقد

اتضح أن عدداً كبيراً من صناع القرار لا يستجيبون للحقائق الموضوعية للمواقف بقدر ما يخضعون لتأثير ما لديهم من صور عن أنفسهم وعن العالم الذي يتعاملون معه. وهذا يفسر العلاقة الوثيقة بين الصورة والقرار، فالصورة هي الإطار النفسى العام لاتخاذ القرارات، أو هي البيئة النفسية التى تتم فيها عملية صنع القرار (٦٩).

وإذا كانت الصورة الذهنية للفرد أو المنظمة تلعب دوراً مهماً فى معرفة السلوك المتوقع تجاه كل منهما من جانب أفراد المجتمع، فإن صورة الدولة أو مجموعة الدول التى تجمعها مجموعة من الخصائص تؤثر على سلوك المجتمع نحو هذه الدولة أو تلك الدول (٧٠) بحيث يمكن القول "إن الصراع الدولى" لا يكون بين الدول بقدر ما يكون بين الصور المنحرفة التى قد تكونها الدول عن بعضها البعض" (٧١).

وقد ازداد وضوح أهمية الدور الذى يمكن للصورة أن تلعبه فى مجالات السياسة والعلاقات الدولية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، إذ ظهرت لهذا الدور أبعاد جديدة أكبر وأوسع بكثير عما قبل، وتؤكد أن التأثير القوى للاتصال يتضمن من العناصر النفسية ما يفوق كثيراً العناصر الطبيعية والمادية، وأصبح يقاس مدى نجاح الاتصال فى إحداث تأثيره القوى بمدى نجاحه فى تشكيل الصور المرجوة لدى الأطراف الأخرى (٧٢).

ولقد أصبح من المسلم به لدى الدول الكبرى أن نجاحها فى عرض صورتها المرجوة وإقناع الآخرين بصحة هذه الصورة، سواء أكانت حقيقية أو زائفة، يشكل قدرة أكبر على تحقيق أهدافها، وجهداً أقل فى تنفيذ سياساتها، وأن الفشل فى ذلك يعنى خسائر فادحة لا تستطيع الدولة تعويضها أو التغلب عليها، الأمر الذى جعل الكثيرين يؤكدون أن للصورة المرجوة من الأهمية ما يتساوى مع القوة العسكرية أو الاقتصادية للدولة وقد يفوقهما أهمية (٧٣) على أن دراسة القرار السياسى فى علاقته بالصورة الذهنية وتأثره بها يدفعنا إلى دراسة بعض الجوانب الإضافية التى توضح هذه العلاقة وتحدد أبعادها، وذلك فى النقاط التالية.

توجد عدة حقائق يكاد يتفق عليها الباحثون فى مجال صنع واتخاذ القرارات السياسية منها:

١- أن هناك اختلافاً كبيراً وتبايناً شديداً بين الشيء كما هو في الواقع، وتصورنا لهذا الشيء.

٢- أن كثيراً من القرارات السياسية لا تُتخذ وفق معطيات موضوعية تماماً للحدث، وإنما وفق تصورنا لهذا الحدث.

٣- أن كثيراً من السياسات الراهنة تقوم على مجموعة من الأساطير المؤسسة لها والداعمة لآجهااتها.

٤- إن كثيراً من الصراعات الدولية هي نتاج صور مشوهة للواقع ومحرقة له، وليست نتاجاً مباشراً له ويمكن إيضاح هذه الحقائق على النحو التالي:

(١) الشيء وصورته في عالم السياسة Image and Reality in World Politics

تعتبر الفجوة القائمة بين مظهر الشيء (صورته) Appearance وجوهره أو واقعه الحقيقي Reality، والكيفية التي تجعل الصور التي لدينا عن العالم تبدو وانعية وصحيحة، من القضايا الفكرية التي استرعت انتباه الفلاسفة والمفكرين منذ بدايات الفكر الإنساني "ورمزية الكهف" عند أفلاطون Plato وحتى أعمال بيرانديللو pirandello وغيره من المفكرين والمنظرين للعلاقات الدولية في العصر الحديث (٧٤).

ولذلك نجد كثيراً من الدراسات في مجال العلاقات الدولية تحمل كلمات مثل: الإدراك perception (٧٥) أو سوء الإدراك Misperception (٧٦) أو الصور Image (٧٧) كما أن كثيراً من هذه الدراسات قد استعارت من المداخل النفسية والاجتماعية بعض نظرياتها وحاولت تطبيقها على مجال صانع القرار السياسي (٧٨).

وخلاصة ما تنذهب إليه هذه الدراسات هو أننا لا نتعامل مع الواقع المباشر، وإنما مع صورة له، وهذه الصورة قد تكون مشوهة للواقع وغير معبرة عنه، وقد تكون قريبة منه، غير أنه لا توجد صورة متطابقة تماماً مع الشيء الذي تمثله، وهكذا تظل الفجوة قائمة بين الجوهر والمظهر، بين الواقع وصورته (٧٩). وما يزيد من اتساع هذه الفجوة -

على ما يذهب إليه الفيلسوف الإنجليزي ديفيد هيوم Hume هو أن "هذه التصورات والمظاهر يتم مقارنتها بتصورات ومظاهر أخرى ولا تتم مقارنتها مع الجوهر الحقيقي أو الواقع" (٨٠) وهو ما يجعلنا ندور في حلقة مفرغة.

(٢) القرارات السياسية ومصادر تكوينها (التصورات الشخصية) :

إذا كانت عملية صنع القرار السياسي عملية معقدة تتداخل فيها الكثير من العوامل والمدخلات التي تحدد إطاره وتبلور اتجاهه، فإن المدخل النفسي الاجتماعي في دراسة العلاقات الدولية^(٨١) يركز على متخذ القرار كإنسان وعلى القرار كسلوك سياسي. حيث يشير هولستي Holsti إلى أن القرار السياسي هو في حقيقته سلوك سياسي، والسلوك السياسي كأي نمط من أنماط السلوك الاجتماعي يتحدد ليس فقط وفقاً للحقيقة أو الموقف كما هو في الواقع، لكنه يتحدد أيضاً وفقاً لما يعتقد صاحب السلوك أنه يمثل الحقيقة. أي أن تأثير التصور الذاتي للقيادة عن الموقف أكبر من تأثير الموقف ذاته في تشكيل القرار السياسي. إذاً فالتصور وليس الواقع هو الذي يحدد في الغالب القرار السياسي (٨٢).

ويشير بولدنج Boulding إلى أن الحالة المرضية pathology للنظام الدولي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالطريقة التي يتم بها إنتاج وتفهم المعلومات والطريقة التي تؤثر بها هذه المدخلات المعلوماتية على متخذ القرار في العالم، فالصورة لدى النظام ولدى متخذ القرار هي دائماً صورة احتمالات Image of probabilities أكثر من كونها صورة لحقائق (٨٣).

كما يشير بولدنج إلى أن صور النظام الدولي بصفة عامة في عقول صانعي القرارات ومتخذيها هي صور مشتقة من عمليات شتى مثل السرد التاريخي، تذكر الأحداث السابقة، والمصادفات مع الغير، بالإضافة إلى كم هائل من المعلومات غير المهضومة جيداً - ill digested - وغير المعنى بها، وعندما نضيف إلى هذا الحقيقة القائلة إن النظام الدولي يخلق كرهاً شديداً أو حباً صارخاً، وولاءً أو عدم ولاء وهكذا فإنه قد تكون "مفاجأة" و "شيئاً عجيباً" لو أن أي صورة يتم تكوينها تكون قريبة من الواقع (٨٤).

على هذا، فالتصور يمثل البنيان الإدراكي والتقييمي الفعال للوحدة السياسية، سواء في نظرتها الداخلية لذاتها أو في نظرتها الخارجية للعالم الذي تعيش فيه، وهو (التصور) إدراك من ناحية، وتقييم من ناحية أخرى، هو إدراك من جانب القيادة للمواقف التي تحيط بها تبنى عليه تقييماً من جانبها لتلك المواقف، وبالتالي، فإن صياغة السياسة التي تضع حداً للموقف تنطلق من ذلك الإدراك والتقييم أو التصور (٨٥)

نموذج هولستي للعلاقة بين التصور والقرار السياسي:

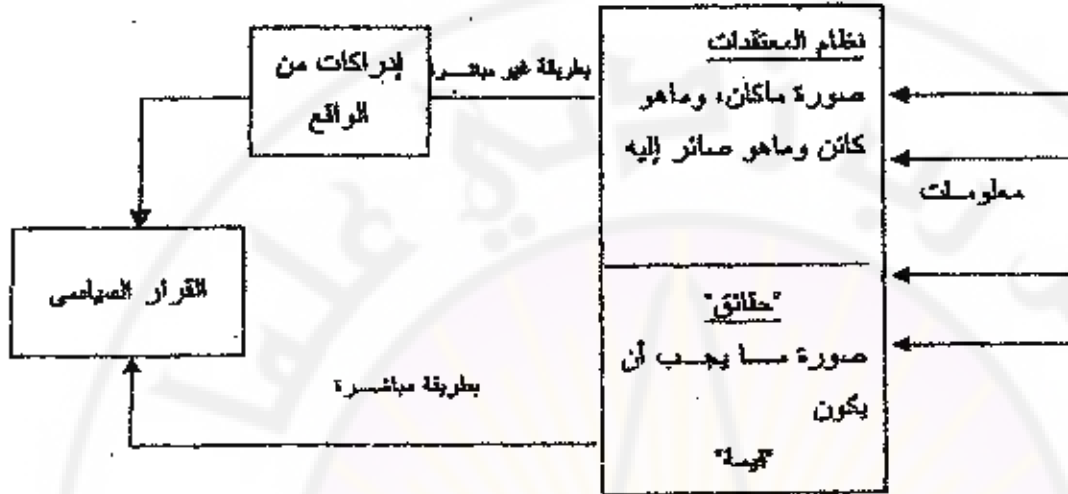
يشير هولستي إلى أن نظام المعتقدات (٨٦) يتكون من مجموعة من الصور عن الماضي والحاضر والمستقبل، متضمنة كل المعلومات المتراكمة والمنظمة التي يكونها الفرد عن نفسه وعن العالم، ويمكن النظر إليها باعتبارها عدسات أو مرشحات يتم من خلالها استقبال المعلومات المتعلقة بالبيئة المادية والاجتماعية للفرد، وهي توجه الفرد نحو بيئته، تعرفها له، وتحدد له خصائصها الثابتة والبارزة (٨٧)

كما يشير هولستي إلى أن نظام المعتقدات علاقة مزدوجة مع عملية صنع القرار من خلال تأثيره على "التصور": "علاقة مباشرة تتمثل في الجانب الغائي من نظام المعتقدات، ذلك الجانب الذي يحدد ما يجب أن يكون، وبالتالي يلعب دوراً قيادياً في تحديد الأهداف، وعلاقة غير مباشرة في الحدود التي يضعها نظام المعتقدات على إدراك صانع القرار للمعلومات الجديدة، فصانع القرار عادةً ما يكون أكثر قبولاً للمعلومات التي يمكن أن تدعم نظام معتقداته وتتفق معه (٨٨)

على هذا، فعلاقة نظام المعتقدات بالقرار السياسي - وفقاً لهولستي - ذات فرعين: أحدهما يعبر عن تأثير نظام المعتقدات في عملية التقييم (تحديد صور ما يجب أن يكون، أي تحديد الأهداف)، أما الثاني فيعبر عن تأثير نظام المعتقدات في عملية الإدراك (إدراك ما كان، وما هو كائن، وما سوف يكون، أي إدراك الواقع في مراحله المتعاقبة) ولما كانت عمليتا الإدراك والتقييم تشكلان التصور، فإن العلاقة بين نظام القيم والقرار السياسي تمر عبر تصور صانع القرار، وهو ما يمكن تصوره في الشكل التالي:

شكل رقم (٢)

نموذج هولستي للعلاقة بين التصور واتخاذ القرار السياسي



(٣) القرارات السياسية والأساطير المؤسسة لها:

يشير رجاء جارودي (1996) في معرض حديثه عن الأساطير السياسية المؤسسة لدولة إسرائيل إلى أن كثيراً من القرارات السياسية قد تكون نابعة من أساطير وتصورات لا وجود لها في الواقع^(٨٩) فكل أمة أو شعب يدافع عن نفسه ويبرر اهتماماته ومصالحه عن طريق الأساطير.. وتنبع هذه الأساطير نتيجة عجز المنطق عن تفسير أو تبرير كثير من القضايا. وبهذا يكون المنطق أو العقل مجرد مسد جزئي أو خادم جزئي في مجال السياسة^(٩٠)

وللأساطير على حد تعبير شيلر ١٩٩٩ أهداف عدة يمكن استغلالها والاستفادة منها، فهي تبرر الأوضاع والممارسات الحالية، وتقدم تفسيرات (منطقية) لها، كما إنها أحياناً تضيف عليها طابعاً خلاباً يضمن النظام لنفسه من خلالها الاستقرار والثبات. إذ إن كل قومية (أو نظام) في حاجة إلى تقديس ادعائها، فبعد تفكك المسيحية ادعت كل دولة (أمة) أنها قد تلقت الإرث المقدس، وأنها حازت على الولاية من الرب: ففرنسا هي "البنت البكر للكنيسة" والتي بها تتم أفعال الرب، وألمانيا هي "فوق

الجميع "لأن الله معها، وأعلنت إيقاً بيرون "أن رسالة الأرجنتين هي تقديم الله إلى العالم (٩١)

وتشاطر القومية اليهودية هذه النشوة مع كل القوميات الأخرى من خلال الأساطير المؤسسة لها، وهي الأساطير الدينية (أسطورة الوعد، أسطورة الشعب المختار، أسطورة يشوع) والأساطير السياسية (أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية أسطورة عدالة محاكمة نورمبرج أسطورة الملايين الستة أسطورة أرض بلا شعب أسطورة المعجزة الإسرائيلية) (٩٢)

(٤) الصور المشوهة والصراعات الدولية الناتجة عنها:

يشير بعض الباحثين إلى أن تحليل ظاهرة الصور المشوهة أو غير المثلثة للواقع يمكن أن تمدنا بنقطة انطلاق مهمة في تحليل معظم الأزمات الدولية الراهنة، فالصراع الدولي لا يكون عادة بين الدول بقدر ما يكون بين الصور المشوهة التي قد تكونها هذه الدول عن بعضها البعض (٩٣)

ويذهب هؤلاء الباحثون إلى أنه لما كانت عملية بناء العلاقات بين الدول تعتمد أساساً على التصورات التي تكونها شعوب هذه الدول حول تراث وفكر بعضها البعض فإن تحسين صورة الدول يمكن أن يحسن السياسات التي تتخذها الدول الأخرى تجاهها (٩٤)

كما يذهب هؤلاء الباحثون إلى أن تاريخ العلاقات الدولية حافل بنماذج عديدة تشير إلى تأثير التصور (الاسيما التصورات المشوهة منها) على القرار السياسي، وتقدم الحرب الأهلية في الولايات المتحدة نموذجاً كلاسيكياً في هذا الشأن... إذ يمكن القول إن هذه الحرب هي نتيجة لترسب كثير من الصور التي لا تتفق مع الواقع أو الحقيقة. ومع وجود كثير من الأسباب الموضوعية لهذه الحرب، فإن الصور الكاريكاتورية التي كان يحملها كل جزء عن الآخر كانت سبباً جوهرياً في هذه الحرب (٩٥)

كذلك فإن الصراع بين الشرق والغرب، أو بين الإسلام والمسيحية فينما عرف بالحروب الصليبية، كانت الصور المشوهة وسوء الإدراك لكل جانب هي الأسباب

الحقيقية لهذا الصراع، مع عدم إغفال الجوانب الموضوعية الأخرى لهذا الصراع^(٩٦).
كذلك فإن الصراع بين فرنسا والولايات المتحدة في الستينيات، وفي حكومة ديغول، كان صراعاً بين تصور كل دولة منهما لطبيعة دورها، فهو صراع بين الصور والمدرجات قبل أن يكون صراعاً مادياً^(٩٧).

ورغم الشكوك المحيطة بمحارق اليهود في ألمانيا وعدد اليهود الذين ماتوا بالفعل، فإن كثيراً من المؤرخين يشيرون إلى أن صورة "اليهود" السيئة لدى هتلر كانت السبب الرئيسي فيما حدث لهم^(٩٨).

شبيه بهذه الأحداث، ما يحدث حالياً من صراع في الشيشان بين روسيا وما أسماهم بالأصوليين الإسلاميين، وكذلك الصراع في البوسنة والهرسك وما حدث قبل ذلك في فيتنام وبنما وغيرها.

ملاحظات عامة على الصور ودورها في اتخاذ القرارات السياسية:

١- إنه مع إيماننا بالاتفاق مع الدراسات السابقة بأهمية التصورات في صناعة القرارات السياسية وفي صياغتها، فإنه لا بد من الإشارة إلى أنها "مكون جزئي" من هذه القرارات، وتمثل الجانب العاطفي منها. صحيح أن هذا الجانب قد يتغلب أحياناً لدى البعض على كافة الجوانب الموضوعية الأخرى، غير أنه لا يمثل القاعدة أو الأساس لكثير من القرارات، خاصة في ضوء تعقد العلاقات الدولية الراهنة وتشابكها، واعتماد صانعي القرارات على مستشارين لهم في كافة المجالات.

٢- إن هذه "التصورات" أو "الرؤى" التي يعتمد عليها صناع القرارات ومتخذوها غير ثابتة ولا جامدة، وإنما تتغير بتغير الظروف والأحوال والجوانب الموضوعية للحدث، فخلال التاريخ الحديث، حاربت الولايات المتحدة ضد بريطانيا، وفرنسا، والمكسيك، وأسبانيا، وألمانيا، وإيطاليا، واليابان، وجميعهم حالياً حلفاء للولايات المتحدة إلى حد ما. كما حاربت الولايات المتحدة وتحالفت مع الاتحاد السوفيتي ثم أصبحتا عدوين قرابة أربعة عقود. كذلك فإن الخصومة الأبدية التي كانت قائمة بين فرنسا وألمانيا لا توجد حالياً.

خلاصة عامة:

حاولنا في المباحث الثلاثة السابقة أن نبين طبيعة العلاقة بين الصور الإعلامية أي تلك الرؤى والتصورات التي تعرضها وسائل الإعلام والقرارات السياسية، وأن نبين كيف أن كثيراً من القرارات السياسية يتم اتخاذها في ضوء هذه الصور. ففي المبحث الأول: خلص الباحث إلى أن وسائل الإعلام في ظل خصائصها الراهنة وخصائص المجتمعات الحالية تلعب دوراً كبيراً في تكوين الصور لدى الأفراد وفي نقلها إليهم، وهي تتبع في ذلك أساليب مختلفة وطرقاً متعددة.

وفي المبحث الثاني: خلص الباحث إلى أهمية الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام لدى متخذي القرارات، من حيث كونها وسيلة أساسية للحصول على المعلومات، وأداة لتنفيذ بعض السياسات، ووسيلة للتفاوض مع الدول الأخرى في بعض الحالات، وهي في ذلك كله تلعب دوراً محورياً بحيث لا يمكن الفصل بين أداء النظام السياسي وأداء النظام الإعلامي أو معالجة كل نظام على حدة بعيداً عن الآخر.

وفي المبحث الثالث: خلص الباحث إلى أن كثيراً من القرارات السياسية يتم اتخاذها بناء على تصورات ورؤى وأساطير وليس بالضرورة فقط على الجوانب الموضوعية أو المادية للحدث.

خلاصة القول: إنه إذا كانت وسائل الإعلام تصنع الصور وتنقلها، وكان متخذي القرارات يعتمدون على هذه الصور في صنع قراراتهم وصياغة سياساتهم، فإن النتيجة المنطقية أن وسائل الإعلام تلعب دوراً غير مباشر في مجال القرارات السياسية وذلك من خلال الصور التي تعرضها. ومن ثم يمكن القول إن تحسين الصور التي تعرضها وسائل الإعلام عن دولة ما من الممكن أن يحسن السياسات معها، ويطور علاقاتها مع الدول الأخرى، والعكس صحيح.





**الدراما التلفزيونية
والاتجاهات نحو العنف الأسرى في مصر**



مدخل :

الأسرة مؤسسة لا يختلف الباحثون على أهمية دورها بالنسبة للفرد والمجتمع، كما لا يختلف أحد على خطورة تخليها عن وظائفها وما يصيب المجتمع من وراء ذلك ومن هنا كانت عناية الإسلام بكل ما يتصل بالأسرة عناية واضحة، فتشريعات الأسرة من أكثر الأحكام دقة وتفصيلاً واستقصاء دفعاً للنزاع وسوء التفسير (١).

ويؤكد علماء الاجتماع - في بحوثهم المتعلقة بالأسرة - على ضرورة إجراء مزيد من البحوث في هذا المجال، وبخاصة في الدول العربية والإسلامية التي تشهد - الآن - تغيرات اجتماعية وثقافية وتكنولوجية تتراكم بسرعة، ويعتقد هؤلاء أن مثل هذا البحوث هي الطريق العلمية الكفيلة بتصحيح المفاهيم المتصلة بالموقف التفاعلي للأسرة في علاقاتها مع الانساق الاجتماعية الأخرى (٢).

وتدل أدبيات البحوث الاجتماعية على وجود اتجاه يدعو للعودة إلى الأسرة باعتبارها وحدة التحليل الاجتماعي (Unit of Analysis) (٣) في مجالات كثيرة من مجالات البحوث، وفي هذا الإطار يسعى هذا البحث إلى فهم ظاهرة العنف الأسري وتحليل علاقة اتجاهات عينة من المتزوجين نحو الظاهرة في ارتباطها بالتعرض للدراما التلفزيونية باعتبار الدراما أحد أشكال انعكاس الواقع الاجتماعي؛ حيث يؤكد (جورج جيربнер) في مناقشة الدور الثقافي للتلفزيون على أن تصوير التلفزيون لواقع الأسرة يعكس بشكل نمطي الأيديولوجية السائدة وهذا في حد ذاته يوضح غايات المجتمع (٤).

ويرتكز بحثنا هذا على إطار نظري يتمثل في نظرية من نظريات التحليل الثقافي (Cultural Analysis) وهو أحد المداخل النظرية القوية في دراسة الاتصال الجماهيري، كما يستخدم الباحث منهج المسح التحليلي لجمع وتحليل البيانات.

أولاً: تحديد مشكلة البحث وخطايتها:

منذ عام ١٩٧٤م وحتى الآن نمت البحوث والمؤلفات المتصلة بالعنف الأسري نمواً غير مسبوق في تاريخ علم الاجتماع، ففي مركز بحوث الأسرة بجامعة

(New Hampshire) وحدها تم نشر أكثر من (٢٥٠) مقالة، و (٢١) كتاباً حول العنف الأسري بين عامي (١٩٧٤ - ١٩٩٢م)، وكدليل على نمو دراسات العنف الأسري فقد نشأت سبع دوريات متخصصة بين عامي ١٩٧٦ - ١٩٨٧م، ولم يحظ تخصص فرعي في علم الاجتماع بهذا العدد من البحوث، ولا بسرعة التطور هذه، كما أنه في عام ١٩٧٤م كان عدد البحوث (٩) تزايدت إلى (٢٢٢) عام ١٩٨٨م، وكانت ذروة النشر بالنسبة للمقالات بين عامي ١٩٨٤ - ١٩٨٧م أما ذروة نشر الكتب فكانت بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٨٠م هذه المؤشرات تؤكد أن مجال العنف الأسري يستقطب الباحثين بشكل مطرد بغض النظر عن انخفاض الاهتمام في وسائل الإعلام، وفقاً لرأي شتراوس- وقد تعاظم الاهتمام بموضوع العنف الأسري في الثمانينات إلى الحد الذي جعل الباحثين يطلقون على هذا العقد "عقد العنف الأسري" (٥).

ويذكر الباحثون بجامعة (هامبشير) أن أسباب هذا الاهتمام المطرد تتركز في:

- ١- الحركية الاجتماعية التي تزايدت في الستينيات ونمت على أثرها جماعات ضغط لصالح الأطفال والنساء.
 - ٢- ازدياد معدلات الانتحار والاغتصاب والمهاجمات، والعنف السياسي والمعارضة الاجتماعية والاعتداءات، كل هذه الظواهر استتارت الناس نحو ظاهرة العنف والعنف الأسري بوجه خاص.
 - ٣- تغير الأسرة النمطية في الستينيات وبداية السبعينيات سهل تقبل الأشكال غير المرغوبة من حياة الأسرة بما في ذلك العنف.
 - ٤- زيادة توظيف النساء المتزوجات مما ساعد على عدم تسامحهن مع أساءة المعاملة، وبعد العنف سبباً في نسبة ٤٠٪ من حالات الطلاق.
 - ٥- دور الحركات النسائية في وضع قضايا الاغتصاب على أجندة الوعي العام.
- وقد صدرت بيانات من جامعة النول العربية تؤكد خطورة التغيرات التي طرأت على الأسرة العربية وتطالب بأن تنهض النول الأعضاء بمسؤولياتها تجاه حماية

الأسرة من عوامل التفكك، وأن توفر الرعاية، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتشريعية الملائمة للأسرة بما يعزز دورها في مواجهة التحديات، كما شددت التوصيات على أهمية الأخذ بالمنهج الوقائي لحماية الأسرة العربية من الضياع^(٦).

كما أكدت المؤتمرات الدولية المتعلقة بالجريمة والعنف على "ضرورة القضاء على كافة أشكال العنف الموجه ضد المرأة وضد الأسرة"^(٧).

وتدل الملاحظات العلمية على أن وسائل الإعلام الجماهيرية تطلعنا كل يوم على أعداد كبيرة من إساءة المعاملة بين الأزواج (Spouse Abuse)، من آباء يسيئون إلى الرضع والأطفال وحتى قتلهم، ومن بالغين يسيئون عاطفياً وبدنياً إلى الضعفاء وقليلى الحيلة. والوالدين وكبار السن، وعنف من المراهقين يهاجمون آباءهم وأخوتهم، ومأساة أطفال النكاح المحرم، وتنقل وسائل الإعلام حالات عنف لأطفال أقل من ٦ أو ٧ سنوات يضربون ويصيبون آباءهم بقسوة والعكس^(٨).

إن هذا الاهتمام المتنامي عالمياً وعربياً، على المستويين الأكاديمي والاجتماعي، لم يكن وليد الصدفة أو الحماس العاطفي، وإنما ولدت عوامل عدة، لعل من أهمها : مكانة الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية "Socialization" باعتبارها أساس انطلاق الابن وتموه وتعزيز إحساسه بالأمن، وتنمية شعوره بالحب والقبول، ثانياً هذه العوامل هو أن الأسرة مكان رئيسي للعنف المرتكب ضد الطفل والمرأة وأحياناً ضد الرجل، أما العامل الثالث فيكمن في أن السلوك العنيف يصعب تعديله، مما يتطلب التدخل الوقائي قبل أن يصبح العنف الأسري مصدراً للتوتر والخلل في نسيج المجتمع بأسره^(٩).

لقد برز "العنف الأسري" باعتباره ظاهرة عالمية، لأنه سلوك شائع في ثقافات عديدة مع اختلافات في درجة الخطورة والمسببات والآثار المترتبة على ممارسته، ومع كل الاهتمام الإعلامي بالمشكلة فلا تزال مظاهرها تشهد بوجود "انجراف ما" في

الحياة المعاصرة إما نتيجة الظروف الاقتصادية الصعبة، أو لتعدد الأدوار الاجتماعية وضعف العلاقات الاجتماعية، مما أوجد البيئة المواتية للتغيرات العنيفة. وأن أحد طرق وضع العنف الأسري في منظور علمي هو مقارنة معدلات العنف في ثقافات مختلفة أو عبر مراحل زمنية معينة (١٠).

وقد وضعت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بشأن العنف الأسري تحت مسمى "استراتيجيات لمواجهة العنف العائلي" طالبت فيه بضرورة وضع وتنفيذ برامج تربوية وتدريبية بدءاً من الطفولة، وسن قوانين تعاقب على ارتكاب العنف العائلي، واستحداث طرق يتسنى بها للضحايا إبلاغ السلطات المختصة بوقائع العنف العائلي وكان من أهم توصيات لجنة دراسة أوضاع العنف العائلي: ضرورة إعداد البحوث والتقارير المقارنة بشأن تطورات ظاهرة العنف العائلي وبخاصة من النواحي الجنائية (١١).

وإذا كان العنف الأسري "Family Violence" ظاهرة صاحبت المجتمع البشري منذ اللحظة الأولى ولا يكاد يخلو منها مجتمع - أي مجتمع - منذ وجود أسيرة على هذه الأرض، وإذا كانت الأسرة في علاقتها بنسق الاتصال في المجتمع، لا تزال مجالاً غير مأهول بكثير من الباحثين الإعلاميين - مقارنة بمجالات أخرى - في الوقت الذي تتراكم فيه البحوث بشكل مطرد من قبل باحثي علم الاجتماع، وأخذاً في الاعتبار قوة بث الرسائل الإعلامية عبر عشرات قنوات الاتصال الوطنية والدولية، وتنوع روافد بث الصور النمطية للأفراد والمؤسسات المجتمعية بحيث تشكل الواقع الاجتماعي لدى كثير من الناس مجتمعنا المعاصر، فإن دراستنا هذه تتوخى تقديم تحليل علمي لاتجاهات المتزوجين نحو "واقع العنف الأسري في الأسرة المصرية" من حيث مظاهره ومسبباته وتأثيراته وعلاقته هذه الاتجاهات والآراء بالتعرض للدراما التليفزيونية كمأ وكيفاً (بمعنى هل توجد علاقات ارتباطية بين حجم ونوع تعرض المبحوثين للدراما من ناحية وبين طبيعة وقوة الاتجاهات نحو ظاهرة العنف الأسري من ناحية أخرى؟

ثانياً: الهدف من البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على اتجاهات عينة من المتزوجين حول ظاهرة العنف الأسري وتحليل العلاقة بين متغير التعرض للدراما التلفزيونية باعتباره متغيراً مستقلاً من ناحية وبين الاتجاهات نحو العنف الأسري باعتبارها متغيراً تابعاً من ناحية أخرى، وذلك لمعرفة طبيعة هذه الاتجاهات نحو مسببات ومظاهر ونتائج العنف الديموغرافية على اتجاهات المبحوثين للإجابة على سؤال: هل تساعد مشاهدة الدراما التلفزيونية على تكوين اتجاهات تؤمن بالتسامح مع ظاهرة العنف الأسري وتتقبلها أم أن العوامل الأخرى مثل المتغيرات الديموغرافية هي التي تشكل مثل هذه الاتجاهات؟.

ثالثاً: المنهج والإجراءات:

(١) المنهج:

تبين من مراجعة البحوث المتوفرة حول العنف الأسري أنها اعتمدت بدرجة كبيرة على السؤال المباشر للوالدين والمدرسين والأبناء عن عدد مرات مشاهدة حوادث العنف داخل الأسرة، وهي تصميمات تلائم بعض الدراسات ولكنها تعتمد أساساً على ذاكرة وأمانة المبحوث، وهناك بحوث اعتمدت على بيانات من المستشفيات وأقسام البوليس، والمؤسسات الاجتماعية، ومما يعيب هذه النوعية من البحوث أنها تحال - فقط - الحالات المبلغ عنها والتي تصل إلى الجهات الرسمية، بينما تظل معظم حوادث العنف الأسري فيما يسميه علماء الاجرام "بالجرائم السرية Dark Crime" (١٢).

ويعتمد الباحث هنا على منهج المسح التحليلي الذي "يمكن من خلاله وصف وشرح موقف ما واختبار العلاقة بين متغيرين أو أكثر واختبار مدى صحة فروض البحث كما تمكن نتائج من اختبار العلاقات المتبادلة بين المتغيرات والخروج باستخلاصات" وفقاً لـ "Wimmer & Dominick" (١٣).

ويستخدم الباحث منهج المسح التحليلي لقياس اتجاهات المتزوجين نحو العنف في الأسرة المصرية كما يرى آخرون أن المسح طريقة فعالة للحصول على معلومات تصف أفكار وآراء ومشاعر الناس ويمكن تعميم النتائج على مجتمع الدراسة (١٤).

(ب) الإجراءات المنهجية للبحث

أ/ مجتمع البحث:

هو مجتمع المتزوجين المقيمين في مدينة القاهرة بما تحمله من تنوع سكاني واختلاف في مستويات الثقافة والتعليم والاقتصاد والأنوار الاجتماعية وهو خليط من الريف والحضر ويمثلون شرائح اجتماعية عديدة وتعد العينات ممثلة لمثل هذه المجتمعات.

ب/ عينة البحث :

تم اختيار ١٢٠ مفردة من الأحياء المتوسطة لتكون محل الدراسة (حي العباسية والجيزة) وبطريقة العينة العشوائية المنتظمة تم اختيار المفردات من موظفي وموظفات جامعتي القاهرة وعين شمس وذلك لوجود إطار يسمح بضبط العينة .

(ج) القياس :

يقوم البحث بقياس علاقة مجموعة من المتغيرات بعضها ببعض وهي ثلاثة أنواع:

أ. متغير مستقل وهو متغير التعرض للدراما:

ولهذا المتغير ثلاثة أبعاد هي :

* التعرض الكمي :

١- تعرض خفيف من ساعتين يومياً (١ : ١٤ ساعة أسبوعياً)

٢- تعرض متوسط من ساعتين إلى ثلاث ساعات يومياً (من ١٤ : ٢١ ساعة أسبوعياً)

٣- تعرض كثيف ثلاث ساعات فأكثر يومياً (من ٢١ ~ ٢٨ ساعة فأكثر أسبوعياً)

* التعرض النوعي :

١- كيفية المشاهدة وظروفها في مناخ فردي/ اجتماعي.

٢- نوع المحتوى المفضل للبحوث (دراما فقط - مواد أخرى - دراما مع مواد أخرى.

* الولاء للمحتوى الدرامي :

وهو مقسم إلى :

١- ولاء عام لمشاهدة الدراما ومدى الارتباط بها.

٢- ولاء لنوع معين من الدراما.

٣- ولاء للدراما عبر قنوات تليفزيونية محددة.

المتغير التابع : مقياس الاتجاهات نحو العنف الأسري :

من المراجعات النظرية وفي ضوء تحديد المشكلة البحثية أعد الباحث أربعين عبارة تدل على مسببات ومظاهر ونتائج ممارسة العنف الأسري، وتم تقسيمها إلى موضوعات فرعية وقسم الباحث مقياس الاتجاهات الثلاثي (موافق = ٢) (محايد = ١) (معارض = ٠) إلى أربعة أبعاد هي :

البعد الأول :

وهو بعد عام يتكون من (٩) عبارات تقيس الاتجاهات نحو ظاهرة العنف الأسري بوجه عام وطبيعة الصراع داخل الأسرة ومدى شيوع العنف بداخلها، وأثر العنف بشكل عام ونتائجه ومدى تدخل العائلة لحل الصراع، وجنوب سن قانون يعاقب على العنف ومستقبل الأسرة في ظل أوضاع الأسرة الحالية، ودرجة هذا البعد هي (١٨) درجة) موزعة إلى ثلاث مستويات

استجابة عالية - ١٢ - ١٨ درجة.

استجابة متوسطة = ٧ - ١٢ درجة.

استجابة ضعيفة = ٠ - ٦ درجة.

البعد الثاني :

يتكون البعد الثاني من (١٠) عبارات ويتصل بالعنف بين الزوجين الرجل والمرأة وعلاقة كل منهما بموضوع العنف داخل الأسرة فيما بينهما وتجاه كبار السن في الأسرة، ومظاهر العنف من الإكبار والحرمان والاعتداء البدني واللفظي ويتكون هذا البعد من (٢٠ درجة) موزعة على ثلاث مستويات :

استجابة عالية = ١٥ - ٢٠ درجة.

استجابة متوسطة = ٨ - ١٤ درجة.

استجابة ضعيفة = ٠ - ٧ درجة.

البعد الثالث :

العلاقة مع الأبناء : (ويتكون من ١٢ عبارة) ويتصل هذا البعد بعلاقة الوالدين بالأبناء وطرق التعامل والتربية وعلاقة الأخوة بعضهم ببعض وطريقة العقاب، نمط السلطة الوالدية ومدى احترام حقوق الأبناء ويتكون من (٢٤ درجة) موزعة إلى ثلاث مستويات:

استجابة عالية = ١٧ - ٢٤ درجة.

استجابة متوسطة = ٩ - ١٦ درجة.

استجابة ضعيفة = ٠ - ٨ درجة.

البعد الرابع :

ويتعلق بأسباب العنف في الأسرة المصرية: ويتكون من ٩ عبارات) وما يتصل بهذه الأسباب المادية والمعيشية والاجتماعية ومشاهدة العنف المصور تليفزيونياً وعمل أحد الزوجين ومستوى التعليم وعلاقات الأسرة الاجتماعية وأما درجاته (١٨ درجة) موزعة على :

استجابة عالية = ١٣ - ١٨ درجة.

استجابة متوسطة = ٧ - ١٢ درجة.

استجابة ضعيفة = ٠ - ٦ درجة.

الدرجات الإجمالية للمقياس :

المقياس الخاص بالاتجاهات ذو أربعة أبعاد إجمالي درجات المقياس بشكل عام
(٨٠ درجة)

١- مستوى مرتفع: وتكون الاستجابة بين (٥٦ - ٨٠ درجة)

٢- مستوى متوسط: وتكون الاستجابة بين (٢٧ - ٥٥ درجة)

٣- مستوى منخفض: وتكون الاستجابة بين (٠ - ٢٦ درجة)

ثالثاً: المتغيرات الديموغرافية :

وتشمل النوع والسن والحالة الزوجية والتعليم وعدد الأبناء وعدد سنوات الزواج
ومنطقة النشأة ومنطقة الإقامة.

وقد بنيت الفروض على تخطيط لهذه المتغيرات:

د. فروض الدراسة:

١- توجد علاقة ارتباطية بين متغير التعرض للدراما التليفزيونية وبين استجابة

المبحوثين لمقياس العنف الأسري. وهذا يعني:

- أن الأكثر انشاقاً للوقت في المشاهدة ذوو الولاء العالي للدراما تكون

درجاتهم أعلى على مقياس الاتجاهات بإبعاده الفرعية والعام.

- الأكثر تعرضاً في مناخ اجتماعي (مع الأسرة - مع الأصدقاء) تكون

درجاتهم أعلى على مقياس الاتجاهات بإبعاده الفرعية والعام.

٢- هناك علاقة ارتباطية بين المتغيرات الديموغرافية للمبحوثين وبين معدل استجاباتهم على مقياس العنف الأسري بأبعاده الفرعية والعام .

٣- تتأثر استجابة المبحوثين بالتعرض للدراما التليفزيونية أكثر من تأثرها بالمتغيرات الديموغرافية.

(هـ) تحديد المفاهيم :

١- العنف الأسري :

يمكن تعريف العنف الأسري على أنه: "أذى بدني وجنسي وعاطفي يمارسه طرف من الأطراف داخل وحدة الأسرة "والعنف الأسري إجرائياً يعني "استخدام القوة أو التهديد باستخدامها من قبل فرد أو أكثر ضد فرد أو أكثر من أفراد الأسرة سواء وكانت قوة مادية أو معنوية أو اجبار ضد إرادة أحد أعضاء الأسرة، وتكون نتيجته إيذاء الأذى بالآخرين سواء أكان الأذى مادياً أو معنوياً". وفي إطار هذا المفهوم يمكن تحديد عدد من المفاهيم الفرعية للظاهرة (١٥).

١/١ إساءة استخدام الأطفال Child Abuse :

ومن مظاهر الإساءة للأطفال "الإهمال والتعسف من قبل الوالدين أو الوصي ويعتبرها المجتمع غير ملائمة للطفل ومؤذية له وقد ثبت أن هذا النوع من العنف موجود في أكثر من ٥٠ دولة وأنه شائع في كل الجماعات الاجتماعية - الاقتصادية وفقاً لرؤية (Plek) ومن أشكاله:

الإيذاء البدني Physical Assault والإساءة العاطفية Emotional Abuse
والإهمال المادي Physical Neglect والحرمان من التعليم Educational Neglect
والحرمان العاطفي Emotional Neglect والاستغلال الجنسي Sexual Exploitation

١/٢ العنف بين الأزواج (Spouse Abuse)

ويقصد به أحد الأشكال التالية :

الضرب باليد Spouse Abuse الإعتداءات الجنسية Sexual Aggression والشتيم والسب بالقاذم مهينة، واغتصاب حقوق (ممتلكات - ميراث) والحرمان من ممارسة حقوق : التعليم ، العمل، الحرمان من رؤية الأطفال في حالات الانفصال والهجر والحرمان العاطفي، والإجبار على فعل أشياء بالتهديد والاحتجاز والخطف والقتل ويكون العنف بين الأزواج بدنياً أو جنسياً أو نفسياً / عاطفياً

وأما الإساءة لكبار السن فتكون بالنز وإساءة إليهم من خلال الضرب والإساءة العاطفية وانتهاك الحقوق واستغلالهم مادياً (١٦) .

١/٢ الصراع القيمي :

ويقصد به الاختلاف في القيم وهو مايشير إلى بداية وجود صراع وأن الصراع إذا أدى إلى سوء توافق يصبح صراعاً حقيقياً ذلك أن الصراع القيمي تحديداً هو عدم اتساق داخل نسق القيمة (١٧) .

رابعاً: الإطار النظري للبحث:

يعد اتجاه التحليل الثقافي هو النموذج الملائم لدراسة المشكلة البحثية وذلك على مستوى الدراسات الثقافية، وأهمية الاعتماد على هذا النموذج تكمن في أنه أحد عوامل التغيير كما يراها علماء الاجتماع وهي : النظام الثقافي والتطور التكنولوجي والبيئة الطبيعية، والبيولوجية (١٨) .

وتعد وسائل الإعلام في العصر الحديث أبرز مكونات النظام الثقافي سواء من ناحية معالجته لثقافة المجتمع أو من ناحية تأثير الواقع الرمزي على أفكار وتصورات ومعتقدات الناس، وبخاصة فيما يتصل بواقع الأسرة في المجتمع المعاصر.

وتوضح دراسات "جيفرز" أن وسائل الإعلام تتفاعل مع الثقافة وفقاً لعدة نظريات منها : نظرية المرأة وتفترض أن "الميديا" تعكس الثقافة ولا تؤثر عليها وأنها تعزز الثقافة السائدة، ومعنى ذلك أن ما تقدمه ليس إلا واقعاً موجود بالفعل، واختبار ذلك يقوم الباحثون بتحليل محتوى الرسائل الإعلامية.

أما النظرية الثانية وهي الإطار النظري في هذا البحث فيرى أنصارها: "أن الرموز التي يتم التعبير عنها تكون بمثابة التراث الاجتماعي والثقافي من جيل إلى جيل ويهتم باحثوا هذه النظرية بكيفية تأثير طريقة التعبير الرمزي لوسائل الإعلام على معتقدات واتجاهات الناس وتصرفهم الاجتماعي^(١٩) ويقوم الباحث باختيار مقولات هذه النظرية من خلال هذا البحث.

وترى (Barbara) أن الاتصال يكون الثقافة ويتشكل بها في الوقت نفسه في سياقات تمتد من المحلية إلى العالمية، والناس يفهمون الأفكار والصور الذهنية والقصص ووجهات النظر جزئياً بدمج الخبرات والمخزون الثقافي مع تطلعاتهم الثقافية^(٢٠).

وقد درس "جيمس ليل" المشاهدة التليفزيونية للأسرة على مستوى عالمي وتوصل من بحثه إلى مدخل يفيد في فهم كيف أن الاتصال المعاصر يشكل تفاعلاً مع البيئات الاجتماعية ويرى أن أنماط المشاهدة الأسرية تعكس الثقافة وتوسع مفهومها من خلال الخصوصية الثقافية لكل مجتمع فالمشاهدة توسع الخطاب وطريقة التفكير والسلوك اليومي الذي تتلامح أسسه مع التفاعل الاجتماعي، ويشكل محدد فإن الفرد لا يتم تنشئته اجتماعياً من خلال الأفكار بل من خلال الطريقة التي تنظم بها هذه الأفكار وعلاقتها بالقوى الاجتماعية ويمدئ إشباعها لحاجات الفرد واهتماماته، وأن التليفزيون يعد أبرز المولدات والموصلات الثقافية المعاصرة^(٢١).

وإذا تحدثنا عن الطريقة فإن العالم الرمزي الذي تنشئه الدراما التليفزيونية هو عالم مكون من قواعد وأسس وقيم وصور وأحكام ونصوص مفتوحة للقراءة وإعادة القراءة والخروج بدروس اجتماعية ودلالات مختلفة ولأن التليفزيون من أكثر الوسائل التي تحظى بالثقة والمصداقية لاعتماده على الصور الفورية والتجسيد والقدرة على الإقناع فإن الدراما التليفزيونية تصبح قوة لا يستهان بها في تشكيل عقليات الجمهور فيما يتصل بالأشخاص والمؤسسات والأفكار والرموز الثقافية وبخاصة الدراما التي تعد قوة ثقافية مؤثرة في المجتمع المعاصر.

إن السياق الذي تتم من خلاله التأثيرات الإتصالية على عقلية الجمهور يتكون من خمسة أبعاد هي : الموضوع المطروح وهو هنا الأسرة وما يدور بداخلها من تفاعلات تتصل بالعنف والمواقف الذي يجعل الفرد يفكر بطريقة معينة ومكانه الفرد في النظام الاجتماعي والخبرة الماضية التي قد تكون خبرة مباشرة مع العنف الأسري أو خبرة منقولة (Mediated) عبر وسائل التنشئة وعبر وسائل الإعلام والتي يفسر الفرد ما يخزنه في ضوئها ويصدر بناء عليه أحكامه، ثم تأتي الثقافة مكونا خامسا لهذا السياق وهي إما ثقافة تشجع على العنف أو ثقافة التعاون والمسالمة، وهكذا فدراسة اتجاهات المتزوجين نحو العنف الأسري وعلاقتها بالدراما مهمة وتعتد جتورها في عمق البيئة النفسية والاجتماعية والثقافية للأفراد.

ومن المكونات الثقافية لأبطال وهم الأشخاص الذين يتمتعون بصفات يقدرها أفراد الثقافة الواحدة، ويمكن القول أن الصور الوالدية التي تنعكس في وسائل الإعلام ذات تأثير على تصورات الأفراد لأعضاء الأسرة ومتطلبات الدور لكل منهم وعلى ما يعتقد كل عضو تجاه الأعضاء الآخرين (٢٢).

وفي دراستنا هذه تعد صور أفراد الأسرة وتفاعلاتها في الدراما التليفزيونية خبرة تقدم للجمهور ويمكن أن تكون مصدرا لأحكامه عن الواقع الفعلي للعنف الأسري وبخاصة بعد سقوط الحواجز بين الواقع الموضوعي والواقع الرمزي الذي يعيد إنتاج الثقافة وعناصرها وبيئتها في المجتمع (٢٣).

خامسا :مراجعة الدراسات السابقة :

(أ) دراسات عربية :

ومن الدراسات السابقة التي تناولت موضوع العنف داخل الأسرة هناك مجموعة الدراسات الاجتماعية والنفسية العربية التي سعت لتحديد دوافع القتل بين الأزواج والزوجات ومنها دراسة سيكولوجية القتل دراسة نفسية واجتماعية مقارنة لقتل الأزواج والزوجات والتي توصلت إلى أن النشأة الاجتماعية والثقافية لكل من الزوجين

تلعب دوراً خطيراً في أنماط الدور الخاص بكل منهما وقدمت اختباراً لمتغيرات الديانة وعدد مرات الزواج . وقد اعتمدت الدراسة على منهجية دراسة الحالة، ومع أن هذه الدراسة لم تتطرق للواقع الرمزي للظاهرة، إلا أن نتائجها تصلح للمقارنة بين الواقع الموضوعي والواقع الرمزي. (٢٤)

وتأتى دراسة "أثر التفكك الأسري وعلاقته بجريمة القتل داخل المحيط العائلي التي أجرتها أمينة عفيفي، في ذات الإطار وقد استهدفت معرفة دوافع القتل والعوامل الخارجية التي يمكن أن تشكل سمات القاتل أو الشخص العدوانى داخل المحيط الأسري، وقد اعتمدت الدراسة على منهجية تحليل المضمون لتحليل عينة من الصحف خلال الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٩٠م وتوصلت هذه الدراسة إلى أن التفكك الأسري وعدم تأييد الأبوين للزواج، وتراجع السلطة الأبوية وضعف الوازع الدينى من عوامل حدوث جريمة القتل داخل الأسرة (٢٥).

وقد أجريت دراسة ثالثة مشابهة فقامت بتحليل جرائم المرأة المصرية في الصحافة مقارنة مع سجلات الجريمة الواقعية (٢٦).

وأما في سياق ظاهرة "السلوك اللاجتماعي" في المجتمع المصري والعربي فقد كانت دراسة "المجاعة والمخالفة لمعايير المجتمع المصري" توصل فيها (حسن على حسن) إلى أن المجتمع المصري يشهد شيوع أنماط سلوكية وتفاعلات عنيفة بين الآباء والأبناء والأقارب في محيط الأسرة (...). وفسر الباحث هذا السلوك اللاجتماعي بوجود مناخ يدعم ميل الأفراد إلى استخدام أساليب غير معتادة أو غير مشروعة لتحقيق ما يروونه صحيحاً.

ولعل الدراما المشبعة بالجريمة والعنف والجنس أحد روافد تشكيل هذا المناخ، ويعتبر الباحث أن ظاهرة العنف الأسري أمراً مخالفاً ومضاداً لأهم المعايير الاجتماعية الراسخة في وجدان الشعب المصري، إلا وهو التراحم والاحترام في تفاعلات الناس وبخاصة داخل النسق الأسري (٢٧).

وفى دراسة أجراها برنامج يذاع على القناة الفضائية اللبنانية فى شهر أيلول ١٩٩٨م تحت عنوان "العنف المنزلى" (١٩٩٨م) LBC وتم استطلاع آراء ١٠٠٠ مفردة من البالغين فى لبنان تبين أن : ٤٥٪ من العينة يعرفون أسرى يمارس فيها العنف الأسرى وأن ٧٨٪ من العينة يرون ضرورة التدخل لحماية ضحايا العنف المنزلى، وحول سؤال عن إمكانية بقاء ضحايا العنف المنزلى، وحول سؤال عن إمكانية بقاء ضحايا العنف المنزلى بالمنزل أو إبعادهم بعد وقوع العنف، أجابت نسبة ٤٨٪ بضرورة ترك المنزل مقابل نسبة ٥٢٪ رفضوا ذلك، أما عن الأطفال الذين يتعرضون للعنف المنزلى فقد أضافت نسبة ٦٥٪ من العينة بضرورة إبعاد هؤلاء الأطفال عن أسرهم، إن مؤشرات هذه الدراسة تعد هامة لأنها تقيس اتجاهات الجمهور نحو العنف الأسرى (٢٨).

وأما فيما يتصل بمتغير التعرض أجرت أمانى السيد فهمى دراسة حول "نوافع استخدام المرأة المصرية لقنوات التلفزيون الدولية وإشيعاتها" ١٩٩٧م :

وقد استهدفت هذه الدراسة بحث علاقة النوافع بمتغيرات التعرض للقنوات التلفزيونية الدولية واعتمدت على مدخل الاستخدامات والإشيعات ومن خلال عينة مكونة من (٨٠) مفردة فى مدينة القاهرة توصلت الدراسة إلى عدة نتائج تؤكد أن المرأة المصرية تشاهد التلفزيون لأسباب عديدة منها التسلية والحاجة للمعلومات والصحية وقضاء الوقت وهناك ارتباطات إيجابية بين التعرض والتعلم الاجتماعى بقض النظر عن العمر والعمل، وتؤكد نتائج هذه الدراسة على زيادة حجم الوقت المنفق فى التعرض للتلفزيون وهو ما يشير سؤالا هل هذا التعرض بلا أثر على تصورات الأفراد؟ (٢٩).

هذا عن بعض الدراسات العربية وفى جملتها تتناول متغيرات نفسية واجتماعية واقتصادية ولم تركز بوضوح على تأثير التعرض للدراما التلفزيونية على اتجاهات الناس نحو ظاهرة العنف الأسرى ربما لتأخر الاهتمام بدراسة العلاقة بين النظام الإعلامى وبين ظاهرة العنف الأسرى.

(ب) الدراسات الأجنبية :

أما الدراسات الأجنبية فهي متعددة ومتصلة مباشرة بموضوع البحث :

بحث (National Council, 1981) : الضغط النفسي والاجتماعي: حالة العنف

الأسري :

وقد تضمن هذه البحث نموذجا - نفسيا وطبيا لتفسير العنف الأسري يفترض أن

العنف الأسري ينتج عن مركب يتكون من :

- مثير ضاغط " أى موقف يقدم تهديدا أو توترا " .

- إمكانيات الاستجابة "مهارات متعلمة في التعامل مع المنبه"

- خيارات الاستجابة "بدائل رد الفعل الممكنة للفرد في المواقف المعينة" :

ويرى أصحاب هذا النموذج أن العنف العائلي يحدث -غالبا- حينما تقل خبرة أعضاء الأسرة في مرحلة معينة وحينما يتعلم أعضاء الأسرة العنف في فترات سابقة داخل الأسرة أو في مواقع العمل (أو من مشاهدة التليفزيون والأفلام) وما يمكن الاستفادة منه هنا هو أن عملية التعلم يمكن أن تسهم فيها مؤسسات أخرى مثل التليفزيون الذي يقدم الخبرات العنيفة في أطر التسلية المختلفة لأعضاء الأسرة بالكم والكيف الذي لم يعهده الناس من قبل (٢٠) .

وقدمت دراسة (Keith, Roe) حول : انحراف وسائل الإعلام افتراضا مؤداه أنه يمكن اعتبار وسائل الإعلام افتراضا مؤداه أنه يمكن اعتبار وسائل الإعلام منحرفة، بمعنى أن معالجتها لظاهرة الانحراف يمكن أن تصبح هي ذاتها مصدر للانحراف ومساعد عليه (٢١) .

دراسة (Eastern Comm. association, 1990) حول "الخلافات والعنوان

اللفظي وبوره في العنف العائلي : دراسة في الاتصال العضاري" :

اختبرت هذه الدراسة متغير الخلافات الزوجية ومتغير العنف اللفظي في علاقتهما بالعنف بين الزوجين في إطار مدخل الاتصال الحضاري (الثقافة الأمريكية في مقابل الثقافة اليابانية)، وتوصلت الدراسة إلى أن العنف اللفظي شائع بين الأزواج وأن تزايد تكرار التفاعل الحضاري يؤدي إلى تنوع البحوث في مجال الاتصال الحضاري لاختبار ومعرفة كيف أن الخلافات في السلوك بين الثقافات يمكن أن تشير عدم الفهم، وبخاصة بين الثقافة اليابانية والثقافة الأمريكية (٣٢).

- دراسة الأسباب الاجتماعية - الثقافية العنف الأسري : تعليق نظري :

وهي دراسة محورية قدمت مراجعة وتوسيع لورقة أخرى تم تقديمها للمؤتمر الثاني لبحوث العنف الأسري، بجامعة هام بشير الجديدة، في أغسطس ١٩٨٤م ومن النتائج التي طرحتها هذه الورقة أن العنف الأسري عبر عقدين من الزمن (السبعينيات والثمانينيات) قد عرض ونوقش في وسائل الإعلام بشكل متزايد، كما أصبح موضوعا بحثيا لدى الأوساط الأكاديمية (*).

وانتهت الورقة البحثية إلى خلاصة مفادها أن ظاهرة العنف الأسري في ازدياد كما أن عدد المراكز التي أنشئت لمساعدة ضحايا العنف الأسري في ازدياد كذلك، وقد عملت الجهود التعليمية للسلك الأكاديمي والمؤسسات الرسمية ووسائل الإعلام دورا محوريا في إحاطة الرأي العام بظاهرة العنف الأسري، مما قد يردع أولئك الذين يمنعون الضحايا من التبليغ عن الانتهاكات التي تحدث لأعضاء الأسرة.

وتسائل الباحث في نهاية ورقته عما إذا كان معدل العنف الأسري يمكن أن ينحسر إذا لم تكن المعايير الأخلاقية التي تشكل الوجدان الاجتماعي الأول ضد هذه الأشكال المرعبة من العدوان قد تم تخزينها وتنشيطها من قبل الأسرة والمدرسة والمجتمع، إن نمو الوعي العام بالمعاناة الرهيبة لضحايا العنف الأسري تخلق التزاما قويا بهدف يستحق أن يقدم فيه الباحثون إسهاماتهم المهمة (٣٣).

- دراسة (Goodwin & Kennedy 1987) حول : العنف بين الأشقاء وخبرة المراهقين مع التفاعلات العنيفة " ١٩٧٨م :

تم جمع بيانات هذه الدراسة من خلال استبانة طبقت على تلاميذ الصف السابع في مدرستين مشتركتين في مدينة أمريكية وكان هدفا لدراسة معرفة مصادر الصراع التي تؤدي إلى العنف بين الأشقاء ومعرفة أنماط السلوك العنيف الذي يمارسه الأشقاء وتأثير النوع على هذه المتغيرات وكذلك معرفة طرق حل الصراع بين الأشقاء.

وقد أيدت نتائج هذه الدراسة الفرض القائل بأن العنف بين الأشقاء في معظمه حتمي وطبيعي، ويعبر عن أكثر أشكال العنف الأسري شيوعا، وله ضحايا، وتوصلت الدراسة إلى أن المناخ النفسي للأسرة الذي يمنع الأفراد من استخدام القوة ضد أي من أفراد الأسرة ربما يكون له أثر مضاد للعنف بالنسبة للأطفال وعلى تعلمهم استراتيجيات استخدام القوة وطرق حل الصراعات بينون عنف بين الأخوة (٣٤).

- دراسة (combs, & Landsverk, 1990) حول : الشباب الذين يهاجمون والديهم بدنيا، ١٩٩٠م :

وقد تم جمع بيانات هذه الدراسة من ٤٤٥ أسرة نصفهم من البيض الأمريكيين، وقد تم اختيار عدة متغيرات اجتماعية ونفسية لها علاقة بالمهاجمات البدنية من الأبناء للوالدين، ومن أهم نتائج هذه الدراسة أن هذه السلوكيات العنيفة تعكس نمط علاقات سلبية شائعة بين الأطفال والديهم، وإحساس ناقص لدى الأطفال بوجودهم، (٣٥).

- دراسة (Carlson, 1990) حول "المراهقين وملاحظة العنف بين المتزوجين ١٩٩٠م :

وقد تمت مقابلات مع ١٠١ من المراهقين في سن ١٢ - ١٨ يقيمون في أربع مؤسسات لتلقى التوجيه، وتمت مقارنة استجاباتهم بعينة ممن لم يتعرضوا لهذا العنف بين الأزواج على سلوكهم وأن هناك عوامل وسيطة منها نوع المبحوث، وكان تعرض الذكور لإساءة المعاملة من أسباب الهرب والتفكير في الانتحار وضرب أمهاتهم مقارنة

بغيرهم من المراهقين، وثبت أن مشاهدة عنف الأزواج غير مرتبطة بسلوك الإناث من المراهقات (٢٦) .

- دراسة (Murray A. Straus, 1992) البحث الاجتماعي والسياسة الاجتماعية:
حالة العنف الأسري :

هذه الدراسة على درجة كبيرة من الأهمية، فقد اعتمدت على رصد وتحليل تطور البحوث والدراسات ومراكز البحث التي أنشئت حول ظاهرة العنف الأسري منذ السبعينيات، وترجع هذه الدراسة التطور الكبير للبحوث في هذا المجال إلى التغيرات التي شهدتها المجتمع الأمريكي وتخصص علم الاجتماع على حد سواء، (**) (٢٧) .

هذه الدراسة تعد من الأهمية بمكان فقد قدمت مسحا نقديا للتراكم العلمي في مجال دراسات العنف الأسري من وجهة نظر علم الاجتماع، وناقشت دور وسائل الإعلام في إتاحة النتائج العلمية للرأي العام ولخططى السياسية الاجتماعية لكي تبني قراراتهم على بيانات دقيقة.

- تقرير (Friedman, & Anni) عن الندوة العلمية: "تكوين أسر خالية من العنف" :

حيث نظمت "اليونيسيف" مع "المكتب العالمى لتقدم المرأة" ندوة حول مواجهة مشكلات المرأة وإثارة الوعي العام بالعنف الأسري، وقد لخص التقرير ما توصل إليه هذا التجمع فيما يلى :

١- يجب أن يعرف العنف الأسري على أنه مشكلة وأن التكلفة الاجتماعية والاقتصادية للعنف الأسري لا يمكن تقديرها، وأن العنف الأسري قضية تنمية إنسانية وهو قضية تتصل بحقوق الإنسان وأن المجتمع المعنف ينتج أسرا عنيفة.

٢- العنف الأسري يجب أن يكون معروفا لدى المجتمع الدولى، وأن المنظمات غير الحكومية لها دور مهم وهى فعلا تقوم بهذا الدور فى هذه القضية.

٣- يجب على وسائل الإعلام أن تزيل الصور الذهنية النمطية للبهات والنساء وأن تصورهم بطرق سليمة.

٤- يجب أن يعاد تنظيم التعليم من حيث المناهج والبرامج والأنشطة لتحقيق العدالة بين الذكور والإناث (٢٨).

وتعد خلاصات هذه الفسوة من المؤشرات على الاهتمام بقضية العنف الأسري، وعلاقته بوسائل الإعلام التي يجب أن تقوم بدور مهم فيما يتعلق بالصورة النمطية حول قضية العنف الأسري وضرورة الموازنة في طرح هذه الصور الذهنية.

بعد عرض الدراسات السابقة يمكن القول أن المحاور تتنوع في تناولها لموضوع العنف الأسري وعلاقته بوسائل الإعلام ومع ذلك يظل قياس الاتجاهات نحو ظاهرة العنف الأسري أقل بروزاً من مجالات أخرى، وتظل دراسة الاتجاهات مطلوبة لمعرفة الظاهرة من المتزوجين كأحد مصادر تنمية فهم علمي لعلاقة التعرض للدراما التليفزيونية بالمعتقدات والاتجاهات حول هذه الظاهرة.

سادساً: نتائج البحث :

أولاً: توصيف عينة البحث:

تم جمع البيانات من ١٢٠ مفردة من المتزوجين والمتزوجات بمدينة القاهرة وكانت نسبة الذكور منهم (٥١,٧٪) بينما كانت نسبة الإناث (٤٨,٣٪).

ومن حيث العمر تراوحت أعمار المبحوثين بين ٢٠ سنة و٦٢ سنة وكان متوسط عمر المبحوثين (٤٠,٧٤) سنة وهو متوسط كاف للحكم على الظاهرة وخصوصاً بعد تثبيت متغير الزواج، وأما عن الحالة الزوجية فقد تبين أن (٩٠,٨٪) من المبحوثين يعيشون حالات زوجية وهناك نسبة (٤,١٪) مطلوقون ونسبة (٥,٠٪) أرامل - وبخصوص العمل تبين أن (٧٦,٧٪) من المبحوثين على رأس العمل و(٢٢,٥) إما بلا عمل أو على المعاش وهناك قلة غير مبين ما إذا كانوا يعملون أم بنسبة (٨,٠٪) وكان متوسط عدد سنوات الزواج (١٦,٢٧) سنة وهو متوسط عال يسمح بوجود تجارب أسرية يمكن أن تحكم على الظاهرة محل الدراسة.

وأما عن عدد الأبناء في الأسر فقد كانت على النحو التالي:

- الأسر التي ليس بها أطفال نسبتهم (١٠,٨٪)
- ابن أو إبنة واحدة نسبتهم (١١,٧٪)
- ولدان نسبتهم (٣,٨٪)
- ثلاثة أولاد نسبتهم (٢٧,٥٪)
- أربعة نسبتهم (١٢,٢٪)
- خمسة أطفال نسبتهم (٤,٢٪)
- ٦ أطفال نسبتهم (١,٧٪)

المؤهلات التعليمية :

- يحمل مؤهل جامعي ما نسبته (٧٣,٣٪) من المبحوثين.
- ويحمل مؤهل ثانوي أو ما في مستواه (٢٤,٢٪) من المبحوثين
- بينما من تقل مؤهلاتهم عن ذلك (٢,٥٪) من المبحوثين أي أن معظم العينة من التعليم العالي والمتوسط.

ثانياً: استجابة المبحوثين لابعاد مقياس العنف الأسري:

نتائج الاستجابة للبعد الأول:

١- إجمالي درجات الاستجابة للبعد الأول:

جدول رقم (١) يبين مستويات الاستجابة للبعد الأول

المستوى	التكرار	النسبة	المتوسط
منخفض (١ - ٦)	٢٠	١٦,٧	١,٩٧
متوسط (٧ - ١٢)	٨٣	٦٩,٧	
مرتفع (١٣ - ١٨)	١٧	١٤,١	
إجمالي	١٢٠	١٠٠	

توضح البيانات أن المتوسط العام للمبحوثين يصل إلى (١,٩٧) وهو ما يؤكد الموافقة على مجمل بتود البعد الأول ولكن فوى الدرجات العالية على المقياس تزيد نسبتهم فى المستوى المتوسط (٦٩,٢٪) وتنخفض فى المستوى المنخفض والمرتفع، وبشكل عام الأغلبية درجات موافقتها متوسطة وهو ما يؤيد الاتجاه الراض للقول بشيوع ظاهرة العنف الأسري فى مصر.

ب - استجابات المبحوثين لبند البعد الأول من المقياس:

جدول رقم (٢) يبين استجابات المبحوثين للبند الأول من المقياس

معارض		محايد		موافق		مختصر البند
%	ك	%	ك	%	ك	
٨١,٧	٩٨	١٠,٨	١٢	٧,٥	٩	العنف ضرورة لضبط الحياة الأسرية
٤١,٧	٥٠	١٢,٥	١٥	٤٥,٨	٥٥	الصراع في الأسرة مرتبط بعادات اجتماعية تساعد على العنف
٦٢,٥	٧٥	١٦,٧	٢٠	٢٠,٨	٢٥	عادة ما ينتهي العنف الأسري بأثار جسدية
١٢,٥	١٥	١٠,٨	١٢	٧٦,٧	٩٢	كثيراً ما ينتج عن العنف الأسري أثار نفسية
٢٥	٤٢	١٤,٢	١٧	٥٠,٨	٦١	نادراً ما تتدخل العائلة لحل الخلافات الأسرية
١٥	١٨	١١,٧	١٤	٧٣,٣	٨٨	لا بد من سن قانون يعاقب مرتكب العنف الأسري
٢٠	٢٤	١٥,٨	١٩	٦٤,٢	٧٧	مستقبل الأسرة مهدد لعدم علاج مسببات العنف الأسري
٢٣,٢	٤٠	٤,٢	٥	٦٢,٥	٧٥	حرمان المرأة من التعليم لا يزال مشكلة في الأسرة المصرية
٦٠	٧٢	٨,٢	١٠	٢١,٨	٢٨	كبار السن يتعرضون لهجمات في الأسرة المصرية

توضح بيانات الجدول السابق أن الاستجابة بالموافقة على بنود مقياس البعد الأول تراوحت بين نسبتي (٧,٥٪) وبين (٧٦,٧٪) وكان البند الذي حظي بالموافقة العالية يدور حول الآثار النفسية العميقة التي يخلقها العنف الأسري، بينما انخفضت الموافقة إلى أدنى درجاتها عند البند القائل بأن العنف ضرورة لضبط الحياة الأسرية بما يعنى غلبة الاتجاه الرافض لاستخدام العنف في تسيير الحياة الأسرية.

أما درجات الرفض فقد تراوحت نسبتها بين (١٥٪) وبين (٨١,٧٪) وقد كانت أدنى نسبة معارضة لفكرة ضرورة سن قانون مرتكب العنف الأسري مما يدعم الاتجاه المضاد لظاهرة العنف الأسري في مصر.

وكانت الاستجابة المحايدة بين نسبتي (٤,٢٪) وبين (١٦,٧٪) وانخفاض هذه النسب يرجع إلى رسوخ الاتجاهات حول الظاهرة وزيادة عوامل التاكيد وضعف عوامل الشك وعدم التيقن.

وخلاصة النتائج في البعد الأول تفيد بأن العينة وهم من المتزوجين يرفضون أن يكون العنف داخل الأسرة المصرية ضرورياً لحياة الأسرة، وإن أفادوا أن الصراع في الأسرة مرتبط بعادات وتقاليد اجتماعية قد تساعد على العنف، ويؤكدون تراجع دور العائلة في احتواء حالات النزاع العنيف في الأسرة، ومع ذلك يقرر المتزوجين بنسب كبيرة خطورة الآثار المادية والنفسية الناتجة عن ممارسات أشكال العنف الأسري، كما يقررون أن المرأة ما زالت تعاني أنواعاً من الحرمان وبخاصة مواصلة التعليم، كما أن كبار السن مع مكانتهم في الوعي الاجتماعي إلا أنهم يتعرضون لبعض أنواع العنف اللفظي من أفراد الأسرة وهذا في نظر المبحوثين مخالف لأهم معايير الحياة في مصر وهو توقير واحترام كبار السن.

ويقرر المبحوثون أن مستقبل الأسرة مهدد في ظل استمرار مسببات العنف الكامنة في المجتمع وعاداته وفي نظام التربية وفي وسائل الإعلام، ولذلك فقد وافق معظم المبحوثين على ضرورة سن قانون يعاقب مرتكب العنف الأسري في مصر.

ج / علاقة الاستجابات للبعد الأول بمتغيرات الدراسة:

إن الاستجابات التي تمت لبنود البعد الأول من المقياس تميل إلى رفض واضح لأن تكون ظاهرة العنف الأسري في مصر شيئاً معتاداً أو مرغوباً من أى طرف ومع اختيار عدد من المتغيرات في علاقته بنوعية الاستجابات تبين أن هذه الاستجابات لم تتأثر بمتغير التعرض للتلفزيون أو الدراما التلفزيونية ولم تتأثر بمتغيرات النوع وبقيّة المتغيرات.

- نتائج الاستجابة للبعد الثاني :

1/ إجمالي درجات الاستجابة للبعد الثاني:

جدول رقم (٣) يبين مستويات استجابة المبحوثين للبعد الثاني

المستوى	التكرار	النسبة	المتوسط
منخفض (١ - ٧)	٥٦	٤٦,٧	١,٦٣
متوسط (٨ - ١٢)	٥٢	٤٣,٢	
مرتفع (١٤ - ٢٠)	١٢	١٠	
إجمالي	١٢٠	١٠٠	

يوضح الجدول أن المتوسط العام للاستجابات يميل إلى الموافقة على مجمل البنود، وقد ارتفعت نسبة نوى الدرجات المنخفضة (٤٦,٧٪) تليها نسبة نوى الدرجات المتوسطة وأخيراً نسبة نوى الدرجات المرتفعة، إن الاتجاه نحو العنف بين الأزواج يميل إلى الانخفاض وعدم تأييد المقولات التي تعبر عن هذا البعد من وجهة نظر الأغلبية من المبحوثين.

ب/ استجابات المبحوثين لبنود البعد الخاص بالعنف بين الزوجين:

يوضح الجدول التالي استجابات المبحوثين لبنود المقياس فيما يتصل بالعنف بين الزوجين:

وقد تبين أن درجات الموافقة على العبارات تراوحت بين نسبتي (٩,٢٪) وبين (٥٥٪) وكانت أدنى درجات الموافقة لعبارة تقول أن ضرب الزوج لزوجته أصبح شيئاً معتاداً في الأسرة المصرية أما أعلى درجات الموافقة فكانت لعبارة تقول: الزوجة المصرية هي التي تفرض على زوجها طريقة معاملته لها.

وقد تراوحت نسب الرفض بين نسبتي (٣٦,٧٪) وبين (٧٩,٢٪) وهكذا يرتفع الحد الأدنى للرفض في البعد الثاني عنه في البعد الأول ويرجع ذلك إلى أن المحك العنلي بين الزوجين هو الفيصل في الحكم على الظاهرة، وكانت نسب الحياد بين (٧,٥٪) وبين (٢٤,٢٪).

جدول رقم (٤) يبين استجابات المبحوثين للبعد الثاني من المقياس

مختصر البند		موافق		محايد		معارض	
		ك	%	ك	%	ك	%
الزوجة هي التي تفرض على الزوج طريقة معاملته لها	٦٦	٥٥	٩	٧,٥	٤٥	٣٧,٥	
يتعامل الزوج مع زوجته بطريقة لا تتفق مع مبادئ الدين	٥٥	٤٥,٨	١٤	١١,٧	٥١	٤٢,٥	
العنف بين الزوجين أصبح شيئاً معتاداً	٢٧	٢٢,٥	٢٣	١٩,٢	٧,٧	٥٨,٢	
الزوجة كثيراً ما تجبر زوجها على فعل أشياء رغم أنه	٢٨	٢٣,٣	١٩	١٥,٨	٧٣	٦٠,٨	
حرمان المرأة من المودة والعواطف ظاهرة واضحة في الأسرة المصرية	٦٢	٥١,٧	١٠	٨,٣	٤٨	٤٠	
ضرب الزوج لزوجته من الأمور العادية في الأسرة المصرية	١١	٩,٢	١٤	١١,٧	٩٥	٧٩,٢	
لا تخلو أسرة مصرية من السب والشتم	٢٨	٢٣,٣	١٢	١٠	٨٠	٦٦,٧	
يتسم التعامل اليومي بين الزوجين برفع الصوت والسب والشتم	٥٠	٤١,٧	٢٥	٢٠,٨	٤٥	٣٧,٥	
الزوجات أكثر استخداماً للشتم من الأزواج	٢١	١٧,٥	٢٢	١٨,٣	٧٧	٦٤,٢	
غالباً ما يلجأ الزوجان في حالات العنف للمحاكم وليس الحرف		٢٩,١		٢٤,٢		٣٦,٧	

ج/ علاقة الاستجابات بالمتغيرات:

تبين من تحليل البيانات أن المتغيرات الديموغرافية وبخاصة النوع والـ
الزواجية هي التي تؤثر فقط على اختلاف متوسط الإجابات بين المبحوثين بينما
يثبت وجود تأثير لمتغيرات التعرض وبقيّة المتغيرات على هذه الاستجابات.

وهنا لابد من التأكيد على أن التعرض للدراما لا يرتبط ارتباطاً ذو دلالة بموا
المبحوثين ببند البعد الثاني من المقياس.

وخلاصة النتائج في البعد الثاني تؤكد على أن العنف بين الزوجين من مظاهره
الزوجة المصرية أحياناً تفرض على زوجها طريقة معاملته لها، كما أن الزوج المصري
أحياناً يعامل زوجته بشكل لا يتفق مع مبادئ الدين وطبيعة المصري متدين بطبيعته،
ذلك ما زال الاتجاه الأغلب يرفض أن يكون العنف المادي بين الزوجين قد أصبح شـ
معتاداً في الثقافة الاسرية المصرية ولكن تظل الزوجة المصرية محرومة من المد
والمودة، والمبحوثون يميلون إلى القول بأن السباب والشتيم ليس شيئاً معتاداً في الأسـ
المصرية وإن مارسته بعض الفئات مع الإقرار بوجود نوع من العنف اللفظي والـ
تمارسه الزوجات أكثر نسبياً من الأزواج.

نتائج الاستجابة للبعد الثالث:

١/ إجمالي درجات الاستجابة للبعد الثالث:

جدول رقم (٥) يبين مستويات الاستجابة العامة للبعد الثالث

المستوى	التكرار	النسبة	المتوسط
منخفض (٦ - ٨)	٤٣	٣٥.٧	١.٧٣
متوسط (٩ - ١٦)	٦٦	٥٥	
مرتفع (١٧ - ٢٤)	١١	٩.٢	
إجمالي	١٢٠	١٠٠	

توضح بيانات الجدول السابق أن ذوى الدرجات المنخفضة نسبتهم (٣٥,٧٪) وكانت نسبة ذوى الدرجات المتوسط (٥٥٪) بينما تنخفض نسبة ذوى الدرجات المرتفعة وهذا يدل على أن الرفض لمقولات البعد الثالث أقرب وأن الموافقة متوسطة أو ضعيفة بما يعنى سلامة العلاقة بين الوالدين والأبناء فى مجملها.

ب - استجابة المبحوثين لبند البعد الثالث:

يوضح البعد الثالث علاقات الوالدين بالأبناء وممارسة العنف بينهم.

جدول رقم (٦) يبين استجابات المبحوثين للبعد الثالث من المقياس

معارض		محايد		موافق		مختصر البند
%	ك	%	ك	%	ك	
٢٥,٨	٤٢	١٥,٨	١٩	٤٨,٣	٥٨	كثيراً ما يتخلى الزوج عن واجباته الحنوية تجاه أبنائه
٨٢,٥	٩٩	٨,٣	١٠	٩,٢	١١	من الأمور المعتادة أن تحرم الأسرة البنات من الميراث
٤٠	٤٨	١٣,٣	١٦	٤٦,٧	٥٦	كثيراً ما يضرب الأخوة بعضهم بعضاً لأسباب
٤٥,٨	٥٥	١٤,٢	١٧	٤٠	٤٨	كثيراً ما يعاقب الوالدين أبنائهم على أشياء عادية بالضرب
٦١,٧	٧٤	١٢,٥	١٥	٢٥,٨	٣١	الآباء هم الذين يسيرون أبنائهم ويشتمونهم
٣٥	٤٢	١٩,٢	٢٣	٤٥,٨	٥٥	الأسرة المصرية كثيراً ما تستخدم العنف في تربية الأبناء
٥٥	٦٦	٢٦,٧	٣٢	١٨,٣	٢٢	الاستبداد والسيطرة سمة أساسية في نظام التربية داخل الأسرة المصرية
١٩,١	٢٣	١٩,٢	٢٣	٦١,٧	٧٤	الوالدان يحترمون أبنائهم ويشركونهم في النقاش داخل الأسرة
١٦,٧	٢٠	١٨,٣	٢٢	٦٥	٧٨	الوالدان يتدخلون دائماً في شؤون الأبناء
٧٠	٨٤	١٧,٥	٢١	١٢,٥	١٥	الوالدان في الأسرة المصرية متسلطون وقاسيون على الأطفال
٨٢,٥	٩٩	١٠	١٢	٧,٥	٩	الوالدان في الأسرة المصرية عدوانيون
٣١,٧	٣٨	٢٥	٣٠	٤٢,٣	٥٢	معظم الآباء يهتمون بجمع المال ولا يهتمون بالإشراف على تربية الأطفال

وقد تراوحت نسب الموافقة بين (٧,٥) وبين (٦١,٧) وكانت الموافقة المنخفضة لبند يقول «الوالدان في الأسرة المصرية عدوانيون» وكانت أعلى موافقة لعبارة تقول «الوالدان يحترمون أبنائهم ويشركونهم في النقاش داخل الأسرة» وهذا يوضح الرفض التام للقول بأن الوالدان يتسمون بالعنف والتسلط والتدخل في شئون الأبناء .

وقد تراوحت درجات المعارضة بين (١٦,٧) لعبارة تقول أن الوالدين يتدخلون في شئون الأبناء وكانت أعلى درجات المعارضة (٨٢,٥) لعبارة تقول «الوالدان في الأسرة المصرية عدوانيون». وأما الحياة فقد تراوحت نسبة بين (٨,٣) وبين (٢٦,٧).

ولم تثبت أي علاقات بين المتغيرات وبين الاختلافات في متوسطات الاستجابة لبند البعد الثالث بما في ذلك متغير التعرض.

وخلاصة نتائج البعد الثالث تفيد بأن الزوج يتخلى أحياناً عن واجباته وبخاصة المعنوية والتوجيهية للأبناء، مقارنة باهتمامه بالواجبات المادية، ومع أن اتجا متوسطاً يسود المبحوثين مفاده أن بعض الوالدين يستخدمون العقاب المادي للأبناء إلا أن النسبة الأكبر تؤكد سيادة قيم الوالدية الديمقراطية واحترام الأجيال بعضها لبعض، وتتجه الإجابات إلى تأكيد رفض وجود أنماط والدية مستبدة أو مهيمنة أو عدوانية بشكل كبير في الأسرة المصرية، ومع ذلك ربما أثبتت دراسة على الأبناء غير ذلك وإذا فالباحث يتحفظ على هذه النتائج لكونها تعكس وجهة نظر جيل مختلف وطرف واحد هو الآباء والأمهات.

نتائج الاستجابة البعد الرابع :

١/ إجمالي درجات الاستجابة للبعد الرابع:

جدول رقم (٧) يبين مستوى الاستجابة العامة للبعد الرابع

المستوى	التكرار	النسبة	المتوسط
منخفض (١ - ٦)	١٧	١٤,١	١,٨٩
متوسط (٧ - ١٢)	٩٨	٨١,٧	
مرتفع (١٣ - ١٨)	٥	٤,٢	
إجمالي	١٢٠	١٠٠	

ارتفعت نسبة ذوى الدرجات المتوسطة على المقياس بينما انخفضت نسب ذوى المستوى المنخفض والمستوى المرتفع بشكل ملحوظ مع أن المتوسط العام (١,٨٩).

ب - استجابة المبحوثين لبنود البعد الرابع:

يعبر البعد الرابع عن مسببات العنف الأسري من وجهة نظر الأزواج والزوجات عينة الدراسة.

جدول رقم (٨) يبين استجابات المبحوثين للبعد الرابع من المقياس

معارض		محايد		موافق		مختصر البند
%	ك	%	ك	%	ك	
١٥	١٨	٨,٣	١٠	٧٦,٧	٩٢	أسباب العنف الأسرى ترجع إلى الأحوال الاقتصادية السيئة
٩,٢	١١	١٥	١٨	٧٥,٨	٩١	طغيان القيم المادية فى المجتمع المصرى هى سبب العنف الأسرى
١٦,٧	٢٠	١٨,٣	٢٢	٦٥	٧٨	العنف النفسى فى التليفزيون سبب العنف الأسرة المصرية
٢٠	٢٤	١٥	١٩	٦٤,٢	٧٧	الاختلاف بين الوالدين حول تربية الأبناء من أسباب العنف الأسرى
٣٠	٣٦	١٩,٢	٢٣	٥٠,٨	٦١	مشاهدة العنف فى التليفزيون سبب العنف الأسرى
٣٦,٧	٤٤	٢٠,٨	٢٥	٤١,٧	٥٠	عمل أحد الزوجين يمكن أن يكون أحد أسباب العنف الأسرى
٣٧,٥	٤٥	١٣,٣	١٦	٤٩,٢	٥٩	ضعف تعلم أحد الزوجين يمكن أن يكون أحد أسباب العنف الأسرى
٥١,٧	٦٢	٢٧,٥	٣٣	٢٠,٨	٢٥	علاقة الأسرة بلحد أصدقاء أحد الزوجين سبب من أسباب العنف الأسرى
١١,٧	١٤	١٧,٥	٢١	٧٠,٨	٨٥	كثيراً ما تكون الفيرة المفرطة سبب من أسباب العنف الأسرى

من الجدول السابق يتبين أن الأسباب الاقتصادية لها تأثير سلبي على حياة الأسرة فهي تساعد على العنف الأسري وقد كانت نسب الاستجابة لبؤس الأسباب الاقتصادية أكثر من (٧٥٪)، وقد كانت الغيرة المفرطة أحد أهم الأسباب وراء العنف الأسري في الأسرة المصرية، وكانت العقد النفسية والمعاملة الوالدية أسباباً ملحوظة تزيد نسب الاستجابة لها عن (٦٠٪) وقد عبرت نسبة (٥٠٪) من المبحوثين عن اعتقادهم في أن مشاهدة العنف التلفزيوني والمصور درامياً له علاقة بإثارة العنف الأسري، أي أن هناك اتجاه متوسط نحو اعتبار مشاهدة التلفزيون من مسببات العنف الأسري.

ج / علاقة الاستجابات بالمتغيرات :

كان لتغير عدد الأبناء علاقة دالة إحصائية ولم تثبت لأي من متغيرات الدراسة علاقة مع اختلاف الاستجابات للبعد الخاص بمسببات العنف الأسري، وقد يكون ذلك مرتبطاً بالحالة الاقتصادية وعدم استطاعة الأسرة ارضاء كل حاجاتها.

مقارنة بالأبعاد الثلاثة الأولى تعد الاستجابة للبعد الرابع أكثر ميلاً للموافقة وذلك لكون البعد الرابع متصلاً بمسببات العنف الأسري فقد قرر المبحوثون أن سيادة القيم المادية والعوامل الاقتصادية الضاغطة والعقد النفسية المتوارثة وطرق التربية الخاطئة ومشاهدة التلفزيون والغيرة الشديدة مسببات للعنف الأسري في مصر.

ثانياً: التعرض للدراما التلفزيونية وعلاقته بمستوى الاتجاهات نحو العنف الأسري:

أوضحت المعلومات بعد تحليل البيانات أن تعرض المبحوثين للتلفزيون بوجه عام يميل إلى معدلات عالية أو متوسطة فقد تبين أن ما نسبته (٤٠,٨٪) يشاهدون التلفزيون بين ١٥ - ٢١ ساعة فأكثر أسبوعياً وهناك نسبة (٣٠,٨٪)

تشاهد ٢٨ ساعة فأكثر أسبوعياً وهناك نسبة (١٣,٤٪) أعلى من المتوسط من ٢٢ إلى أقل من ٢٨ ساعة أسبوعياً وهناك نسبة (١٥٪) فقط تشاهد سبع ساعات فأقل في الأسبوع.

ومتوسط المشاهدة اليومية (٢,٦) ساعة يومياً وهي معدلات تدل على أن هناك تعرض كمي له قيمته من قبل المبحوثين.

(١) علاقة أبعاد المقياس بحجم التعرض للتلفزيون :

جدول رقم (٩)

يبين علاقة الاستجابة للمقياس بمتغير حجم التعرض للتلفزيون عموماً

أبعاد المقياس		تعرض خفيف		تعرض متوسط		تعرض كثيف	
		ك	٪	ك	٪	ك	٪
البعد الأول	منخفض	١٥	٢٧,٢	٤	٨,٢	١	٦,٢
	متوسط	٣٦	٦٥,٥	٣٧	٧٥,٥	١٠	٦٢,٥
	مرتفع	٤	٧,٣	٨	١٦,٢	٥	٣١,٣
البعد الثاني	منخفض	٢٦	٤٧,٣	٢٣	٤٦,٩	٧	٤٣,٨
	متوسط	٣٦	٤٧,٣	١٩	٣٨,٨	٧	٤٣,٨
	مرتفع	٣	٥,٥	٧	١٤,٢	٢	١٢,٥
البعد الثالث	منخفض	٢٠	٣٦,٤	١٨	٣٦,٧	٥	٣١,٣
	متوسط	٢٩	٥٢,٧	٢٧	٥٥,١	١٠	٦٢,٥
	مرتفع	٦	١٠,٩	٤	٨,٢	١	٦,٢
البعد الرابع	منخفض	٨	١٤,٥	٨	١٦,٧	١	٦,٢
	متوسط	٤٤	٨٠	٤٠	٨٣,٢	١٤	٨٧,٤
	مرتفع	٣	٥,٥	—	—	١	٦,٢
البعد الكلي	منخفض	١٠	١٨,٢	٣	٦,٢	٢	١٢,٥
	متوسط	٢٩	٧٠,٩	٣٩	٨١,٢	١٢	٧٥
	مرتفع	٦	١٠,٩	٦	١٢,٥	٢	١٢,٥

فيما يتصل بحجم التعرض وعلاقته بمستوى الاستجابات تبين أن المستويات المتوسطة في الاستجابة هي التي تتعرض بنسب متوسطة من حيث حجم التعرض فهناك (٧٥.٥٪) ممن يتعرضون للتليفزيون من ٢ - ٣ ساعات درجتهم متوسطة في البعد الأول، وقد تبين أن نوى التعرض الكثيف تزيد نسبتهم بشكل ملحوظ عن نوى التعرض لاهفيف والمتوسط أي أن الذين يتعرضون أكثر يوافقون بدرجة أعلى على مجمل بنود البعد الأول من المقياس وأن كانت العلاقة غير دالة إحصائياً.

أما في البعد الثاني فقد تقاربت مستويات الذين يتعرضون بشكل خفيف والذين يتعرضون بشكل متوسط وكثيف ولا توجد فروق في الدرجات تعزى إلى حجم التعرض أي أن الاستجابة لبنود البعد الثاني الخاص بالعنف بين الأزواج لا تتأثر بمتغير حجم التعرض.

وفي البعد الثالث تبين أن نوى التعرض الكثيف تزيد نسبتهم بدرجة ملحوظة في مستوى على بنود البعد الثالث الخاص بالعنف بين الآباء والأبناء.

وفي البعد الرابع حقق المبحوثون درجات متوسطة، بما يعني ارتباط التعرض الكثيف والمتوسط بدرجات متوسطة وموافقة متوسطة على أسباب العنف الأسرى في مصر.

وفي البعد الكلي للمقياس سجل الذين حصلوا على درجات متوسطة نسب عالية بين فئات التعرض الثلاث وإن كان نوى التعرض المتوسط هم الأعلى نسبة.

ب/ علاقة أبعاد المقياس بمدى التعرض للدراما :

جدول رقم (١٠)

يبين علاقة الاستجابة للمقياس بتغير مدى التعرض للدراما عموما

أبعاد المقياس		تعرض خفيف		تعرض متوسط		تعرض كثيف	
		ك	%	ك	%	ك	%
البعد الأول	منخفض	١٥	١٤,٢	٤	٣٠,٨	١٩	١٦
	متوسط	٧٥	٧٠,٨	٨	٦١,٥	٨٣	٦٩,٧
	مرتفع	١٦	١٥,١	١	٧,٧	١٧	١٤,٣
البعد الثاني	منخفض	٤٧	٤٤,٣	٨	٦١,٥	٥٥	٤٦,٢
	متوسط	٤٨	٤٥,٣	٤	٣٠,٨	٥٢	٤٣,٧
	مرتفع	١٩	١٠,٤	١	٧,٧	١٢	١٠,١
البعد الثالث	منخفض	٣٦	٣٤	٦	٤٦,٢	٤٢	٣٥,٣
	متوسط	٦٠	٥٦,٦	٦	٤٦,٢	٦٦	٥٥,٥
	مرتفع	١٠	٩,٤	١	٧,٧	١١	٩,٢
البعد الرابع	منخفض	١٤	١٣,٣	٣	٢٣,١	١٧	١٤,٤
	متوسط	٨٨	٨٣,٨	٩	٦٩,٥	٩٧	٨٢,٢
	مرتفع	٣	٢,٩	١	٧,٧	٤	٣,٤
البعد الكلي	منخفض	١٢	١١,٤	٣	٢٣,١	١٥	١٢,٧
	متوسط	٨٠	٧٦,٢	٩	٦٩,٢	٨٩	٧٥,٤
	مرتفع	١٣	١٢,٤	١	٧,٧	١٤	١١,٩

فيما يتصل بحجم التعرض وعلاقته بمستوى الاستجابات تبين أن المستويات المتوسطة في الاستجابة هي التي تتعرض بنسب متوسطة من حيث مدى تعرضهم للدراما بدرجة متوسطة في البعد الأول، وقد تبين أن نوى التعرض الكثيف لا تختلف عن نوى التعرض الخفيف والمتوسط في الأبعاد الفرعية للمقياس وأن كانت العلاقة غير دالة إحصائياً.

وفي البعد الثاني فقد تقاربت مستويات الذين يتعرضون بشكل خفيف والذين يتعرضون بشكل متوسط وكثيف.

وفي البعد الثالث تبين أن الذين يتعرضون للدراما تزيد نسبتهم بدرجة ملحوظة في مستوى الدرجات المتوسطة على المقياس أي أن التعرض الكثيف له علاقة بالموافقة المتوسطة على بنود البعد الثالث الخاص بالعنف بين الآباء والأبناء.

وفي البعد الرابع حقق المبحوثون الذين يتعرضون للدراما بشكل مكثف درجات متوسطة بنسب أعلى من الذين يتعرضون بشكل متوسط وخفيف، بما يعنى ارتباط التعرض الكثيف والمتوسط بدرجات متوسطة على أسباب العنف الأسري في مصر.

وفي البعد الكلي للمقياس سجل الذين حصلوا على درجات متوسطة نسب عالية بين فئات التعرض الثلاث وإن كان نوى التعرض المتوسط هم الأعلى نسبة.

ج/ علاقة الاستجابة لأبعاد المقياس بالمشغول الذي يتعرض له المشغولون :

جدول رقم (١١)

يبين علاقة الاستجابة للمقياس بالتعرض لأنواع معينة من المواد التليفزيونية

أبعاد المقياس		مضمون متنوع		الدراما فقط		إجمالي	
		ك	%	ك	%	ك	%
البعد الأول	منخفض	١١	١٩	١٧	٢٧,٤	٢٨	٢٢,٢
	متوسط	٤٢	٧٢,٤	٢٥	٥٦,٥	٧٧	٦٤,٢
	مرتفع	٥	٨,٦	١٠	١٦,١	١٥	١٢,٥
البعد الثاني	منخفض	٢٣	٣٩,٧	٢١	٤١,٢	٤٤	٤٠,٤
	متوسط	٢٥	٤٣,١	٢٤	٤٧	٤٩	٤٥
	مرتفع	١٠	١٧,٢	٦	١١,٨	١٦	١٤,٧
البعد الثالث	منخفض	٢٢	٣٧,٩	١٦	٣١,٤	٣٨	٣٤,٩
	متوسط	٣٠	٥١,٧	٢٠	٥٨,٨	٦٠	٥٥
	مرتفع	٦	١٠,٣	٥	٩,٨	١١	١٠,١
البعد الرابع	منخفض	٦	١٠,٣	٩	١٨	١٥	١٣,٨
	متوسط	٥١	٨٧,٩	٣٩	٧٨	٨٠	٨٢,٦
	مرتفع	١	١,٧	٢	٤	٣	٢,٦
البعد الكلي	منخفض	٨	١٢,١	٧	١٤	١٥	١٣,٨
	متوسط	٤٥	٧٧,٦	٣٦	٧٢	٨١	٧٤,٣
	مرتفع	٦	١٠,٣	٧	١٤	١٣	١١,٩

بالنسبة للبعد الأول : يوضح الجدول السابق أن الذين يشاهدون مضمونا متنوعا ترتبط زيادة نسبتهم بمستوى منخفض ومتوسط من الدرجات على مقياس العنف الأسري وأن كان المستوى المرتفع نسبته أكثر بين من يشاهدون مضمونا دراميا فقط ولكنه ارتباط غير دال إحصائيا.

وفي البعد الثاني ترتفع نسب الذين يشاهدون الدراما فقط في المستويين المتوسط والمنخفض. وفي البعد الثالث ترتفع نسب الذين يشاهدون الدراما فقط في المستوى المرتفع.

وبشكل عام فإن الدراما وحدها أو أى شكل لا يحدث تأثيره بشكل منعزل ولكن المضمون التليفزيونى كله يرسخ هذه الاتجاهات نحو ظاهرة العنف الأسرى.

د/ علاقة الاستجابة لأبعاد المقياس بكيفية التعرض :

جدول رقم (١٢)

يبين علاقة الاستجابة للمقياس بكيفية التعرض

إجمالي		التعرض الاجتماعى		التعرض منفرداً		أبعاد المقياس	
%	ك	%	ك	%	ك		
١٦,٧	٢٠	١٧,٦	١٨	١١,١	٢	منخفض	البعد الأول
٦٩,٢	٨٣	٦٦,٧	٦٨	٨٣,٢	١٥	متوسط	
١٤,١	١٧	١٥,٧	١٦	٥,٦	١	مرتفع	
٤٦,٧	٥٦	٤٨	٤٩	٣٨,٩	٧	منخفض	البعد الثانى
٤٣,٣	٥٢	٤٣,١	٤٤	٤٤,٤	٨	متوسط	
١٠	١٢	٨,٨	٩	١٦,٧	٣	مرتفع	
٣٥,٨	٤٣	٣٢,٣	٣٣	٥٥,٦	١٠	منخفض	البعد الثالث
٥٥	٦٦	٥٨,٨	٦٠	٣٣,٣	٦	متوسط	
٩,٢	١١	٨,٨	٩	١١,١	٢	مرتفع	
١٤,٢	١٧	١٥,٧	١٦	٥,٦٨	١	منخفض	البعد الرابع
٨١,٧	٩٨	٨٠,٤	٨٢	٨,٩	١٦	متوسط	
٣,٣	٤	٢,٩	٣	٥,٦	١	مرتفع	
١٢,٥	١٥	١٣,٧	١٤	٥,٦	١	منخفض	البعد الكلى
٧٥	٩٠	٧٥,٥	٧٧	٧٢,٢	١٣	متوسط	
٢٠	٢٤	٩,٨	١٠	٢٢,٢	١٤	مرتفع	

يرتبط التعرض فى مناخ اجتماعى بمستويات منخفضة فى أبعاد المقياس أى أنه كلما شاهد الزوج أو الزوجة التليفزيون والدراما فى جو أسرى كلما كانت اتجاهاتهم تميل لرفض شيوخ العنف الأسرى وكلما ساد نمط التعرض الفردى بين المبحوثين وعددهم (١٨ مبحوثاً) كلما ارتبط بدرجات متوسطة أو مرتفعة أى يعيل إلى الموافقة

على شمول مظاهر العنف كما يوضحها المقياس الذي أعده الباحث للتعبير عن الاتجاهات نحو الظاهرة.

هـ/ علاقة الاستجابة لأبعاد المقياس بنوعية الدراما التي يتعرض لها المبحوث :

جدول رقم (١٣)

يبين علاقة الاستجابة للمقياس بالتعرض لنوعية الدراما

أبعاد المقياس		دراما بوليسية		اجتماعية		دينية وتاريخية		إجمالي	
		ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
البعد الأول	منخفض	٢	٢٠	١١	١٢,٩	٢	١٦	١٥	١٦
	متوسط	٨	٨٠	٦١	٧١,٨	٧	٥٨,٣	٧٦	٧١
	مرتفع	-	-	١٢	١٥,٣	٢	٢٥	١٦	١٥
البعد الثاني	منخفض	٧	٧٠	٢٣	٢٨,٨	٨	٦٦,٧	٤٨	٤٤,٩
	متوسط	٢	٢٠	٤٢	٤٩,٤	٤	٣٣,٣	٤٨	٤٤,٩
	مرتفع	١	١٠	١٠	١١,٨	-	-	١١	١٠,٣
البعد الثالث	منخفض	٧	٧٠	٢٣	٢٧,١	٧	٥٨,٣	٢٧	٢٤,٦
	متوسط	٢	٢٠	٥٢	٦٢,٤	٥	٤١,٧	٦٠	٥٦
	مرتفع	١	١٠	٩	١٠,٦	-	-	١٠	٩,٤
البعد الرابع	منخفض	-	-	١١	١٣,٣	٣	٢٥	١٤	١٣,٣
	متوسط	١٠	١٠	٧٠	٨٤,٣	٩	٧٥	٨٩	٨٤,٨
	مرتفع	-	-	٢	٢,٤	-	-	٢	١,٩
البعد الكلي	منخفض	٢	٢٠	٨	٩,٥	٢	١٦,٧	١٢	١١,٣
	متوسط	٧	٧٠	٦٤	٧٦,٢	١٠	٨٣,٣	٨١	٧٦,٤
	مرتفع	١	١٠	١٢	١٤,٣	-	-	١٣	١٢,٣

تدل البيانات على أن التعرض لنوع الدراما البوليسية أكثر ارتباطاً بمستويات منخفضة ومتوسطة من الاستجابة للمقياس، بينما يرتبط التعرض للدراما الاجتماعية بمستويات متوسطة ومرتفعة على المقياس، وكان التعرض للدراما الدينية والتاريخية أكثر ارتباطاً بمستويات منخفضة ومتوسطة من الدرجات على مقياس العنف الأسري.

وهذا يعني أن الدراما الاجتماعية والتاريخية والدينية ترتبط باتجاهات توافق على أن هناك مظاهر واضحة للعنف الأسري بدرجة أكبر من التعرض للدراما البوليسية المعتمدة على المطاردات أكثر من تعميق القيم والسلوك الاجتماعي ولأن الدراما الاجتماعية والدينية تميل إلى معالجة أوضاع الأسرة بشكل متعمق يساعد على ترسيخ اتجاهات حول الظاهرة.

و/ الولا للدراما وعلاقته بالاستجابة لأبعاد المقياس :

جدول رقم (١٤)

يبين علاقة الاستجابة للمقياس بمتغيرات الدراسة

أبعاد المقياس		ولاء		الدراما في أي		إجمالي	
		لقناة معينة		قناة			
		ك	%	ك	%	ك	%
البعد الأول	منخفض	٦	٢١,٤	١٤	١٥,٢	٢٠	١٦,٧
	متوسط	١٦	٥٧,١	٦٧	٧٢,٨	٨٣	٦٩,٢
	مرتفع	٦	٢١,٤	١١	١٢	١٧	١٤,٢
البعد الثاني	منخفض	١١	٢٨,٨	٤٨	٥٢,٢	٥٩	٤٩,٢
	متوسط	١٧	٦٠,٧	٢٥	٢٨	٥٢	٤٣,٣
	مرتفع	٣	١٠,٧	٩	٩,٨	١٢	١٠
البعد الثالث	منخفض	٨	٢٨,٦	٢٥	٢٨	٤٣	٣٥,٨
	متوسط	١٧	٦٠,٧	٤٩	٥٣,٣	٦٦	٥٥
	مرتفع	٣	١٠,٧	٨	٨,٧	١١	٩,٢
البعد الرابع	منخفض	٤	١٤,٣	١٣	١٤,١	١٧	١٤,٢
	متوسط	٢٣	٨٢,١	٧٥	٨١,٥	٩٨	٨١,٧
	مرتفع	١	٣,٦	٣	٣,٣	٤	٣,٣
البعد الكلي	منخفض	٢	٧,١	١٣	١٤,٣	١٥	١٢,٦
	متوسط	٢٢	٧٨,٦	٦٨	٧٤,٧	٩٠	٧٥,٦
	مرتفع	٤	١٤,٣	١٠	١١	١٤	١١,٨

يرتبط الولاء لقناة معينة بمستويات منخفضة ومتوسطة أكثر، وكذلك يرتبط الولاء للدراما يساعد على تكوين اتجاهات لا تؤمن بتفاسم الظاهرة وأن اعترفت بوجودها.

أهم النتائج واختبار الفروض:

إن أهم نتائج البحث هي أن متغير التعرض له ارتباط بالاتجاهات نحو ظاهرة العنف الأسري في مصر ولكن بشكل متوسط وفي الوقت نفسه هذه الارتباطات ليست ذات دلالة إحصائية، وقد تبين أن النوع والحالة الزوجية (حياة زوجية طبيعية / انفصال) وعدد الأبناء، هي المتغيرات ذات التأثير على اختلاف وتباين الإجابات على مقياس العنف الأسري (استخدام الباحث اختباري (T-TEST) (F-TEST) لمعرفة تأثير متغيرات الدراسة على تباين الاستجابات لبنود المقياس)، بينما لم يكن لمتغير التعرض ارتباط ذو دلالة معنوية، وأن اختلاف استجابات المبحوثين لمقياس العنف الأسري لصالح الإناث وذوي العدد الأكبر من الأبناء، وذوي العلاقات غير الطبيعية في الزواج قد يفسره طبيعة المرأة وشدة تأثرها بمظاهر العنف الأسري بحكم ما ينشر في وسائل الإعلام عن تعرض المرأة للعنف وكونها ضحية في كثير من الأحداث، وبخاصة إذا لم تكن علاقات الزوجية علاقات طبيعية، كما أن عدد الأبناء الكبير قد يكون سببا في تكوين اتجاهات موافقة على مظاهر العنف الأسري.

وهكذا لم تثبت صحة الفرض الأول وقد ثبتت صحة الفرض الثاني القائل بوجود علاقة ارتباطية بين المتغيرات الديموغرافية وبين الاتجاهات نحو ظاهرة العنف الأسري وعلى ذلك يصبح الفرض الثالث غير صحيح أيضا لأن المتغيرات الديموغرافية هي المتغيرات الحاكمة هي المتغيرات الديموغرافية بل وليس كل المتغيرات الديموغرافية فلم يثبت أن مستوى التعليم وعدد سنوات الزواج ومحل النشأة والإقامة تأثير على استجابات المبحوثين وهو ما يلفت النظر إلى ضرورة بحث متغيرات جديدة قد تكون متصلة بخبرة العنف داخل الأسرة مثل أنماط المشاهدة الأسرية ونمط الوالدية وطرق التنشئة وأنماط الاتصال الشخصي بين أعضاء الأسرة.

- العنف الأسرى ظاهرة في المجتمعات على اختلافها مع التباين في درجة ونوع
الخطورة المترتبة عليه، وهو سلوك متعلم داخل الأسرة ومن وسائل الإعلام ومن
الخبرة المباشرة مع العنف.

- أن لوسائل الإعلام علاقة وثيقة بظاهرة العنف الأسرى، وعليها تقع مسئولية
كبيرة سواء بنقل أنماط ومظاهر العنف الأسرى إلى الوعي العام، أو بنقل نتائج
البحوث ونشاط المنظمات العاملة في مجال منع العنف الأسرى وتعبئة الأفراد
والحكومات ضد هذه الممارسات، وسن قوانين لمساعدة ضحايا العنف الأسرى.

- أنه مع التغيرات المعاصرة وتأثيرها على الأسرة، وبروز عوامل تضعف المعايير
الأخلاقية التي تعد الرادع الأول ضد ممارسة العنف الأسرى، لا يزال المجتمع
المصري يحتفظ بخصوصية اجتماعية تميل إلى رفض العنف باعتباره أسلوبا
لحل الخلافات الأسرية، وأن كان هناك اعتراف بوجود مناخ جديد ينمى بعض
السلوكيات المخالفة لمعايير المجتمع القائمة على التآلف والمودة والرحمة بين
أفراد.

- هناك محدودية في عائد البحوث المسحية والتحليلية فيما يتصل بتوفير بيانات
كافية ودقيقة عن واقع العنف الأسرى في مصر، وهذا يتطلب مزيدا من البحوث،
واستخدام مناهج أكثر قدرة على التعامل مع الظاهرة في خصوصيتها، وأنواع
بحثية مرنة تسمح بسبر غور الموضوع دون مساس بأخلاقيات البحث العلمي.

- ضرورة التعامل مع الأسرة كوحدة اجتماعية ووحدة للبحث والتحليل فيما يتصل
بضحايا الأسرة وعدم اختزالها في فرد واحد يمثلها كالأب أو الأم أو الابن
ودراسة السياق الأسرى بشكل متكامل.

وبعد فإن نتائج هذا البحث تظل محدودة بعينته ومنهجيته وتوقيته وأنواع جمع
البيانات والإطار النظري الذي تحلل في ضوء النتائج..

مشاهدة التلفيزيون كأحد العوامل المفسرة للمشكلات السلوكية لدى الأطفال

مقدمة

تزايد الدراسات العلمية التي تؤكد على أهمية التلفيزيون وتأثيره في المجتمع الإنساني ، ومع تطور تكنولوجيا الاتصال الفضائي وظهور نظم الاتصال الرقمية تزايدت فرص الصورة في الانتشار ، ولم يعد التلفيزيون مجرد وسيلة تتم مشاهدتها ولكنه أصبح نوعاً من الاتصال الذي تتدفق رسائله باستمرار وهي رسائل سهلة الفهم وتمتلك القدرة على جذب الانتباه مما أكسبها قيمة اجتماعية عالية ، ونظراً لهذه القيمة فإن الوقت المنقضي في مشاهدة التلفيزيون إنما يشكل فائدة حقيقية ولم يعد مجرد وقت ضائع (Comstock & Scharrer, 1999) وقد صاحب تطور تكنولوجيا التلفيزيون وانتشاره أن تطورت أساليبه للتأثير في سلوك الجماهير المستهدفة ، فالإعلان التلفيزيوني لم يعد تركيزه على الإقناع كما كان في السابق ، وإنما أصبح يعمل من أجل (أن يبيع) مباشرة وذلك بخلق شخصيات انفعالية تجسد الإعجاب بالفن الإعلاني والمنتج على السواء . كما أن الأخبار التلفيزونية لم تعد مجرد نقل أو تصوير للأحداث من اتجاه واحد ، وإنما أصبحت أداة للتفاعل السريع والمتنوع بين المشاهد وبيئة كاملة تجمع الأحداث والأشخاص والأزمنة والأماكن والأسباب والظروف والملابس وبوجهات نظر متعددة ، والدراما التلفيزونية أصبحت تجسد الحقيقة المتلفزة وتعكس دور التلفيزيون كأداة للإنتاج والاستهلاك المتواصل ، فمع

تطور مقومات الإنتاج الفني وزيادة القوى البشرية المؤهلة فنياً، وتزايد فرص وإغراءات تسويق واستيراد المادة الدرامية أصبح التلفزيون صناعة معقدة تنقل واقعاً اجتماعياً متغيراً برؤى فنية متعددة وتجديدات مستمرة ، أما البرامج التلفزيونية ، فلم يعد أمامها - في ظروف التطور - إلا أن تمتلك مقومات المنافسة وتطويع هذه المقومات لتحقيق أقصى مستوى ممكن من التنوع والحرفية والتفاعل مع الواقع المجتمعي المتغير بكافة أبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

وعلى الرغم من أن تطور تكنولوجيا الاتصال أتاح وسائط متعددة ، اعتقد البعض أنها تنافس التلفزيون وتشكل بديلاً له ، إلا أن هذا الاعتقاد لم يكن صحيحاً ، فالتقنيات الجديدة بأشكالها المختلفة وإن كانت تشكل بعض المنافسة للتلفزيون ، إلا أنها لها مزاياها واستخداماتها الخاصة التي تختلف في العديد من مظاهرها عن استخدامات التلفزيون ، على سبيل المثال ، فإن الشبكة الدولية للمعلومات (The world wide web (www) يستخدمها البعض لأغراض مشابهة لتلك التي يستخدم من أجلها التلفزيون - كالتسليه وقضاء وقت الفراغ ، والاسترخاء ، والحصول على المعلومات - لكن تبين أن هذه الشبكة لا تتيح الاسترخاء أثناء قضاء الوقت كما هو الحال عند مشاهدة التلفزيون ، ولا يمكنها أن تشكل بديلاً له (Ferguson & Perse 2000) .

ونظراً لأهمية التلفزيون كوسيلة جماهيرية في الإعلام ونشر الثقافة والترفيه فإنه لاقى اهتماماً كثيفاً من البحث العلمي ، ومن مظاهر هذا الاهتمام تلك الدراسات العديدة التي تناولت دور التلفزيون وتأثيره على سلوك الجمهور المستهدف وذلك من جوانب متعددة. في هذا الإطار نجد اهتماماً ملحوظاً من الأكاديميين بدراسة علاقة الطفل بالتلفزيون باعتباره وسيلة تجذب انتباه الطفل وتتيح له رسائل متجددة تحمل المعلومات والقيم والاتجاهات

والمعايير الاجتماعية ، وعلى المستوى النظري فإن خطط وبرامج التلفزيون تهدف إلى إحداث أثر إيجابي في شخصية الطفل بما يتفق ومتطلبات التنشئة الاجتماعية حسب ثقافة المجتمع ، فالتلفزيون قد يستهدف مثلاً التأثير في الناشئة بحيث يغرس فيهم حب الوطن واحترام الأديان ، واحترام الآخرين ، والتزام الصدق ، والبر بالوالدين والمساواة ، وغير ذلك من القيم والسلوكيات المرغوبة ، إن ذلك قد يتحقق بدرجة معينة وذلك حسب العوامل أو الظروف التي تتفاعل في تحقيق الأثر المطلوب . كما أن تأثير التلفزيون على سلوك الأطفال وإن كان إيجابياً في بعض الجوانب ، إلا أن التلفزيون - بالتفاعل مع عوامل أخرى - يمكن أن يحدث تأثيراً سلبياً على سلوك الأطفال وشخصياتهم . في هذا الإطار وجدنا دراسات عديدة تتناول أثر العنف المتلفز على الطفل وما يؤدي إليه هذا العنف من سلوكيات غير مقبولة كالعدوانية ، والمخاوف والنزعة التدميرية مع الأخذ في الاعتبار وجود عوامل وسيطة تدعم هذا الأثر السلبي للتلفزيون (Johnson et al, 1991)

مشكلة الدراسة :

إن اهتمام التلفزيون المصري بالطفل يعكس اهتمام الدولة والمجتمع بشؤون الطفولة باعتبار أن أطفال اليوم هم رجال ونساء الغد ، كما أنهم ثروة الحاضر وأمل المستقبل . ومن المنظور الكمي ، فإن الأطفال يشكلون ثلثاً عديداً كبيراً في المجتمع المصري . وحسب إحصاء ١٩٩٦ ، فإن عدد السكان في مصر يبلغ ٥٩.٣ مليون نسمة تقريباً ، منهم (٨٩٣٧٢٢٤) طفل أقل من ست سنوات ، كما أن الأطفال في الفئة العمرية من ست إلى أقل من عشر سنوات يبلغ عددهم (٥٤٢١٣٢١) أي أن مجمل الأطفال الأقل من عشر سنوات يبلغ عددهم حوالي ١٤.٣ مليون طفل ، أي ما يعادل ٢٤.٢% من مجمل السكان (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، يونيو ، ١٩٩٨ ، ص ٣٢)

ومن الحقائق التي باتت معرفة أن التلفزيون من أهم الوسائط الجماهيرية التي تجذب الأطفال بوجه عام ، وتوضح التقارير التي قامت جهات متخصصة ، وكذلك الدراسات الأكاديمية التي قام بها باحثون في مجال الاتصال وغيره من مجالات العلوم الاجتماعية أهمية دور التلفزيون في سلوك الأطفال ، ويبدو تعلق الأطفال بالتلفزيون واضحاً بدلالة تزايد معدل مشاهدتهم لما يقدمه من مواد وبرامج متنوعة ، وحسب دراسة العبد (١٩٨٨) والتي أجريت على عينة من الأطفال في الريف والحضر ، كانت نسبة مشاهدة التلفزيون ٩٥,٧٥% وعلى الرغم من الارتفاع الواضح لهذه النسبة إلا أن مشاهدة التلفزيون حالياً قد تزايدت على الأرجح - لدرجة أنه يصعب القول بأنه يوجد طفل لا يشاهد التلفزيون ، فجميع الأطفال المصريين - على الأقل في المناطق الحضرية يشاهدون التلفزيون بدرجة أو بأخرى ، خاصة مع تزايد عدد قنوات التلفزيون وتزايد ساعات البث للقنوات التلفزيونية المصرية ، بالإضافة إلى تزايد إمكانات استقبال قنوات من القنوات التلفزيونية العربية والأجنبية .

هذا التنوع والتعدد يتيح فرصة أفضل للمشاهدين ، كما أنه يتيح إمكانية الاختيار من بدائل متعددة ، فالتنوع في حد ذاته مسألة ضرورية حتى يصبح الاختيار ممكناً وتأكيداً لهذه الفكرة - الاختيار - ظهر النموذج المعروف بنموذج المشاهدة الاختيارية ، وينطلق هذا النموذج من فكرة أن الفرد يشاهد التلفزيون اختيارياً بما يقابل إشباع حاجة معينة لديه ، وطالما أن المشاهدة سلوك اختياري - شأنها شأن أي سلوك آخر - فإن المشاهد يتحمل مسؤولية اختياره (Shachar & Emerson, 2000) ، هذه الفكرة - الاختيار والمسؤولية تركز على نظرية الاختيار كنظرية تفسر السلوك الإنساني .

فيما يخص الطفل فإن فرص الاختيارات السليم تتزايد عندما تتنوع القنوات التلفزيونية وكذلك عندما تتزايد ساعات البث ، إن ذلك يتيح ثراء في مصادر المعرفة والترفيه ، وبالتالي تتزايد فرص اكتساب القيم والاتجاهات المواتية ، لكنه في الوقت نفسه يشكل عامل جذب أو مصدر استقطاب قوي لبعض الأطفال بحيث يندمجون في مشاهدة للتلفزيون بدرجة زائدة عن الحد ، وقد يكون ذلك على حساب جوانب أساسية أخرى كالدراسة والخبرات الاجتماعية الحقيقية بما فيها من قيم ومعايير تضبط السلوك في الاتجاه المقبول اجتماعيا والذي يتفق ومتطلبات النمو السليم لشخصية الطفل ، فإذا كانت اختيارات الطفل خاطئة فمن الذي يتحمل مسؤولية هذه الاختيارات ؟ لاشك ان هذه المسؤولية تتحملها الأسرة وكل القائمين على الرعاية ، أما الانعكاسات السلبية لهذه الاختيارات الخاطئة فإنها ستطول الطفل و الأسرة والمجتمع معاً .

من هذا المنطلق وفي ظل تزايد قدرات التلفزيون على استقطاب الأطفال واحتوائهم لا بد من تلمس كافة الوسائل التي تضمن استثمار التلفزيون وتعظيم تأثيره الإيجابي في سلوك الطفل مع تلاشي للتأثير السلبي أو ضبطه في أضيق نطاق . إن ذلك يتطلب الرصد الدقيق لأهم مظاهر التأثير السلبي للتلفزيون على الطفل وكذلك رصد العوامل أو المتغيرات ذات العلاقة . في هذا الإطار تأتي الدراسة الحالية والتي تسعى إلى بحث المشكلة التي تلخصها التساؤلات الآتية:

- إلى أي حد تختلف درجة المشكلات السلوكية لدى الأطفال باختلاف مستوى مشاهدتهم للتلفزيون؟
- ما هي المتغيرات أو العوامل الوسيطة بين مستوى مشاهدة التلفزيون والمشكلات السلوكية لدى الأطفال؟

- هل يؤدي التفاعل بين مستوى مشاهدة التليفزيون والمتغيرات الوسيطة إلى وجود مشكلات سلوكية لدى الأطفال حسب المعايير الإكلينيكية المعتمدة في تشخيص هذه المشكلات ؟

تعريف المشكلات السلوكية لدى الأطفال:

تتنوع التعريفات التي قدمها المتخصصون لمصطلح (المشكلات السلوكية لدى الأطفال) غير أن التعريف الأكثر شيوعاً لهذا المصطلح هو أنه يشير إلى مجموعة الاضطرابات السيكاترية التي لا تقترب على أمراض أو عيوب بدنية أو اضطرابات تشنجية، وليست جزءاً من ذهان أو عصاب محدد، وتعد اضطرابات السلوك الأولية عند الأطفال والمراهقين من مشاكل نمو الشخصية، وكثيراً ما تكون استجابة باثولوجية لبيئة غير مواتية، ومن أهم علامات السلوك المشكل (Problematic) أنه يكون غير متناسب مع عمر الطفل ونموه، كما يظهر بصورة متكررة ومستديمة ويقاوم التغيير، ويعرقل نمو الطفل، ومن علامات السلوك المشكل عند الأطفال أيضاً، أنه يجعل الطفل يعاني ويعجز عن التوافق مع الآخرين وعن تحصيل الإشباع والمتعة في حياته، ويعوق استمرار نمو الطفل وتقدمه نحو النضج (الحفني، ١٩٩٢، ص ١٥٥).

وهناك تصنيفات متعددة للمشكلات السلوكية لدى الأطفال من أبرزها تصنيف هذه المشكلات تحت خمسة مجموعات هي: السلوك غير الناضج، السلوك المرتبط بعدم الشعور بالأمن، اضطرابات العادات، مشكلات العلاقة مع الرفاق، السلوكيات المضادة للمجتمع، وبعض المشكلات الأخرى التي لا تندرج تحت أي من هذه التصنيفات (شيفر & ميلمان، ١٩٨٩، ص ١-٣)، وفي إطار هذه التصنيفات فإن المشكلات السلوكية لدى الأطفال تشمل: النشاط الزائد، القهرية، التشتت وضعف الانتباه، التهريج، أحلام اليقظة،

الفضولية وعدم الترتيب، سوء استخدام الوقت، الأنانية والتمركز حول الذات، والاعتمادية الزائدة. كما تشمل القلق والخوف وتدني إعتبار الذات، والإكتئاب وإيذاء الذات، الحساسية الزائدة للنقد، الخجل، الكمال الزائد. بالإضافة إلى ذلك فإن المشكلات السلوكية لدى الأطفال تتسحب على التلعثم، اللزمات، مشكلات الأكل، اضطرابات النوم، التبول اللاإرادي، التبرز اللاإرادي، قضم الأظافر، مص الإبهام، وتشمل أيضاً: العدوانية، الصحبة السيئة، القسوة، العزلة الاجتماعية، التنافس بين الأشقاء. كما أن السلوكيات غير الاجتماعية أو المضادة للمجتمع تندرج أيضاً تحت المشكلات السلوكية، ومن هذه السلوكيات: نوبات الغضب، العصيان، السرقة، الغش، الكذب، الكلام البذيء، التخريب، التحيز، الهروب من البيت أو من المدرسة، إشعال الحرائق..

هكذا يتضح أن المشكلات السلوكية لدى الأطفال تتنوع بدرجة ملحوظة، وهناك العديد من التصنيفات التي قدمها العلماء النفسيون لهذه المشكلات، مع اختلاف معايير التصنيف.

الإطار النظري للدراسة:

ما الذي تطرحه أدبيات الاتصال بشأن تفسير تأثير التلفزيون على سلوك الأطفال ؟ لقد ظهر العديد من النظريات والدراسات في هذا الإطار ، بما يمكن الاستفادة منه في حدود ما له دلالة مباشرة لموضوع الدراسة الحالية ، فحسب نظرية التعلم الاجتماعي Social Learning Theory يقوم الفرد (بنمذجة) العديد من السلوكيات التي يلاحظها في وسائل الإعلام، ويتدخل في هذا الموضوع مجموعة من العمليات العقلية والحركية المعقدة والتي تشمل الإنتباه، التذكر، إعادة التكرار الحركي، وكذلك العمليات الحافزية، وبموجب ذلك فإن وسائل الاتصال المرئية تلعب دوراً كبيراً في التعلم لأنها توسع

نطاق الملاحظة حيث يشاهد الفرد من خلالها أحداثاً لم يكن يشاهدها دون التعرض لتلك الوسائل، ومن هنا تعتبر وسائل الاتصال المرئية مصدراً أولياً للتنشئة الاجتماعية، وعندما تتم الملاحظة تأتي أول خطوة في التعلم وهي الانتباه للحدث، وعلى الرغم من أن الفرد ينتبه للكثير من المثيرات إلا أن بعضها فقط هو الذي يهتم به ويدرك دلالاته بدقة ثم تأتي بعد ذلك عملية التذكر ثم إعادة تمثيل أنماط الاستجابة في صورة رموز، ثم بعد ذلك في صورة سلوكيات، ويتدخل في ذلك الكثير من العوامل الشخصية والاجتماعية، وقد استخدمت نظرية التعلم الاجتماعي كإطار للعديد من الدراسات المعنية بتأثير وسائل الاتصال، من ذلك مثلاً ما إذا كان الأطفال يتعلمون السلوك العدواني من هذه الوسائل، التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالجنس، تعلم السمات الاجتماعية من خلال وسائل الاتصال (محمد & مكي، ١٩٩٧، ص ١٢٠ - ١٢٤).

النظرية الثانية التي استخدمت كإطار لدراسات تعني بتأثير وسائل الاتصال هي نظرية الغرس Cultivation Theory ومن بين متضمنات هذه النظرية أن الدلالة التاريخية لظهور وسائل الاتصال ليس مصدرها الصفة الجماهيرية للمجتمع وإنما مصدرها خلق الأساليب المشتركة بين الناس فيما يتعلق بالاختيارات الثقافية ومشاهدة الأحداث من خلال التكنولوجيا ووسائل النظم الوسيطة باعتبارها الوسائل المشتركة والشائعة لرؤية العالم وفهمه، ومن بين الاهتمامات الأساسية لنظرية الغرس تحديد الدرجة التي يؤثر بها مضمون التلفزيون على الطريقة التي يكون بها الفرد واقعه الذاتي، وتؤكد هذه النظرية صراحة على مقولة أنه كلما قضى الفرد وقتاً أطول في عالم التلفزيون كانت تصوراته للواقع المحيط مرتبطة أكثر بما يقدمه التلفزيون، أما الذين يشاهدون التلفزيون قليلاً أو لا يشاهدونه فإن تصوراتهم عن واقعهم الذاتي ترتبط بالوسط المحيط بهم، بمعنى أن واقع هذا الوسط هو الذي يشكل

تصوراتهم. وعلى الرغم من أن تأثير التلفزيون ظل محور اهتمام نظرية الغرس لمدة طويلة إلا أن هذه النظرية طورت فروضاً بشأن تأثير وسائل الاتصال الأخرى، ويعتمد أنصار نظرية الغرس في طرح مقولاتهم على نتائج التعرض التراكمي لوسائل الإعلام ويقسمون الآثار بعيدة المدى للاتصال مستخدمين التصميمات البحثية الميدانية والمقابلات مع عينات متنوعة من الجمهور، ويهتم الكثير من هذه البحوث بمعرفة التعرض للتلفزيون ما إذا كان كثيفاً أو قليلاً وكذلك على الغرس ممثلاً في تقدير اعتقادات الفرد للواقع المحيط به نتيجة تعرضه للتلفزيون (محمد & مكي، ١٩٩٧، ص ١٢٦).

في إطار النظريات التي تفسر أثر التلفزيون على الطفل ظهرت دراسات متنوعة توضح أن التلفزيون يؤثر على سلوك الأطفال ليس فقط من حيث الأفعال والتصرفات الظاهرة ولكن أيضاً من حيث نمو اللغة والتفكير والإدراك والانفعالات (Roberts & Blades, 2000) وهناك دراسات تجريبية توصلت إلى أن تأثير التلفزيون على الأطفال يبدأ منذ المرحلة العمرية بين عام وعام ونصف، حيث تبين أن الأطفال يقدون بعض الأفعال البسيطة التي يشاهدونها في التلفزيون، وينمذجونها في حدود قدراتهم الحركية، وأن هذه النمذجة ترتبط بنمو الإدراك والانتباه وكذلك بالنمو المعرفي لدى الأطفال (Barr & Hayne, 1999) وفي سياق تناول تأثير التلفزيون على الأطفال، هناك بعض البحوث الحديثة التي توصلت إلى دلالة أثر التلفزيون في النمو اللغوي للطفل، فالأطفال في سنواتهم الأولى (قبل المدرسة) يكتسبون الكثير من مظاهر التعبير اللفظي وغير اللفظي من خلال مشاهدة التلفزيون (Coats et al 2000).

كما أن التلفزيون يتصدر وسائل الإعلام الأخرى من حيث التأثير في النمو المعرفي للطفل، فمن واقع دراسات أجريت على التلفزيون مقارنة بالوسائل

المطبوعة في اكتساب الطفل المعلومات والخبرات الاجتماعية تبين أن الأطفال يتعلمون من التلفزيون بدرجة أكبر من مما يتعلمون من المطبوعات مهما كانت هذه المطبوعة تناسب عمرهم (Walma et al 2000). وبجانب تأثير التلفزيون في النمو اللغوي والمعرفي للأطفال، فإنه يؤثر أيضاً في مداركاتهم بشأن الموضوعات والمواقف والخبرات الموجودة في البيئة المحيطة، وكذلك في تصوراتهم وأفكارهم بما ينعكس على نموهم الاجتماعي، إذ إن الأطفال يتفاعلون مع الآخرين ومع الواقع الاجتماعي المحيط عموماً بناء على ما يدركونه مباشرة أو من خلال وسائط معينة يأتي في مقدمتها التلفزيون (Singer, 1999).

كما أن إدراك الأطفال للمؤثرات التي تتاح لهم عبر التلفزيون ينعكس على إدراكهم للمثيرات الموجودة في الحياة الواقعية (Roberts & Blades, 2000) ويستخدم الطفل المعرفة التي يستقيها من الوسط المحيط في معالجة الموضوعات التي تعرض لها عبر الوسائط المختلفة خاصة التلفزيون، وترداد فعالية المعالجة إذا كانت المادة التلفزيونية منظمة ومعروضة بعناية (Low & Durkin, 2000)، وهكذا نجد التفاعل بين المدركات التي مصدرها الخبرة المباشرة والمدركات التي مصدرها التلفزيون.

وإذا كان التلفزيون يؤثر في شخصية وسلوك الطفل، فإنه يجدر التأكيد على أن هناك مؤثرات أخرى أساسية، بعضها يفوق التلفزيون، كالأُسرة وغيرها من الجماعات الأولية التي ينتمي إليها الطفل. كما أن تأثير التلفزيون ليس تأثيراً مطلقاً، وإنما هو تأثير نسبي ويختلف من طفل إلى آخر حسب عوامل شخصية وبيئية متفاعلة على درجة عالية من التعقيد، كما أن تأثير التلفزيون له أبعاده الإيجابية الملموسة، وإن كان له أبعاده السلبية التي لا يمكن تجاهلها، وسواء كان تأثير التلفزيون على سلوك الطفل إيجابياً أو سلبياً فإن ذلك لا يفسر بعامل واحد.

وقد حظيت الآثار السلبية للتلفزيون على الأطفال بأكثر الدراسات تكثيفاً ، يبدو ذلك واضحاً في البحوث التي تناولت العنف المتلفز وما يرتبط به من إثارة بعض مظاهر السلوك العدواني والمخاوف لدى الأطفال، وكذلك البحوث التي تناولت أثر الدراما التلفزيونية على بعض الجوانب الأخلاقية، بالإضافة إلى أثر التلفزيون بوجه عام في التحصيل الدراسي بل وعلى الصحة البدنية وما يرتبط بكل ذلك من مظاهر سلوكية سلبية، فيما يخص العنف المتلفز اهتمت بحوث الاتصال ، وكذلك البحوث النفسية والاجتماعية بدراسة هذه القضية من جوانب متعددة ، فهناك دراسات اهتمت ببحث أسباب إقبال الأطفال على مشاهدة العنف ، ومن أهم هذه الأسباب أن الأطفال يشاهدون العنف المتلفز لما يجدون فيه من تسلية وإثارة، وقد يندمجون في مشاهدة هذا العنف بسبب انتفاء الضوابط (Krcmar & Greene, 1999) ومن الآثار السلبية لمشاهدة العنف المتلفز بصورة متكررة، أنه قد يثير مخاوف الأطفال، كما أنه قد يستثير فيهم السلوك العدواني ، وهذا السلوك بدوره يفضي إلى مظاهر متعددة من السلوك المضاد للمجتمع (Comstock & Scharrer, 1999) وقد كرس مجموعة من الباحثين جهودهم لمناقشة أثر العنف المتلفز على الأطفال، وبعد مناقشة بليغة للعنف الذي تقدمه الوسائط الجماهيرية عموماً، يؤكدون أن التلفزيون يأتي في مقدمة المؤثرات التي يستقي منها الأطفال سلوك العنف، ويخلص الباحثون إلى التأكيد على أهمية الأدوار التي لا بد أن تقوم بها التنظيمات المعنية بالتنشئة والتربية باعتبارها عوامل وسيطة تقلل من تأثير العنف المتلفز على الأطفال، وبدون ذلك، فإن التلفزيون بعرضه المتكرر للعنف وتأثيره في الناشئة سيجعل للعنف الكلمة الأخيرة في حياة المجتمع (Jason et al, 1999).

وعادة ما يقترن العنف المتلفز بجرائم متعددة خاصة تلك التي تصورها الدراما التلفزيونية، وقد تبين أن إدراك الأطفال للجرائم السواردة بالمادة

الدرامية يتأثر بالبيئات أو الأماكن التي تحدث فيها هذه الجرائم، وتفيد الدراسة التي قام بها كل من سميث وويلسون (Smith & Wilson, 2000) أن الأطفال الأكبر سناً (بين عشر سنوات وإحدى عشرة سنة) تستثان مخاوفهم ويتصورون أنفسهم ضحايا للجرائم التي تعرضها المادة الفيلمية وذلك عندما يدرك الأطفال هذه الجرائم على أنها حدثت في المنطقة التي ينتمون إليها، غير أن مخاوف الأطفال من منظور علاقتها بمشاهدة التلفزيون لا تقتصر استثارها على مشاهدة العنف المتلفز، فقد تستثار هذه المخاوف جراء مشاهدة مواد أخرى لا تتضمن العنف، ويرجع ذلك إلى أن الطفل قد يفسر المحتوى أو الفكرة من منظور معين رغم أن هذا المحتوى بعيد تماماً عن العنف، إن أحد البرامج التلفزيونية الذي يناقش ضرورة الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة ويضم خبراء ومتخصصين، لا يتضمن عنفاً معروضاً على الشاشة، لكنه قد يستثير لدى بعض الأطفال تصورات معينة عن الجرائم والمجرمين والضحايا ... الخ، فليس غريباً أن تكون مشاهدة التلفزيون بحد ذاتها، خاصة إذا كانت كثيفة، عاملاً لإثارة مخاوف الأطفال، وقد تأكد ذلك من واقع إحدى الدراسات التي أجريت على عينة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٧ سنوات إلى ١٢ سنة (ن = ٣١٤) وتبين أن مشاهدة التلفزيون تستثير الخوف لدى ٣١% من هؤلاء الأطفال (Valkenburg et al 2000).

وكثيراً ما تتضمن الدراما التلفزيونية مشاهد تعتبر غير مقبول لأن يشاهدها الأطفال بسبب كونها لا تناسب أعمارهم بالإضافة إلى الاعتبارات الأخلاقية حسب معايير المجتمع، وعلى الرغم من أن الجمهور المستهدف من هذه الدراما هو جمهور الكبار، إلا أن الأطفال يشاهدونها وكثيراً ما يفهمون الجوانب الأخلاقية التي تتضمنها (Rsenkoetter, 1999) فإذا كانت المادة الدرامية تتضمن مشاهد جنسية معينة، فإن ذلك قد يكون له تأثير سلبي على

الطفل، لا شك أن الرقابة على المصنفات الفنية تقوم بدورها في (تنقية) المادة الدرامية قبل عرضها على الجمهور، لكن وعلى الرغم من هذا الدور تظل هناك مشاهد يعتبرها البعض غير لائقة، إن هذه الفكرة ليست موجودة في مصر فقط، أو في المجتمعات الشرقية فقط، وإنما موجودة حتى في أكثر المجتمعات تحراً "فالتلفزيون يزوج للاتجاهات والسلوكيات غير المناسبة حسب المعايير الأخلاقية لأنه يتيح معلومات جنسية للأطفال" (Kelley et al, 1999)

وعلى مستوى التحصيل الدراسي، فإن التلفزيون يتيح معلومات عامة، كما يتيح برامج تربية وتعليمية من شأنها مساعدة الأطفال و(الشباب) على التفوق، هذا أمر معروف ويدخل في عداد الوظيفة التربوية للتلفزيون، وعلى الرغم من ذلك فإن كثافة مشاهدة التلفزيون تنعكس سلباً على الأداء الدراسي فقد تبين أن الأطفال والمراهقين الذي يشاهدون التلفزيون بكثرة (كتيفو المشاهدة) يكون أدائهم أقل في التحصيل الدراسي، ومن أسباب ذلك أن قراء كبيراً من وقتهم الذي كان من المفترض قضاءه في القراءة والتعلم، يستم قضاؤه في مشاهدة التلفزيون (Comstock & Scharrer, 1999) بطبيعة الحال، فإن هناك برامج ومواد تلفزيونية من شأنها زيادة التحصيل الدراسي، كالبرامج التربوية والتعليمية كما سبقت الإشارة، بل إن هناك مواداً ترفيهية لا تؤثر سلباً على الأداء الدراسي فقد تبين مثلاً أن مشاهدة موسيقى الفيديو المصورة لا تعزقل التلاميذ عن أداء واجباتهم الدراسية أما مشاهدة العروض الأوبرالية (موسيقى الأوبرا) فهي تؤثر في الأداء من منظور إنقاص مستواه، كما أنها تقلل من الوقت الذي يخصصه التلاميذ لهذا الأداء (Pool et al 2000).

ومن المشكلات السلوكية التي توجد لدى بعض الأطفال رفض تناول الطعام، أو عكس من ذلك، الشراهة في تناول الطعام بما يؤدي إلى السمنة والمرض.

وعلى الرغم من أن هناك أسباباً نفسية وعضوية وراء ذلك، إلا أن الانغماس في مشاهدة التلفزيون بالتفاعل مع عوامل أخرى يمكن أن يؤدي إلى مخاطر صحية وعادات غذائية غير سليمة . فليس غريباً أن تظهر برامج متكاملة تهدف إلى تنظيم علاقة الطفل بالتلفزيون تلافياً للمخاطر الصحية التي تنتج عادات غذائية خاطئة بسبب كثافة المشاهدة (Robinson, 1999) فالطفل كثيف المشاهدة قد يندمج مع التلفزيون بطريقة تقلل من إقباله على الطعام ومع التعود والتكرار يصاب بأمراض سوء التغذية، كما قد ينغمس الطفل في تناول الطعام بطريقة زائدة عن الحد - أثناء المشاهدة دون حركة، وحينئذ يصاب بالسمنة المفرطة (Obesity)

ومن الآثار السلبية للتلفزيون على سلوك الأطفال، أنه يساهم في تشكيل اتجاهات سلبية لديهم نحو فئات اجتماعية معينة. فالأطفال قد يملكون على نحو (غير مهذب) وهم بصدد التعامل مع هذه الشريحة الاجتماعية، أو تلك بناء على اتجاهاتهم التي كان للتلفزيون دور فسي تكوينها. إن الدراما التلفزيونية تستعين بأنماط عديدة من الشخصيات لتؤدي الأدوار الدرامية، بحيث يكون لها سمات وسلوكيات معينة تتفق وطبيعة الدور، وكثيراً ما تتأثر اتجاهات الناس نحو فئة معينة بما يعرضه التلفزيون عن هذه الفئة، خذ مثلاً على ذلك، فئة المتخلفين عقلياً، فحسب الدراسة التي قام هاشم (١٩٩٢)، ص ١١٨) فإن التلفزيون يظهر هذه الفئة في أدوار نمطية كالمرضى والشهوانيين والخطرين على المجتمع ونحو ذلك بما يدعم الاتجاهات السلبية نحو هؤلاء الأفراد. الأطفال عندما يشاهدون مادة تلفزيونية من هذا القبيل، فماذا نتوقع منهم؟ على الأرجح، فإن الأطفال سينسحبون من المتخلفين عقلياً بدلاً من التعاطف معهم، وسينفرون منهم بدلاً من مساعدتهم، وقد يطور الأطفال من خلال ذلك سلوكيات مضادة للمجتمع تحت تأثير المادة التي

يعرضها التلفزيون وتشكل مدركات هؤلاء الأطفال ومفاهيمهم عن الأمراض العقلية (Wilson et al, 2000)

أما الدراسات التي أجريت عن علاقة التلفزيون بالطفل المصري تحديداً، فإنها من الكثرة والتنوع من حيث الموضوعات والمناهج والأدوات بما لا يتحمله استعراضها في هذه الجزئية المحدودة من البحث الحالي. وقد بدأت هذه الدراسات تتواتر منذ نهايات الستينيات وبدايات السبعينيات مثل دراسات يعقوب (١٩٦٧) جبر، (١٩٧٣)، رمزي (١٩٧٥) وغير ذلك من الدراسات الأكاديمية الرصينة التي جمعت بين تحليل المحتوى والبحث الميداني. هذه الدراسات توصلت إلى نتائج لا تختلف في اتجاهها العام عما توصلت إليه الدراسات الأجنبية الحديثة، فالتلفزيون له تأثير واضح على الطفل، وعلى الرغم من أن هناك ترجيحاً للتأثير الإيجابي، إلا أن هناك بعض مظاهر التأثير السلبي.

فحسب دراسة رمزي (١٩٧٥) فإن التلفزيون ليس له تأثير سلبي على الصحة النفسية للأطفال (علماً بأن الدراسة لم تقس الصحة النفسية باستخدام مقاييس معتمدة) وتؤكد الدراسة الآثار الإيجابية للتلفزيون على الطفل من حيث تزويده بالمعلومات والمعرفة وإتاحة البرامج التعليمية التي يستفيد منها الأطفال. في نفس الاتجاه أيضاً هناك دراسات أخرى، منها على سبيل المثال دراسة العبد (١٩٨٨) والتي بينت أن هناك ارتباطاً إيجابياً دالاً بين معرفة الإجابة الصحيحة على اختباري المعلومات والصور من جهة ومشاهدة برامج الأطفال التلفزيونية من جهة ثانية وذلك بعد استبعاد تأثير الاستماع للراديو وقراءة الصحف. أي أن برامج الأطفال التلفزيونية لها تأثير إيجابي في إكساب الطفل المعلومات، كما توضح الدراسة أيضاً أن الأطفال يحصلون على المعلومات، ليس فقط من البرامج الخاصة بهم، وإنما أيضاً من برامج ومواد أخرى كالبرامج والنشرات الإخبارية والمسلسلات والأفلام.

والمواد والبرامج الرياضية، على الجانب الآخر هناك بعض الدراسات التي توصلت إلى وجود تأثير سلبي للتلفزيون على سلوك الأطفال من ذلك مثلاً (رمزي، ١٩٩٤) والتي خلصت إلى أن مشاهدة التلفزيون وإن كانت لا ترتبط ببعض أبعاد الاغتراب عن التعليم إلا أنها ترتبط ببعض الآخر، فالأطفال الأكثر اندماجاً في مشاهدة التلفزيون هم الأكثر شعوراً بالعجز، وأكثر اغتراباً عن الذات وأكثر إهمالاً للدراسة.

هذه باختصار بعض مظاهر تأثير التلفزيون على سلوك الطفل، ومن الواضح أن هذا التأثير يتخذ أشكالاً متعددة واتجاهات مختلفة ما بين الإيجابية والسلبية، ولكن تبقى الحقيقة قائمة وهي أن التلفزيون له تأثير من نوع ما على سلوك الطفل. وعلى ضوء مراجعة الأدبيات المعنية بتأثير التلفزيون على الطفل المصري تبين أن هذه الدراسات من الكثرة والتنوع بما يتيح خلفية أكاديمية يمكن الانطلاق منها لإجراء دراسات تركز على مقاييس إمبيريقية أكثر تكاملاً، سواء فيما يخص علاقة الطفل بالتلفزيون أو فيما يخص أثر التلفزيون على سلوك الطفل. في هذه الإطار تأتي الدراسة الحالية التي تتناول مشاهدة التلفزيون كأحد العوامل التي تفسر المشكلات السلوكية للأطفال.

طريقة الدراسة الحالية وإجراءاتها :

تستهدف الدراسة الحالية التعرف على ما إذا كان الأطفال كثيفو المشاهدة يختلفون عن الأطفال قليلي المشاهدة من حيث المشكلات السلوكية مع الأخذ بعين الاعتبار مجموعة العوامل الوسيطة التي تؤثر في سلوك الأطفال عموماً بما في ذلك علاقاتهم بالتلفزيون. هناك إذن ثلاثة أبعاد أساسية تبحثها الدراسة وهي: مشاهدة التلفزيون، المشكلات السلوكية، العوامل أو المتغيرات

الوسيلة. وقد تم التعامل مع هذه الأبعاد بطريقة تقابل هدف الدراسة وفيما يلي توضيح لهذه الطريقة والتي تتضمن اختيار العينة، الأدوات والإجراءات.

(أ) العينة Sample :

أجريت هذه الدراسة على عينة قوامها (٢٠٠) مفردة، (المفردة هنا تعني الطفل، وإن كانت المعلومات عن الطفل يتم الحصول عليها من الأم، فهي التي تقوم باستيفاء الأدوات)، جميع الأطفال الذين شملتهم الدراسة يقيمون بمناطق مختلفة من القاهرة الكبرى وتتراوح أعمارهم ما بين أحد عشر عاماً ونصف إلى إثني عشر عاماً، وهذا يضمن تشابه العينة من حيث السن باعتباره متغيراً أساسياً يدل على مرحلة النمو وما يرتبط بها من تغيرات في الشخصية والسلوك، وقد روعي في اختيار العينة ضوابط محددة تضمن أن يتوافر فيها الخصائص الاقتصادية الاجتماعية خاصة تلك التي تؤثر في السلوك سواء كان عادياً (Normal) أو مشكلاً (Problematic)، فمن حيث الجنس (Gender) تضم العينة مائة مفردة من الذكور، ومائة مفردة من الإناث، أما من حيث منطقة الإقامة فإن العينة توزعت أيضاً بالتساوي بين أطفال يعيشون بمناطق شعبية، وأطفال يعيشون بمناطق راقية. وقد تم اختيار الذكور والإناث بحيث يتوزعون بالتساوي أيضاً داخل كل منطقة بمعنى أن هناك خمسين طفلاً من الذكور من المناطق الراقية وخمسين طفلاً من الذكور من المناطق الشعبية، المنطق نفسه فيما يخص الأطفال الإناث، علماً بأن المناطق الراقية التي أجريت المقابلات فيها هي شوارع مختارة من المعادي، الزمالك، مصر الجديدة، أما المناطق الشعبية فهي شوارع مختارة من المطرية، عين شمس، أبو قتادة. كما روعي أن تتضمن العينة أطفالاً ينتمون إلى ظروف أسرية ومستويات اقتصادية مختلفة وسوف يتم توضيح هذه المتغيرات في سياق توضيح إجراءات الدراسة.

اعتمدت الدراسة على ثلاث أدوات لجمع البيانات هي : مقياس مشاهدة التلفزيون، مقياس المشكلات السلوكية لدى الأطفال، قائمة البيانات الأساسية، وفيما يلي التوضيح :

١ - مقياس مشاهدة التلفزيون :

تم تصميم مقياس مشاهدة التلفزيون بهدف قياس ثلاثة جوانب أساسية هي كمية المشاهدة من حيث الوقت ومعدل التكرار، المواد التي تستم مشاهدتها، الاندماج والتفاعل مع التلفزيون . المقياس يتم استيفاء بياناته من خلال الأم من واقع ما تلاحظه على طفلها في علاقته بالتلفزيون .

كان المقياس في صورته الأولية يتكون من أربعة وعشرين بنداً ، تم اختصارها إلى ثمانية عشر بنداً (وذلك بعد تطبيق الاختبار المسبق وإجراء تعديلات على البنود من حيث العدد والصياغة والترتيب)، وقد تم التحقق من صدق المقياس باستخدام طريقة الصدق العائلي Factorial Validity حيث تم تطبيقه على عينة محدودة (ن = ٣٨)، وعولجت البيانات باستخدام طريقة التدوير المائل عند الجذر الكامن واحد صحيح ($Eigen\ Value = 1$)، وأسفرت هذه المعالجة عن استبعاد ثلاثة بنود حيث كانت التشبعات (Saturations) تقل عن (٣٠) وتم الإبقاء فقط على البنود الخمسة عشرة الأخرى التي كانت تشبعاتها تزيد عن هذه القيمة، وقد تشبعت هذه البنود بثلاثة عوامل واضحة الهوية تماماً، فالعامل الأول (الاندماج في المشاهدة) تشبع به ثمانية بنود وحقق تبايناً قدره (٤٣,٢%)، وتراوحت قيم التشبعات ما بين (٠,٧٨٥) إلى (٠,٨٣٤) أما العامل الثاني فهو (نوعية المشاهدة) وقد تشبع به أربعة بنود وحقق تبايناً قدره (٣٢,٨%) وتراوحت قيم

التشبعات ما بين (٠,٤١٦) إلى (٠,٧٣٠) ، أخيراً ، فإن العامل الثالث (كمية المشاهدة) من حيث الوقت المنقضي في المشاهدة معدل التكرار اليومي، فقد تشبعت به ثلاثة بنود، وحقق تبايناً قدره (١٥,٧%) وتراوحت قيم التشبعات ما بين (٠,٦١٨) إلى (٠,٨٩١).

بموجب ذلك تم اعتماد المقياس بصورته النهائية، والتي تتضمن خمسة عشر بنداً، ولكل بند من بنود المقياس ثلاث استجابات هي : لاينطبق ، ينطبق إلى حد ما، ينطبق بوضوح. وهذه الاستجابات لها قيم كمية Quantitative Values هي على الترتيب (صفر) ، (١) ، (٢)، وتبلغ الدرجة الكلية للمقياس ثلاثين درجة (بواقع درجتين لكل بند) . وحسب إجراءات الصدق العاملي السابق توضيحها، فإن المقياس يقيس جوانب أو أبعاد المشاهدة المطلوب قياسها، (وإن كان من الضروري الإشارة إلى أن المقياس يجب أن يطبق على عينات متعددة، وبمعايير متنوعة حتى يستوفي شروط التقنين كاملة) ... على أية حال، فإنه فسي حدود الدراسة الحالية فإن مقياس كثافة المشاهدة تتوفر فيه درجة الصدق المطلوب.

أما بخصوص الثبات، فقد تم التحقق منه بطريقة إعادة التطبيق (Test - Retest)، حيث تم تطبيق المقياس مرة ثانية على المجموعة السابقة بعد مضي أسبوعين على التطبيق الأول، ثم مرة ثالثة بعد مضي عشرة أيام، وبهذا يكون لدينا ثلاث تطبيقات للمقياس على المجموعة نفسها، ومن الجدير بالذكر هنا أن المجموعة تناقصت بعض الشيء، فإذا كانت في التطبيق الأول (٣٨) مفردة فإنها تناقصت في التطبيق الثاني إلى (٣٤) مفردة (حيث لم يتسنى إجراء المقابلة مع أربع مفردات) وفي التطبيق الثالث، لم يتسنى إجراء المقابلة مع إحدى المفردات وبهذا أصبحت عينة الثبات (٣٣) مفردة وهي المفردات الصحيحة التي بناء عليها تم حساب

الثبات باستخراج معامل الارتباط بين التطبيقات الثلاثة وقد جاء على النحو التالي :-

جدول رقم (١)

معاملات الارتباط بين تطبيقات المقياس

التطبيق	الأول	الثاني	الثالث
الأول	--	--	--
الثاني	٠,٩٦	--	--
الثالث	٠,٩١٣	٠,٩٣٨	--

فالارتباط بين درجة المفحوصين على المقياس في التطبيق الأول والثاني تبلغ قيمته (٠,٩٦) وبين الأول والثالث تبلغ قيمته (٠,٩١٣) وبين الثاني والثالث (٠,٩٣٨) وهي قيم تكاد تقترب من الواحد الصحيح، وهي تشير إلى ثبات المقياس (مع الأخذ بالاعتبار أن عينة الثبات ليست كبيرة، ومن المعروف أن حجم العينة يؤثر في معامل الارتباط) .

٢ - مقياس المشكلات السلوكية لدى الأطفال :

هناك مقاييس واختبارات متعددة للتعرف على المشكلات السلوكية لدى الأطفال، وقد استخدمت الدراسة الحالية مقياس (Rutter A) باعتباره من أهم المقاييس المعتمدة عالمياً في هذا الشأن (Al-Janai, 2001). وقد تمت ترجمة المقياس من الإنجليزية إلى العربية، وحسب أدبيات علم النفس فإن المقياس قد سجل كفاءة عالية من حيث الصدق والثبات وذلك من واقع إجراءات التقنين التي تمت في سياقات زمنية مختلفة وفي مجتمعات مختلفة وذلك حسب مجموعة من الدراسات المعنية بالمشكلات السلوكية لدى الأطفال وكيفية قياسها (Berger et al, 1992). (Allodi, 1989).

ويختص مقياس (Rutter A) بقياس مدى واسع من المشكلات السلوكية لدى الأطفال مثل: العدوانية، العنف، العزلة، الخوف، الغضب، القلق، النشاط الزائد، الحزن، اللازمات العصبية (Tics)، السرقة، الكذب، اضطرابات العادات (النوم والأكل والإخراج)، مشكلات الكلام، رفض المدرسة، بعض المشكلات الصحية الشائعة لدى الأطفال لأسباب نفسية وليس عضوية. ويتكون المقياس من واحد وثلاثين بقدًا، وتتراوح درجته الكلية ما بين (صفر) و (٦٢)، وتدل الدرجة المرتفعة على شدة المشكلات السلوكية، حيث يحصل المبحوث على درجة معينة بناء على أنماط الاستجابة على بنود المقياس، وتتراوح درجة كل بند ما بين الصفر ودرجتين، وتدل الدرجة (صفر) على أن المشكلة إما غير موجودة، أو أنها موجودة ولكن بصورة عادية، أما الدرجة (١) فتدل على أن المشكلة موجودة بصورة متكررة إلى حد ما (غير شديدة)، بينما تدل الدرجة (٢) على أن المشكلة موجودة بصورة متكررة وواضحة، ويتم استيفاء بيانات المقياس من قبل أحد الوالدين بناء على ملاحظتهما لسلوك الطفل، ويكون هناك مشكلات إذا حصل الطفل على ١٣ درجة فأكثر، ويمكن بموجب هذه الدرجة تمييز المشكلات التي يعانيها الطفل إما من منظور كونها عصابية، أو لا إجتماعية (anti-social)، أو غير محددة Undifferentiated، ويصنف الطفل ذو السلوك المشكل على أنه عصابي إذا كانت درجته على البنود التي تقيس السلوك العصابي تزيد عن درجته على البنود التي تقيس السلوك اللاإجتماعي، بينما يصنف الطفل على أنه لا إجتماعي إذا كانت درجته على البنود التي تقيس السلوك اللاإجتماعي تزيد عن درجته على البنود التي تقيس السلوك العصابي، إما إذا تساوت درجة الطفل على البنود التي تقيس السلوك العصابي مع درجته على البنود التي تقيس السلوك اللاإجتماعي فإن الطفل يكون سلوكه مشكلاً غير مميز.

والسلوك العصابي هو السلوك الذي يعكس القلق، المخاوف المرضية، الوسواس، السلوك القسري، توهم المرض، الشعور بالإثهاك، العصبية الزائدة، فقدان الشعور بالشخصية، الاكتئاب ، وذلك بموجب الاستجابات على بنود معينة .

أما السلوك اللاإجتماعي فهو السلوك الذي يضع الطفل في حالة صراع مع المجتمع ويشمل عدم الطاعة ، الكذب، الغش، السرقة، اللغة البذيئة (Profanity) الميل إلى تخريب الأشياء أو تدميرها.

٣ - قائمة البيانات الأساسية :

وتضمن هذه القائمة مجموعة المتغيرات التي تؤثر في سلوك الطفل بما في ذلك علاقته بالتلفزيون وتشمل خصائص الطفل من حيث الجنس، وعدد الأخوة (في حالة وجودهم) ونمط الوالدية، والدخل، ومنطقة الإقامة، وخصائص البيئة الأسرية، وأصدقاء الطفل، وذلك على النحو الآتي :-

- جنس الطفل : يقصد بذلك ما إذا كان الطفل ذكراً أم أنثى.

- أخوة الطفل : يقصد بذلك عدد أخوة الطفل في الأسرة.

نمط الوالدية : يقصد بها ما إذا كان الطفل يعيش مع الأب والأم، أو يعيش مع الأم فقط، أو مع الأب فقط، سواء نتيجة وفاة أحد الوالدين، أو طلاقهما، أو نتيجة غياب أحد الوالدين لأي سبب آخر ، وقد تم تصنيف الأطفال حسب نمط الوالدية إلى قسمين ، الأول : يضم الأطفال الذين يعيشون في أسر وحيدة الوالدية ، والثاني : يضم الأطفال الذين يعيشون في أسر ثنائية الوالدية .

- الدخل : يقصد به الدخل الشهري للأسرة بالجنيه المصري.

- المنطقة : يقصد بها المنطقة التي تقيم فيها الأسرة أي ما إذا كانت شعبية أو راقية.

- البيئة الأسرية : يقصد بها تقييم أو رأي الأم بشأن العلاقات الاجتماعية كما يراها الطفل في المنزل بمعنى ما إذا كانت هذه العلاقات عادية مستقرة أو عنيفة متوترة وتشهد الشجار بصورة متكررة.

- أصدقاء الطفل : يقصد بذلك تقييم أو رأي الأم في الأقران (Peers) أي هؤلاء الأطفال الذين يتخذهم الطفل أصدقاء له، أو يتعامل معهم بصورة متكررة، بحيث يتضح ما إذا كانت الأم ترى أن أصدقاء طفلها جيرون أو سيئون.

(ج) الإجراءات Procedures :

حسب ضوابط اختيار العينة السابق توضيحها، تم تطبيق مقياس مشاهدة التلفزيون على المفردات بحيث أمكن تحديد مائة طفل من الأطفال كثيفي المشاهدة (Heavy Viewers) وهم الذين حصلوا على درجة نسبتها ٧٥% أو أعلى، وهذه النسبة تعادل (٢٢,٥) درجة فأكثر من مجمل درجة المقياس التي تبلغ ثلاثين درجة كما سبقت الإشارة. فالمتغير الأساسي هنا أن يكون الطفل كثيف المشاهدة، بمعنى حصوله على ٧٥% أو أكثر من مجمل درجة المقياس. وتم تطبيق مقياس المشكلات السلوكية على هذه المجموعة وكذلك استيفاء البيانات الأساسية. على الجانب الآخر، تم تطبيق مقياس مشاهدة التلفزيون بحيث تم اختيار مائة طفل من الأطفال خفيفي المشاهدة (Light Viewers) وهم الأطفال الذين حصلوا على درجة نسبتها ٢٥% أو أقل من الدرجة الكلية للمقياس، وهذه النسبة تعادل ٧,٥ درجة، فالمتغير الأساسي هنا، أن يكون

الطفل خفيف المشاهدة، وذلك بحصوله على ٢٥% أو أقل من مجمل درجة المقياس. وقد تم أيضاً تطبيق مقياس المشكلات السلوكية على هذه المجموعة وكذلك استيفاء بياناتها الأساسية، بهذا أصبح لدينا مجموعتان من الأطفال : الأولى تضم الأطفال كثيفي المشاهدة (Heavy Viewers) والثانية تضم الأطفال خفيفي المشاهدة (Light Viewers) وفي إطار إجراءات الدراسة تم تصنيف مجموعتي الدراسة حسب جميع المتغيرات التي تضمنتها قائمة البيانات الأساسية وهي متغيرات : الجنس، عدد أخوة الطفل، نمط الوالدية، الدخل الشهري للأسرة، منطقة الإقامة، تقييم الأم لطبيعة البيئة الأسرية، تقييم الأم لأصدقاء الطفل، والجدول الآتي يجل توزيع مجموعتي الدراسة حسب هذه المتغيرات:

جدول رقم (٢)

خصائص مجموعتي عينة الدراسة

الخصائص	الأطفال قليلو المشاهدة	الأطفال كثيفو المشاهدة
الجنس : ذكور إناث	٥٠ ٥٠	٥٠ ٥٠
أخوة الطفل : ٢ فأقل ٣ فأكثر	٣٤ ٦٦	٥٢ ٤٨
نمط الوالدية : وحيدة ثنائية	٣٦ ٦٤	٣٧ ٦٣
الدخل : ٥٠٠ فأقل ١٠٠٠ فأكثر	٣٧ ٦٣	٢٦ ٧٤
المنطقة : شعبية راقية	٥٠ ٥٠	٥٠ ٥٠
البيئة الأسرية : عادية عنيفة	٦٥ ٣٥	٦٠ ٤٠
أصدقاء الطفل : جيران سنيون	٧٤ ٢٦	٧٥ ٢٥

وكما هو واضح بالجدول، فإن مجموعتي العينة تتوزعان بالتساوي من حيث الجنس (ذكور & إناث) وكذلك من حيث منطقة الإقامة (شعبية & راقية) علماً بأن عدد الجنسين كان متساوياً من كل منطقة. أما من حيث عدد أخوة الطفل، فإن الجدول يوضح أن ٤٣% (٨٦ مفردة) من العينة لديهم اثنان أو أقل (بمعنى أن الطفل إما أنه وحيد، أو له أخ واحد، أو أخان فقط). أما النسبة الباقية ٥٧% (١١٤ مفردة)، فإن لديها ثلاث إخوة أو أكثر، ويزداد عدد الأخوة في مجموعة الأطفال خفيفي المشاهدة، إذ إن ٦٦% من هذه المجموعة لهم ثلاثة إخوة أو أكثر في حين تنخفض هذه النسبة إلى ٤٨% في مجموعة الأطفال كثيفي المشاهدة.

من حيث نمط الوالدية، يوضح الجدول أن ٣٦,٥% (٧٣ مفردة) تعيش مع أحد الوالدين دون الآخر، سواء نتيجة الوفاة أو الطلاق، أو السفر، أو العمل خارج المدينة، وتتساوى هذه النسبة تقريباً في المجموعتين.

من حيث الدخل الشهري، يوضح الجدول أن ٣١,٥% من العينة يبلغ دخل أسرهم شهرياً خمسمائة جنيه أو أقل وهذه النسبة تعادل ٦٣ مفردة، تتوزع بين الأطفال خفيفي المشاهدة بواقع ٣٧ مفردة (٣٧%) والأطفال كثيفي المشاهدة بواقع ٢٦ مفردة (٢٦%)، كما أن ٦٨,٥% من العينة يصل دخل أسرهم شهرياً ألف جنيه أو أكثر ويجدر التنويه هنا إلى انتقاء أطفال ينتمون إلى أسر تتباين من حيث الدخل، كان مقصوداً في الدراسة لضمان معرفة انعكاسات هذا التباين على المشكلات السلوكية بالتفاعل مع مشاهدة التلفزيون.

ومن حيث البيئة الأسرية يجدر التأكيد على أن البيئة الأسرية العنيفة تعني وجود مظاهر للشجار والتوتر وخلافات بصورة متكررة وذلك حسب رأي أم الطفل. أما البيئة الأسرية العادية فهي تلك البيئة التي لا

يوجد بها أو يندر فيها مثل هذه المظاهر. ويوضح الجدول أن ٦٢,٥% (١٢٥ مفردة) تدل على أن الأطفال يعيشون في بيئة أسرية عادية. أما النسبة الباقية ٣٧,٥% مما يعادل (٧٥ مفردة) فإنها تشير إلى الأطفال الذين يعيشون في بيئة أسرية بها بعض العنف (حسب آراء الأمهات بالمعنى السابق ذكره) ويشكل أطفال هذه الفئة ٤٠% من الأطفال كثيفي المشاهدة مقابل ٣٥% من الأطفال خفيفي المشاهدة.

أخيراً ومن حيث أصدقاء الطفل (حسب رأي الأم)، فإن حوالي ثلاثة أرباع العينة أصدقاءهم جيدون، بينما الربع الباقي من الأطفال أصدقاءهم سيئون وذلك حسب آراء الأمهات ويتساوى عدد المفردات تقريباً في مجموعتي العينة.

المعالجة الإحصائية :

بخصوص المعالجة الإحصائية للبيانات - باعتبارها ضمن إجراءات الدراسة - فقد تمت بموجب خطة معينه بدأت ، بإدخال البيانات في الحاسوب وفق برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وتم التحليل الأولي ثم المتقدم بما يقابل هدف الدراسة ، حيث تضمنت الخطة استخراج المعاملات الآتية :

- التكرارات والنسب المئوية للاستجابات على البنود والمتغيرات التي تقيسها أدوات الدراسة .
- معاملات العلاقة والارتباط بين متغيرات الدراسة .
- T.test لمعرفة معنوية الفروق بين متوسطات مجموعات عينة الدراسة على مقياس المشكلات السلوكية حسب مستوى مشاهدة التليفزيون.

- تحليل التباين المتعدد (MANOVA) لمعرفة أثر التفاعل بين مستوى مشاهدة التلفزيون وجميع المتغيرات الوسيطة كل على حده
- في الدرجة على مقياس المشكلات السلوكية .

النتائج Results :

فيما يلي عرض للنتائج التي توصلت إليها الدراسة بشأن مستوى مشاهدة التلفزيون كأحد العوامل التي تفسر المشكلات السلوكية لدى الأطفال ، وذلك من خلال رصد وتحليل العلاقة بين مستوى مشاهدة التلفزيون وطبيعة سلوك الأطفال حسب المتغيرات الوسيطة، ثم الانتقال بالنتائج إلى مستوى متقدم نسبياً من خلال التعرف على أثر التفاعل بين مستوى مشاهدة التلفزيون والمتغيرات الوسيطة في الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية لدى الأطفال .

(أ) العلاقة بين مستوى مشاهدة التلفزيون وطبيعة سلوك الأطفال حسب المتغيرات الوسيطة:

يقصد بطبيعة السلوك ما إذا كان سلوك الطفل عادياً (Normal) أو مشكلاً (Problematic) ، وحسب المقياس المستخدم في الدراسة العالية، فإن السلوك يكون طبيعياً أو عادياً إذا كان مجمل درجة الطفل على المقياس يقل عن (١٣) درجة، بينما يكون مشكلاً أو غير عادي إذا كانت درجة الطفل تبلغ (١٣) درجة فأكثر .

وإذا كان توزيع الأطفال حسب طبيعة السلوك قد يكون له علاقة بكثافة مشاهدة التلفزيون فإن هذا التوزيع أيضاً لا يمكن تناوله بمعزل عن المتغيرات أو العوامل الوسيطة والتي تم تحديدها على النحو السابق توضيحه. في هذا الإطار بحثت الدراسة مشاهدة التلفزيون كأحد

المتغيرات ذات العلاقة بطبيعة السلوك. ومن واقع المعالجة الإحصائية للبيانات تبين من الدراسة أن الأطفال ذوي المشكلات السلوكية (حسب معيار التشخيص في المقياس المستخدم) يبلغ عددهم (٤٤) طفلاً، أي ما يعادل ٢٢% من العينة في حين بلغ عدد الأطفال الأسوياء (١٥٦) طفلاً، أي ما يعادل ٧٨% من العينة، ويتوزع الأطفال حسب مشاهدة التلفزيون وطبيعة السلوك على النحو الممثل بالجدول الآتي :-

جدول رقم (٣)

توزيع عينة البحث حسب مستوى مشاهدة التلفزيون وطبيعة السلوك

مشاهدة التلفزيون	طبيعة السلوك	
	مشكل	سوي
خفيفة	١٩	٨١
كثيفة	٢٥	٧٥
المجموع	٤٤ (%٢٢)	١٥٦ (%٧٨)

وكما هو واضح، فإن الأطفال ذوي المشكلات السلوكية ترتفع نسبتهم بين الأطفال كثيفي المشاهدة (٢٥%) مقارنة بالأطفال خفيفي المشاهدة (١٩%)، وعلى الرغم من هذه الفروق إلا أنها ليست جوهرية وإنما ترجع إلى الصدقة ($\chi^2 = 1.049$ ، وهي غير دالة إحصائياً) وفي إطار المجموعة خفيفة المشاهدة والمجموعة كثيفة المشاهدة خلصت الدراسة إلى أن الأطفال يتوزعون حسب المتغيرات الوسيطة وطبيعة السلوك على النحو الموضح بالجدول الآتي :

جدول رقم (٤)

توزيع عينة البحث حسب مستوى مشاهدة التلفزيون
وطبيعة السلوك والمتغيرات المستقلة

مستوى المشاهدة / طبيعة السلوك						المتغيرات
مشاهدة كثيفة			مشاهدة خفيفة			
سلوك مشكل	سلوك سوي	٢١٤	سلوك مشكل	سلوك سوي	٢١٤	
٢١	٢٧	١٧,٣ *	١٦	٤٥	٩,٨ *	الجنس : ذكور إناث
١٠	٤٢	١,٩	٤	٥١	١,٧	أخوة الطفل : ٢ فأقل ٣ فأكثر
٢١	١٦	٣١,٦ *	١٢	٥٧	٧,٥ *	نمط الوالدية: ودية ثلاثية
١٨	٤٥	١,٣	١٦	٥٨	١,٣	الدخل : ٥٠٠ فأقل ١٠٠٠ فأكثر
١٥	٤٤	١,٠١٢	١٠	٤٠	١,٠٦	المنطقة : شعبية راقية
٧	٥٣	٠,٤	٧	٥٨	١,٠٨	البيئة الأسرية : عالية عذيفة
١٤	٦١	٦,٤ *	١٢	٦٢	١,٤	أصدقاء الطفل : جيدون سيئون

(*) دالة عند مستوى ٠,٠٠١

وكما هو واضح من الجدول فإن هناك متغيرات ذات علاقة إحصائية دالة بطبيعة السلوك (سوي & مشكل) وهذه المتغيرات هي الجنس ، نمط الوالدية ، أصدقاء الطفل . وبينما توجد علاقة دالة بين طبيعة السلوك وكل من الجنس ونمط الوالدية على مستوى مجموعتي الدراسة ، فإن متغير أصدقاء الطفل له علاقة دالة بطبيعة السلوك على مستوى مجموعة المشاهدة الكثيفة فقط . فيما يخص متغير الجنس، يوضح

الجدول أن ٨٤,١% من الأطفال ذوي المشكلات هو من الذكور (٣٧) مفردة يتوزعون بين ذوي المشاهدة الخفيفة بنسبة ٤٣,٢% (١٦ مفردة) وذوي المشاهدة الكثيفة بنسبة ٥٦,٨% (٢١ مفردة) وإذا كان ٨٤,١% من الأطفال المشكلين من الذكور فإن النسبة الباقية (١٥,٩%) من الإناث. ومن الواضح الفارق الشاسع بين النسبتين، فالمشكلات السلوكية أكثر وضوحاً لدى الذكور مقارنة بالإناث، أما من حيث متغير نمط الوالدية، فإن الجدول يوضح أن عدد الأطفال ذوي السلوك المشكل يزداد بدرجة واضحة بين أطفال الأسر وحيدة الوالدية (Single Parenting) فإذا كان عدد الأطفال ذوي المشكلات السلوكية هو (٤٤) طفلاً كما سبقت الإشارة فإن ٧٥% منهم (٣٣ طفلاً) ينتمون إلى أسر وحيدة الوالدية مقابل ٢٥% (١١) طفلاً ينتمون إلى أسر ثنائية الوالدية.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار متغير مشاهدة التلفزيون، فإن الجدول يوضح أن أطفال الأسر وحيدة الوالدية ويشاهدون التلفزيون بكثافة ترتفع بينهم نسبة الأطفال ذوي السلوك المشكل إلى ٨٤% (٢١ مفردة من إجمالي ٢٥ مفردة). أما فيما يخص متغير أصدقاء الطفل، فإنه كما سبقت الإشارة ذو علاقة إحصائية دالة بطبيعة السلوك وذلك على مستوى المجموعة كثيفة المشاهدة فقط، وكما هو واضح من الجدول فإن مجمل الأطفال ذوي الأصدقاء السيئين في هذه المجموعة يبلغ ٢٥ طفلاً، منهم ١١ طفلاً - أي ما يعادل ٤٤% - لديهم مشكلات سلوكية. أما الأطفال ذوو الأصدقاء الجيدين وهم الأغلبية فإن عدد الأطفال ذوي المشكلات السلوكية هو ١٤ طفلاً فقط أي ما يعادل ١٨,٧% من مجمل الأطفال ذوي الأصدقاء الجيدين البالغ ٧٥ طفلاً (وذلك فيما يخص المجموعة كثيفة المشاهدة فقط). إذاً فإن الأطفال ذوي المشكلات السلوكية تزداد نسبتهم بين الأطفال ذوي الأصدقاء السيئين وذلك حسب تقييم الأم.

وفيما عدا متغيرات الجنس ونمط الوالدية وأصدقاء الطفل فإن بقية المتغيرات ليس لها علاقة بتوزيع الأطفال حسب نمط السلوك في إطار مجموعتي الدراسة.

أما بخصوص العلاقة بين نمط السلوك المشكل من جهة ومستوى مشاهدة التلفزيون من جهة ثانية فإنه كما سبقت الإشارة هناك ثلاثة أنماط من هذا السلوك وهي: السلوك العصائبي Neurotic ، السلوك المضاد للمجتمع anti-social ثم السلوك المشكل غير المميز undifferentiated وقد تبين من الدراسة أن الأطفال ذوي المشكلات السلوكية والبالغ عددهم (٤٤) طفلاً يتوزعون حسب هذه الأنماط ومستوى مشاهدة التلفزيون على النحو المبين بالجدول الآتي:-

جدول رقم (٥)
توزيع الأطفال ذوي المشكلات
السلوكية حسب مستوى مشاهدة التلفزيون
ن - ٤٤

الأطفال ذوي المشكلات السلوكية			مشاهدة التلفزيون
سلوك عصائبي	سلوك لا اجتماعي	سلوك مشكل غير مميز	
٥	١٠	٤	خفيفة
١١	١١	٣	كثيفة

٢١٥ - ١٠٣

١٩ - ١

فإذا كان مجمل الأطفال ذوي المشكلات السلوكية هو (٤٤ طفلاً)، فإنهم يتوزعون بين ذوي المشاهدة الخفيفة بنسبة (٤٣,٢%) أي ما يعادل ١٩ طفلاً، وبين ذوي المشاهدة الكثيفة بنسبة (٥٦,٨%) أي ما يعادل ٢٥ طفلاً، وعلى الرغم من هذه الاختلافات إلا أنها لا تعبر عن علاقة دالة

إحصائياً، بمعنى أنه لا يوجد علاقة جوهريّة بين مستوى مشاهدة التلفزيون من جهة ونمط السلوك المشكل من جهة ثانية. ويلاحظ من الجدول أن النسبة الأكبر من الأطفال ذوي السلوك المشكل هم من ذوي السلوك المضاد للمجتمع (٤٧,٧%) يليهم الأطفال ذوو السلوك العصائبي (٣٦,٤%)، وأخيراً الأطفال ذوو السلوك المشكل غير المميز (١٥,٩%).

ب) أثر التفاعل بين مستوى مشاهدة التلفزيون والمتغيرات الوسيطة على سلوك الطفل.

تناولت النقطة السابقة توزيع الأطفال (عددياً) من حيث طبيعة السلوك في إطار مستوى مشاهدة التلفزيون وجميع المتغيرات الوسيطة. لقد تم بحث العلاقة بين طبيعة سلوك الأطفال مع كل متغير وسيط على حدة في إطار مجموعتي الدراسة حسب مستوى مشاهدة التلفزيون.

في هذه الجزئية من الدراسة سيتم بحث معنوية الفروق بين الأطفال كثيفي المشاهدة والأطفال خفيفي المشاهدة وذلك في متوسط الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية، ومن ذلك يتم بحث أثر التفاعل بين مستوى المشاهدة والمتغيرات الوسيطة على سلوك الأطفال وذلك بالاستناد إلى متوسط الدرجة المعبرة عن هذه السلوك.

فقد تبين من الدراسة أن متوسط درجة الأطفال عينة البحث على مقياس المشكلات السلوكية قد بلغ (٩,٤٢) درجة يسانحرف معياري قدره (٦,٩٨) وهذا المتوسط يقل كثيراً عن الدرجة التي يكون بموجبها الطفل يعاني من المشكلات السلوكية حسب المعيار الإكلينيكي، إذ إن الطفل يصنف على أنه ذو سلوك مشكل Problematic إذا حصل على درجة (Score) تعادل (١٣) فأكثر. وعند بحث معنوية الفروق بين الأطفال

كثيفي المشاهدة والأطفال خفيفي المشاهدة من حيث متوسط الدرجة على مقياس المشكلات السلوكية كانت النتيجة على النحو الموضح بالجدول الآتي :-

جدول رقم (٦)

معنوية الفروق بين متوسط درجة مجموعات الأطفال على مقياس المشكلات السلوكية حسب مستوى مشاهدة التلفزيون

T	الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية		مشاهدة التلفزيون
	ع	م	
١,٧ -	٦,٢	٨,٥٤	خفيفة (ن = ١٠٠)
	٧,٥	١٠,٢١	كثيفة (ن = ١٠٠)

درجة الحرية = ١٩٨

فعلى الرغم من أن الأطفال كثيفي المشاهدة قد حصلوا على متوسط مرتفع في الدرجة على مقياس المشكلات السلوكية (م = ١٠,٢١) إلا أن الفروق بينهم وبين الأطفال خفيفي المشاهدة ، حيث (م = ٨,٥٤) ، هي فروق غير دالة إحصائياً (T = 1.07, P = .09) هذه النتيجة تعكس أهمية شديدة لأنها ببساطة توضح أن كثافة مشاهدة التلفزيون (بحد ذاتها) ليست عاملاً يؤثر تأثيراً سلبياً بصورة جوهرية في سلوك الطفل. صحيح أن الأطفال كثيفي المشاهدة قد عبروا عن مشكلات سلوكية بدرجة أكبر مقارنة بالأطفال خفيفي المشاهدة، لكن الفروق بين المجموعتين في هذه المشكلات ليست جوهرية من المنظور الإحصائي.

هذا فيما يخص الاختلاف بين الأطفال كثيفي المشاهدة والأطفال خفيفي المشاهدة من حيث الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية، لكن مشاهدة

التلفزيون (ممكن) أن تتفاعل مع متغيرات أخرى، بما يؤثر سلباً في سلوك الطفل. الأدبيات الكلاسيكية المعنية بالتنشئة الاجتماعية تؤكد دوماً تعدد مصادر التنشئة، وأن طبيعة السلوك لا تفسر بعامل واحد وإنما بعوامل متعددة، ومن هنا بحثت الدراسة الحالية أثر التفاعل بين مشاهدة التلفزيون وكافة متغيرات الدراسة كل على حدة لرصد نتائج هذا التفاعل على المشكلات السلوكية لدى الأطفال عينة البحث بدلالة درجاتهم على مقياس هذه المشكلات، وجاءت النتيجة على النحو الممّثل بالجدول الآتي:-

جدول رقم (٧)

أثر التفاعل بين مشاهدة التلفزيون ومتغيرات الدراسة
في الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية لدى الأطفال

مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة F
مشاهدة التلفزيون × الجنس	١٤,٩٤	١٤,٩٤	* ٠,٥٩٤
مشاهدة التلفزيون × عدد الأخوة	٧٨,٦	٧٨,٦	١,٦٥
مشاهدة التلفزيون × نمط الوالدية	١٦٩,٩	١٦٩,٩	* ٤,٢٤
مشاهدة التلفزيون × الدخل	١,٣٦	١,٣٦	٠,٠٣٢
مشاهدة التلفزيون × المنطقة	١١,٢	١١,٢	٠,٢٣١
مشاهدة التلفزيون × البيئة الأسرية	٢١٧	٢١٧	* ٢,٨
مشاهدة التلفزيون × الأصدقاء	١٢٨	١٢٨	* ٣,٩٦

(ملحوظة : درجة الحرية لكل التفاعلات الموضحة بالجدول = ١ ومن هنا فإن مجموع

المربعات Sum of squares يتساوى مع متوسط المربعات Mean of squares)

خلاصة هذا الجدول أن التفاعل بين مشاهدة التلفزيون والمتغيرات الآتية لم يحدث تبايناً في الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية : عدد أخوة

الطفل، دخل الأسرة، منطقة الإقامة، أما التفاعلات التي أحدثت تبايناً ذا دلالة إحصائية فهي التفاعلات الآتية :-

مشاهدة التلفزيون × الجنس

مشاهدة التلفزيون × نمط الوالدية

مشاهدة التلفزيون × الأصدقاء

مشاهدة التلفزيون × طبيعة البيئة الأسرية

فيما يخص التفاعل بين مشاهدة التلفزيون والجنس، تبين من الدراسة أن الأطفال الذكور كثيفي المشاهدة هم الأكثر تعبيراً عن المشكلات السلوكية، بينما الإناث قليلات المشاهدة من أقل مجموعات العينة تعبيراً عن هذه المشكلات، وذلك بدلالة متوسط الدرجة على مقياس المشكلات السلوكية على النحو المبين بالجدول الآتي :-

جدول رقم (٨)

متوسطات الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية

لدى مجموعات الأطفال حسب مشاهدة التلفزيون ومتغير الجنس

الجنس		مشاهدة التلفزيون
إناث	ذكور	
٥,٩٣	١٠,٧	خفيفة
٧,١٤	١٣,١	كثيفة

فالأطفال الذكور كثيفو المشاهدة يتصدرون كافة مجموعات العينة من حيث متوسط الدرجة (م = ١٣,١)، يليهم الأطفال الذكور خفيفو المشاهدة (م = ١٠,٧)، ثم الإناث كثيفات المشاهدة (م = ٧,١٤) وأخيراً تأتي مجموعة الإناث خفيفات المشاهدة (م = ٥,٩٣)، هنا يتضح أثر الفروق بين الجنسين متفاعلاً مع مستوى مشاهدة التلفزيون في المشكلات السلوكية، فهذه

المشكلات تكون أكثر تفاقماً لدى الأطفال الذكور الذين يشاهدون التلفزيون بكثرة.

أما عن التفاعل بين نمط الوالدية ومستوى مشاهدة التلفزيون فقد خلصت الدراسة إلى أن الأطفال كثيفي المشاهدة الذين ينتمون إلى أسر وحيدة الوالدية هم الأكثر تعبيراً عن المشكلات السلوكية، وذلك بدلالة الدرجة على مقياس هذه المشكلات وفق ما يوضحه هذا الجدول : -

جدول رقم (٩)

متوسطات الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية

لدى مجموعات الأطفال حسب مشاهدة التلفزيون ومتغير نمط الوالدية

نمط الوالدية		مشاهدة التلفزيون
ثنائية	وحيدة	
٧,٢	١٠,٩	خفيفة
٧,٤	١٤,٩٧	كثيفة

فالأطفال الذين يعيشون في أسر وحيدة الوالدية ويشاهدون التلفزيون بكثافة هم أكثر مجموعات العينة تعبيراً عن المشكلات السلوكية (م = ١٤,٩٧)، يليهم الأطفال خفيفو المشاهدة ويعيشون في أسر وحيدة الوالدية (م = ١٠,٩)، أما الأطفال الذين يعيشون في أسر ثنائية الوالدية (مع الأم والأب) فإن متوسط درجاتهم على مقياس المشكلات السلوكية ينخفض بشكل واضح مقارنة بالأطفال في الأسر وحيدة الوالدية، خلاصة هذه الجزئية أن مشاهدة التلفزيون بكثافة يكون لها دور جوهري في المشكلات السلوكية عندما يكون الطفل في أسرة وحيدة الوالدية.

التفاعل الثالث الذي أحدث تبايناً جوهرياً في الدرجة على مقياس المشكلات السلوكية هو التفاعل بين مستوى مشاهدة التلفزيون وطبيعة

الأقران أو الرفاق (Peers) حسب تقييم الأم لهم ، فالأقران - وأعني بهم الأصدقاء المقربين للطفل قد يكونون أشرارا أو أصدقاء سوء كما قد يكونون منضبطين وملترمين، وفي كلتا الحالتين فإنهم يؤثرون بدرجة أو بأخرى على بعضهم البعض. وحسب النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فإن أصدقاء السوء يمثلون عاملا وسيطا في أثر كثافة مشاهدة التلفزيون على سلوك الطفل وتتضح هذه الفكرة من واقع النتيجة الملخصة في الجدول الآتي :-

جدول رقم (١٠)

متوسطات الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية

لدى مجموعات الأطفال حسب مشاهدة التلفزيون ومتغير أصدقاء الطفل

أصدقاء الطفل		مشاهدة التلفزيون
سيئون	جيدون	
١٠,٠١	٧,٨٤	خفيفة
١٥,٠٣	٨,٣٧	كثيفة

فالأطفال كثيفو المشاهدة وترى أمهاتهم أن أصدقاءهم سيئون، هم الذين لديهم مشكلات سلوكية بدرجة كبيرة (م = ١٥,٠٣) بينما يأتي الأطفال ذوو المشاهدة الخفيفة وأصداؤهم جيدون باعتبارهم أقل المجموعات تعبيراً عن المشكلات السلوكية (م = ٧,٨٤) كما أن الأطفال ذوي المشاهدة الخفيفة وأصداؤهم سيئون قد سجلوا متوسطاً مرتفعاً (م = ١٠,٨٢) مقارنة بالأطفال ذوي المشاهدة الكثيفة وأصداؤهم جيدون (م = ٨,٣٧) فالمشاهدة الكثيفة بالتفاعل مع الأصدقاء السيئين قد أحدثت تبايناً جوهرياً في المشكلات السلوكية لدى الأطفال .

أخيراً يأتي التفاعل بين مستوى مشاهدة التلفزيون وطبيعة البيئة الأسرية باعتباره أحد التفاعلات الأساسية التي أحدثت تبايناً جوهرياً من المنظور

الإحصائي في المشكلات السلوكية لدى الأطفال، وذلك وفق ما يوضحه
الجدول الآتي :-

جدول رقم (١١)

متوسطات الدرجة الدالة على المشكلات السلوكية
لدى مجموعات الأطفال حسب مشاهدة التلفزيون ومتغير البيئة الأسرية

البيئة الأسرية		مشاهدة التلفزيون
عنفية	عادية	
١٠,٧	٧,٤	خفيفة
١٤,٠٧	٧,٦	كثيفة

يوضح هذا الجدول أن المشكلات السلوكية تزداد بشدة لدى الأطفال الذين يعيشون في أسر تشهد الشجار والخلاف والتوتر ويشاهدون التلفزيون بكثافة، فكما واضح بالجدول فإن الأطفال كثيفي المشاهدة ويعيشون في بيئة أسرية عنيفة قد سجلوا درجة مرتفعة على مقياس المشكلات السلوكية (م = ١٤,٠٧) علماً بأن هذه القيمة تجعل هذه المجموعة تقع ضمن دائرة الخطر (وجود المشكلات السلوكية الحقيقية حسب المعيار التشخيصي للمقياس المستخدم في الدراسة) أما أقل المجموعات تعبيراً عن المشكلات السلوكية فهم الأطفال قليلو المشاهدة ويعيشون في بيئة أسرية عادية (م = ٧,٤).

عند هذه النقطة تتضح الإجابة الحاسمة بشأن ما إذا كان التفاعل بين مستوى مشاهدة التلفزيون والمتغيرات الوسيطة يؤدي إلى وجود مشكلات سلوكية حسب المعايير المعتمدة إكلينيكيًا، بمعنى أوضح : من هم الأطفال ذوو المشكلات السلوكية؟ لقد سبقت الإشارة إلى أن الطفل يكون لديه مشكلات سلوكية إذا حصل على (١٣ درجة فأكثر) على المقياس المستخدم في الدراسة، وتوضح النتائج السابقة أن الأطفال الذين

حصلوا على هذه الدرجة يبلغ عددهم (٤٤ طفلاً) أي ما يعادل (٢٢%) من العينة ، هؤلاء الأطفال المشكلين ، منهم ٥٦,٨% أي ما يعادل ٢٥ طفلاً ، من ذوي الملاحظة الكثيفة ، أما النسبة الباقية وقدرها ٤٣,٢% أي ما يعادل ١٩ طفلاً فإنهم ذوي الملاحظة الخفيفة ، وقد تبين من التحليل الإحصائي أن الأطفال ذوي المشكلات السلوكية حسب المعيار الإكلينيكي هم هؤلاء الذين يشاهدون التلفزيون بكثافة وفي الوقت نفسه يعيشون في أسر وحيدة الوالدية ، أو يعيشون في بيئة أسرية عنيفة ، أو يتخذون أصدقاء سوء ، كما أن الأطفال الذكور الذين يشاهدون التلفزيون بكثافة هم أيضاً من ذوي المشكلات السلوكية ، أي الفروق بين الجنسين بالتفاعل مع كثافة مشاهدة التلفزيون قد أحدثت تبايناً جوهرياً في الدرجة على مقياس المشكلات السلوكية .

خلاصة النتائج ومناقشتها :

كشفت نتائج هذه الدراسة عن أن كثافة مشاهدة التلفزيون بحد ذاتها لم تحدث تأثيراً جوهرياً في المشكلات السلوكية لدى الأطفال ، لكن كثافة مشاهدة بالتفاعل مع متغيرات أخرى تحدث هذا التأثير ، بمعنى أن كثافة مشاهدة التلفزيون تزداد معها المشكلات السلوكية لدى الأطفال إذا كانت هناك بيئة أو ظروف معينة ، لقد تبين أن الأطفال كثيفي الملاحظة هم الأكثر تعبيراً عن هذه المشكلات إذا كانوا يعيشون في أسر وحيدة الوالدية Single Parenting Families ، أو إذا كانوا يعيشون في بيئة أسرية عنيفة وكذلك إذا كانوا يتخذون أصدقاء سيئين ، في مثل هذه الظروف تكون كثافة مشاهدة التلفزيون من العوامل التي تزداد معها المشكلات السلوكية لدى الأطفال .

هذه النتائج تؤكد أن بعض المتغيرات، وكذلك العوامل السياقية (Contextual) تتوسط تأثير التلفزيون على سلوك الأطفال، هنا نجد الكثير

من الدراسات العلمية التي توصلت إلى نفس النتيجة تقريباً، فإذا كان السلوك المضاد للمجتمع أو غير المقبول اجتماعياً Anti-Social أحد مظاهر المشكلات السلوكية فإن الدراسة التي قام بها شارلتون وزملاؤه (Charlton et al, 1999) عن تأثير التلفزيون على الأطفال، توصلت إلى أن هؤلاء الأطفال يعرفون السلوك المضاد للمجتمع من خلال التلفزيون، لكن معرفتهم بهذه السلوكيات لا تعني القيام بها، وإنما الظروف المحيطة هي التي تحدد ما إذا كانوا سيقومون بها أم لا؟ إن الطفل من خلال مشاهدة التلفزيون - قد يعرف أن هناك سلوكاً يسمى الكذب، وآخر يسمى السرقة، لكن معرفة الطفل بهذه السلوكيات لا تعني بالضرورة أنه سيمارسها. فالمعرفة بهذه السلوكيات تنتقل إلى حيز الممارسة إذا كانت هناك ظروف وعوامل شخصية أو بيئية تدفع الطفل إلى الكذب أو سرقة الأشياء.

وحسب نتائج الدراسة الحالية فإن المتغيرات التي تتفاعل مع مستوى مشاهدة التلفزيون بما يجعل الطفل يظهر مشكلات سلوكية هي : جنس الطفل، نمط الوالدية، أصدقاء الطفل، البيئة الأسرية، وقد سبق تحديد المقصود بهذه المتغيرات. فيما يخص متغير الجنس (Gender) تبين من الدراسة الحالية أن الأطفال الذكور كثيفي المشاهدة هم الأكثر تعبيراً عن المشكلات السلوكية، أما الإناث فهن أقل تعبيراً عن هذه المشكلات، سواء كن يشاهدن التلفزيون بكثافة أو بدرجة قليلة. إن التفسير الموضوعي لهذه النتيجة يتطلب الارتكاز على مبدأ الفروق بين الجنسين سواء في بعض جوانب الشخصية أو اكتساب دور الجنس من خلال عملية التربية والتنشئة لكل من الذكور والإناث. ويكتسب الطفل السلوكيات التي تتفق وجنسه (ذكر أو أنثى) وذلك من خلال المصادر والمواقف والخبرات الموجودة بالبيئة، ويبدأ هذا التعلم بواسطة الأسرة، فالوالدان يدعمان سلوكيات السيطرة والنشاطية والتوكيدية والاستقلالية لدى الأطفال الذكور، بينما يدعمان سلوكيات الدفء والحساسية والعطف

والمساعدة والتعاون لدى الأطفال الإناث ، وفي سياق تعامل الطفل مع البيئة الاجتماعية فإنه يقوم بعملية (نمذجة) عقلية للسلوكيات التي يشاهدها ويدركها من خلال الحواس ، ثم يمارس هذه السلوكيات حسب المواقف وحسب أدوار الجنس كما تحددها ثقافة المجتمع .

وإذا كانت العدوانية إحدى المشكلات السلوكية التي تظهر لدى بعض الأطفال، فإن مؤثرات الثقافة والتثنية لا تشجع العدوانية ولا تستحسنها لدى الإناث وبالتالي يفضلن أساليب غير مباشرة أو غير عدوانية للتعبير عن أنفسهن. أما الأطفال الذكور، كما بينت الملاحظة المنظمة للأطفال في سن الحضنة، فإنهم يبدون عدوانية بدرجة أوضح مقارنة بالإناث، كما أن الاستعداد البيولوجي يجعل الذكور أكثر تعبيراً عن العدوانية فهم أقوى جسمانياً وأكثر نشاطاً وإثارة بسبب هرمونات الذكورة (موسى، ١٩٩١، ص ٢٧).

معنى ذلك أن هناك استعدادات شخصية ومؤثرات في التثنية تجعل الأطفال الذكور أكثر تعبيراً عن المشكلات السلوكية مقارنة بالأطفال الإناث . وهناك بعض الدراسات التي تناولت أثر التلفزيون على شخصية وسلوك الطفل تؤكد هذا المعنى. ففي سياق بحث أثر التلفزيون على الأطفال تؤكد دراسة (Janey, 1999) أن التلفزيون والوسائل الجماهيرية عموماً تؤثر على سلوك الأطفال ، وعلى الرغم من ذلك - حسبما تذهب الدراسة - فإن التثنية التي تدعم الدور التقليدي للأطفال الذكور هي العامل المنبئ بالسلوك العدواني لديهم. أما دراسة (Nathanson, 1999) فقد توصلت إلى أن السلوك العدواني يزداد لدى الأطفال الذكور الذين تزداد مشاهدتهم للرسوم الكرتونية المعبرة عن العنف، بينما لم يزداد هذا السلوك عند الأطفال الإناث اللاتي يشاهدن تلك الأفلام. وعندما يتدخل الوالدان حسبما تذهب الدراسة المذكورة، فإن العدوانية لدى الذكور تقل، في حين لا تتأثر العدوانية لدى الإناث سواء

يتدخل الوالدين أو بدون هذا التدخل، كما أن العدوانية لدى الإناث لم تتأثر أيضاً بمشاهدة الرسوم الكرتونية العنيفة. خلاصة هذه الجزئية أن الدراسة الحالية إذا كانت قد توصلت إلى أن الأطفال الذكور كثيفي المشاهدة هم الأكثر تعبيراً عن المشكلات السلوكية، فإن ذلك يتفق مع شخصية الأطفال الذكور ومع أساليب تنشئتهم، تلك الأساليب التي تدعم فيهم حسب السيطرة والميل إلى القوة وإتاحة الفرصة للمغامرة والبحث عن الإثارة، ومع هذه الأساليب تزداد احتمالات ظهور السلوكيات غير المواتية خاصة إذا انغمس الأطفال في مشاهدة التلفزيون دون تنظيم أو توجيه من الأسرة.

أما بخصوص ما أظهرته الدراسة من أن المشكلات السلوكية تزداد لدى أطفال الأسرة وحيدة الوالدية كثيفي المشاهدة، فإن ذلك يعكس فكرة هامة وهي أن الآثار السلبية للتلفزيون تزداد لدى الأطفال الذين تقوم الأم على رعايتهم مع غياب الأب، وكذلك الأطفال الذين يقوم الأب على رعايتهم مع غياب الأم، وعلى الرغم من أن بعض الدراسات (Grimes, 1999) توصلت إلى أن استخدام الأطفال للتلفزيون لا يرتبط بأنماط الوالدية، إلا أن المصادر العلمية تؤكد أن غياب أحد الوالدين (أيا كان السبب) تزداد معه فرص ظهور الاضطرابات السلوكية لدى الطفل لأن غياب أحد الوالدين تزداد معه احتمالات الحرمان العاطفي، أو افتقاد الحزم والتوجيه، أو افتقاد تعرض الطفل لخبرات متكاملة في التعامل مع المواقف، وكثيراً ما تعاني الوالدية المنفردة من مشكلات ازدواج الدور، ويكون عليها أعباء وضغوط مضاعفة وهنا تقل فرص التوجيه والحزم والتفاعل الاجتماعي التربوي مع الطفل (الرشيدي & الخليفة ١٩٩٧ ص ٥٣٠).

هذه الظروف التربوية التي تقترب بالوالدية الوحيدة تزيد الفرصة لأن تكون (كثافة) مشاهدة التلفزيون عاملاً مساعداً على ظهور المشكلات السلوكية لدى الأطفال، فالطفل في الأسرة وحيدة الوالدية قد يكون مفقداً للبيئة الأسرية

المواتية ومع استغراقه في مشاهدة التلفزيون بكثافة فإنه يسرى العديد من الخبرات والمواقف الاجتماعية بكل ما فيها من تناقضات بين الخير والشر وبين الجمال ونقيضه، ويتفاعل كل ذلك مع واقعه الأسري غير المتساوي فتكون لديه سيكولوجية مناسبة أو مواتية للتأثير السلبي للتلفزيون (Gunter, 2000) وقد أظهرت بعض الدراسات أن ظروف الأسرة من حيث وجود الأبوين معاً، أو وجود أحدهما دون الآخر من أقوى العوامل المنبئة بالتدخل لتنظيم علاقة الأطفال بالتلفزيون (Elkoff, 1999) غير أن الوالدية الوحيدة أو المنفردة كثيراً ما تعاني المشكلات والضغط والأعباء بما قد يجعلها لا تجد الوقت الكافي أو الاهتمام المطلوب للتدخل في تنظيم علاقة الأطفال بالتلفزيون.

وإذا كانت ظروف الأسرة وحيدة الوالدية يمكن أن تعرقل تدخل القائم بالرعاية في تنظيم علاقة الأطفال بالتلفزيون فإن الكثير من الدراسات توصلت أن هذا التدخل أمر ضروري كي يتسنى استفادة الطفل من التلفزيون وتلافي تأثيره السلبي، فقد تبين أن تدخل الوالدين في تنظيم مشاهدة الأطفال لأفلام الكرتون العنيفة يقلل من إعجاب الأطفال بمرتكب العنف، كما يزيد اهتمامهم هؤلاء الأطفال من العنف، ويقلل أيضاً من تأثير سلوكهم الظاهر بالعنف الكرتوني الذي يعرضه التلفزيون (Nathanson, 1999) من جهة أخرى، فإن ظروف الأسرة وحيدة الوالدية قد تجعل التواصل الوالدي مع الطفل قليلاً أو مضطرباً، وهنا يفقد الطفل فرصاً أفضل للاستفادة من التلفزيون، فقد تبين أن كثافة الاتصال الوالدي مع الأطفال ترفع مستوى طموحهم التعليمي، وتتيح الفرصة لاختيارات أفضل في مشاهدة التلفزيون وتحول دون تأثيره السلبي عليهم (Tan et al, 2000) هذه المزايا التي تتيحها كثافة الاتصال الوالدي (Parental Comm.) قد تكون أقل في الأسرة وحيدة الوالدية مقارنة

بالأسرة ثنائية الوالدية ، وذلك بسبب الأعباء والهموم والتي كثيراً ما تلقى على عاتق القائم بالرعاية في الأسرة وحيدة الوالدية .

المتغير الآخر الذي ثبت أنه يتفاعل مع كثافة مشاهدة التلفزيون بما يؤدي إلى زيادة المشكلات السلوكية لدى الأطفال هو متغير "أصدقاء الأطفال" ، لقد تبين من الدراسة أن المشكلات السلوكية تزداد لدى الأطفال كثفي الملاحظة ولديهم في الوقت نفسه أقران (peers) سيئون وذلك حسب آراء الأمهات . ومن الثابت علمياً أن جماعة الأقران تؤثر في سلوك الطفل ، وتحدد شدة هذا التأثير بدرجة الولاء للجماعة ومدى تقبل معاييرها واتجاهاتها، وتؤكد الأدبيات المتخصصة على ضرورة معاونة الطفل في اختيار أنسب جماعات الرفاق حتى يتجنب الوقوع في أخطاء الانحراف (شفيق ، ١٩٩٧ ص ٣٧) . وقد تمثل جماعات الرفاق في أصدقاء اللعب أو زملاء الدراسة أو أبناء الجيران والأقارب ... الخ ، هؤلاء يؤثرون في سلوك الطفل إيجاباً أو سلباً حسب طبيعتهم، ويزداد التأثير السلبي إذا افتقدت أسرة الطفل صفاتها كقوة جذب تستقطبه وتوجهه الوجهة السليمة، هنا يبحث الطفل عن قوة جذب اجتماعية بديلة، أو أقران في مثل سنه، يجد فيهم المتنفس لطاقته ونشاطه، فإذا كان هؤلاء الأقران سيئين فإن الطفل سيتأثر بهم بدرجة أو أخرى ، هذا التأثير يجعله مهياً من الناحية السيكولوجية للتعامل مع المؤثرات الاجتماعية الأخرى - وفي مقدمتها التلفزيون - بطريقة تنفق وسلوكه في إطار جماعة الأقران .

من جهة أخرى تبين أن كثافة مشاهدة التلفزيون المصمحوية بيئة أسرية عنيفة، يكون معها سلوك الطفل معبراً عن مشكلات حقيقية . إن البيئة الأسرية العنيفة هي تلك التي تشهد الشجار والصراع بين الزوجين أو بين الأبوين أحدهما أو كليهما - وبين الأبناء الكبار، هذا الجو المشحون بالتوتر والعنف أمام الأطفال يجعلهم أقل شعوراً بالأمن، كما يجعلهم عرضة

للمخاوف والقلق، ويوصل فيهم انتقائية وإدراك المثيرات وتفسيرها على نحو يتفق والظروف الأسرية التي يعيشون فيها بما في ذلك تلك المثيرات التي يشاهدونها في التلفزيون.

فالمصراع أو العنف أو السلوك المضاد للمجتمع إنما يدركه الطفل ويختزنه في الذاكرة بموجب معالجة معرفية بالغة التعقيد، ثم يعيد إنتاجه في صورة استجابة سلوكية ظاهرة (إعادة الإنتاج الحركي) وكثيراً تكون سلوكيات الأطفال تقليداً واضحاً لما شاهدوه عبر التلفزيون أو في حياتهم الواقعية، فالطفل الذي يعيش في بيئة أسرية صراعية ومتوترة وعنفية، فإن (نمذجة) هذه السلوكيات تدعم بمشاهدة الخبرات نفسها أو خبرات مماثلة من خلال التلفزيون (Frydman, 1999)، وسواء كان العنف الذي يشاهده الأطفال عنفاً حقيقياً (في الواقع) أو عنفاً خيالياً (عبر الوسائط المرئية) فإن ذلك يؤثر الاستعداد لدى هؤلاء الأطفال بأن يستخدموا أسباباً غير مواتية أخلاقياً في تبرير أحكامهم على المنحرف، بمعنى أنهم يرون أن هذا السلوك لا بأس به، طالما كان يطيع حاجة لديهم حتى وإن كان يتناقض مع الصواب (Krenmar & Valkenburg, 1999)

من الواضح إذن أن كثافة مشاهدة التلفزيون تؤثر في شخصية وسلوك الطفل إذا وجدت ظروف اجتماعية غير مواتية، وبصرف النظر عن المتغيرات التي بحثتها الدراسة فإن هناك عوامل أخرى كثيرة يمكن أن تدعم تأثير التلفزيون سلباً على سلوك الطفل، من ذلك مثلاً تماثل الوالدين تجاه السلوك الذي يقوم به الطفل رغم أن هذا السلوك يناقض القيم والأخلاق، فالتربية السليمة تتطلب الضبط والتوجيه لسلوك الطفل. كما أن كثافة مشاهدة التلفزيون تؤثر سلباً على سلوك الطفل وشخصيته إذا لم يتدخل الأب أو الأم لتنظيم علاقة الطفل بالتلفزيون ومساعدته على اختيار الأفضل وتعويده السيطرة على رغبته في المشاهدة.

ويتأثر استخدام الطفل للتلفزيون بمدى وعي القائمين على الرعاية وكذلك بطبيعة البيئة الأسرية مع التأكيد على الدور الجوهري للأم ، حيث تبين بعض الدراسات أن الأمهات الأعلى تعليمياً في بيئة أسرية هادئة يكون فيها الأطفال أكثر إقبالاً على مشاهدة المواد التلفزيونية المفيدة وأكثر انغماساً في الأنشطة التعليمية والتفاعل الاجتماعي السليم (Huston et al, 1999) ومن هنا فإن الأمهات المطلقات أو الأرامل أو اللاتي يقمن على رعاية الأطفال في ظل غياب الأب لأي سبب آخر، يمكنهن تنظيم حيساتهن الأسرية وتعميق والتفاعل الاجتماعي مع أطفالهن دون تدليل زائد أو قسوة مفرطة ، في هذا الإطار يكون ضبط سلوك الطفل وتعويده على القيم والفضيلة أمراً سهلاً. وقد يجد بعض الآباء صعوبات أو مشكلات في تنظيم مشاهدة التلفزيون بسبب تعارض ذلك مع رغبات الأطفال وبالتالي ينتج صراع بينهم ، غير أن ذلك لا ينبغي أن يكون مبرراً لأن يترك الطفل يشاهد التلفزيون دون تنظيم (Nally et al 2000) ، وقد ظهرت حديثاً بعض البرامج المتلفزة التي تستهدف دعم الأسرة والوالدية في تنظيم علاقة الأطفال بالتلفزيون، وكذلك في التعامل مع المشكلات السلوكية لدى الأطفال، وهذه البرامج تتم في إطار استراتيجيات متكاملة وعلى مستويات مختلفة، وتتبناهما مؤسسات التلفزيون وبعض المؤسسات التربوية في الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية وتفيد دراسة حول تقييم أثر هذه البرامج بأنها قد حققت نتائج إيجابية في التوافق الأسري وقللت نسبة المشكلات السلوكية لدى الأطفال من ٤٢,٩% إلى ١٤,٣% (Sanders et al 2000) .

أخيراً فإن تدخل الوالدين لتنظيم علاقة الطفل بالتلفزيون لا يقتصر على مجرد تنظيم وقت وتوقيت المشاهدة والمضمون الذي يشاهده الطفل ، وإنما يشمل أيضاً كيفية أو طريقة المشاهدة وظروفها ، فاقتراب الطفل من التلفزيون أثناء المشاهدة له أضرار صحية ونفسية ، ويوصي المختصون

بالأقل المسافة بين التليفزيون والطفل أثناء المشاهدة عن ثلاثة أمتار ، كما أن وجود التليفزيون في غرفة نوم الطفل يؤثر على الجهاز العصبي والذاكرة، وفي ذلك يقول أحد علماء الطب النفسي إن أي تشويش يؤثر على الجهاز العصبي خاصة ذلك التشويش الصادر عن التليفزيون وأجهزة الكمبيوتر ، فهما يصدران موجات كهربائية تتضاعف عندما تكون الغرفة مظلمة بما يؤثر سلباً على ذاكرة الطفل وجهازه العصبي (جريدة الأهرام ، العدد ١٩٦٤ بتاريخ ٢٨ أكتوبر ٢٠٠١ ، ص ٢) ، ومع هذا الاستخدام الخاطئ ، فإن التليفزيون يكون له تأثيرات سلبية محتملة على الطفل من حيث الشخصية والسلوك .

المصادر والمراجع:

(أ) مصادر ومراجع عربية:

- جبر، منى عبد الفتاح (١٩٧٣) دور التليفزيون في تثقيف الطفل المصري. رسالة ماجستير. القاهرة. جامعة القاهرة. كلية الآداب.
- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء (يونيو ١٩٩٨) الكتاب الاحصائي السنوي ١٩٩٢ - ١٩٩٧. القاهرة. الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء.
- الحفنى، عبد المنعم (١٩٩٢) موسوعة الطب النفسي. ج ٢. القاهرة. مكتبة مديولي.
- الرشيدى ، بشير صالح & الخليفى ، إبراهيم محمد (١٩٩٧) سيكولوجية الأسرة والوالدية . الكويت . ذات السلاسل .
- رمزي، ناهد (١٩٧٥) التليفزيون للصغار. مجموعة أبحاث ندوة ثقافة الطفل. القاهرة. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناية.



الإعلام والأزمات



المقدمة

تشهد الساحة الإعلامية اندفاعاً محمومة تطال مجالات وتتطلع إلى آفاق غير مسبوقة . تندفع الممارسة الإعلامية كالسهم، وتجدد نفسها بإيقاع متسارع عبر متواليات هندسية مذهلة السرعة .

صحيح أن الإعلام علم وفن تطبيقيين، وصحيح أن قدره معانقة الراهن والآتي، وصحيح أنه لا يستطيع أن يتأخر في أن يكون أول تماس، أو حتى أول التحام واشتباك مع هذا الواقع الموضوعي، الذي يُعتبرُ التغيير الدائم الحقيقة الوحيدة الثابتة فيه . ولكن الصحيح أيضاً، وهذه واحدة من سمات عصرنا الإعلامي، أن الممارسة الإعلامية تتقدم وفق متواليات هندسية بين الممارسات والأدبيات والتشريعات الإعلامية تتقدم وفق متواليات حسابية . ماذا كانت النتيجة؟ تجاوز الممارسة للنظرية والتشريعات وحتى للأخلاقيات بزيادة الفجوة الفاصلة بينهما .

لا يعرف العمل الإعلامي ترف الانتظار والتروي، ولا ينسجم كثيراً مع طقوس الدواوين والمكاتب، ولا مع تقاليد مراكز الأبحاث والدراسات، كما أنه لا يتنفس بحرية في أجواء بيروقراطية الجامعات . قوته تكمن في عناقته الحميم والأبدي مع شعلة الحياة المتغيرة الأطياف والألوان . وتبقى الممارسة هسي الحياة، وهي الورقة الخضراء، وتبقى النظرية، على أهميتها، هي الورقة الصفراء .

يتحول الإعلام إلى علم له نظرياته وأدبياته وقوانينه، المتخلصة من إبداع الممارسة وريادتها، والمستفيدة من نتائج العلوم الإنسانية والاجتماعية وحتى الطبيعية والرياضية . وقد استطاعت المجتمعات المتطورة أن تضيق نتائج هذا العلم إلى رصيد قوتها، وأن ترفع من مستوى أدائها الإعلامي .

في وطننا العربي، ما زلنا نعيش إعلامياً، نظرية وممارسة، في حالة من التبعية . إننا نستورد الأجهزة والنظريات والمفاهيم والمناهج، نأهيك عن المعلومات والأفكار والقيم . قطعاً ثمة أسباب ذاتية وموضوعية لهذه الحالة .

لا شك أن الفكر الإعلامي العربي قد أخذ يتحسس واقعه ومشكلاته . يتجلى ذلك في الجهد البحثي الإعلامي الذي أخذ يتوسع ويتعمق في أكثر من عاصمة عربية . وبالرغم من نقاط الضعف الكثيرة التي يعاني منها هذا الجهد، فإنه يبقَى نقطة مضيئة في سمائنا الإعلامية، يجب أن نحرص عليها، ونحاول تطويرها .



الإعلام في مواجهة الأزمات

الإعلام والأزمة :

يُستخلص من الأبحاث الإعلامية التي تعرضت للتأثير المتبادل بين الأزمة والإعلام النتائج التالية: تؤدي ظروف الأزمة إلى تزايد:

- أهمية الدور الوسيط *Intermediary Role* ، الذي تقوم به وسائل الإعلام، وخاصة ما يتعلق بإنجاز المهام التالية: تقديم المعلومات، شرح أهمية ومغزى الأحداث، بناء الوفاق الاجتماعي، وتخفيف التوتر والقلق .

- هناك من يرى أن الأزمة تؤدي إلى دعم ومساندة أدوار وسائل الإعلام، وخاصة ما يتعلق ببناء الوفاق وتخفيف التوتر . وهناك من يرى أن ظروف الأزمة وما تفرضه من تدخلات وقيود وإجراءات سوف تؤدي إلى تحجيم دور الإعلام، وخاصة ما يتعلق بتقديم المعلومات وشرح مغزى الأحداث وأهميتها، بذريعة عرقلة المجهود الحربي ٣٩ .

- تجذب الأزمة اهتمام وسائل الإعلام، ولكنها أيضاً وبالمقابل تجذب اهتمام الرأي العام بوسائل الإعلام، الذي يصبح أكثر تعرضاً لها . وهذا ما يفسر حقيقة أن ظروف الأزمة تتميز دائماً بالاستخدام المكثف لوسائل الاتصال .

يتحدد دور الإعلام في مواجهة الأزمة على أساس المعطيات التالية:

١ - التفسير الإعلامي :

يتميز الإعلام المعاصر بالكثافة والغزارة وجدة المناقشة . يتعرض الفرد المعاصر لرسائل إعلامية أكثر من قدرته على متابعتها والاطلاع عليها وفهمها . وكذلك أكثر من الوقت الذي يستطيع أن يخصصه أي فرد للتعرض لوسائل الاتصال . ترتب على ذلك إحتدام المناقشة بين الرسائل، وتزايد الجهود المبذولة لتقديم رسائل مبتكرة ومتطورة وجذابة، قادرة على أن تنافس، وأن تصل، وأن تؤثر .

أتاح التطور التكنولوجي وتطبيقاته المتسارعة في مجال الاتصال للفرد المعاصر أن يبرمج تعرضه، وأن يحدد خياراته، وأن ينتقي . ولم يعد بالتسالي محاصراً بوسائل إعلام وطنية أو إقليمية أو دولية محدودة . أصبح بإمكانه أن

بنوع مصادر الإعلام، ويختارها بدقة. ترتب على ذلك ازدياد مهمة الوصول إلى هذا المتلقي المعاصر صعبة وتعقيداً. كذلك مكن هذا التطور القوى المحلية والإقليمية والدولية من أن توجه رسائلها على مدار الساعة، إلى المكان الذي تريد، وفي الوقت الذي تريد، إلى الجمهور الذي تريد. وبغض النظر عن أية حدود جغرافية أو اعتبارات السيادة الوطنية، أو التشريعات القانونية، ترتب على ذلك ضرورة تقديم رسالة إعلامية مدروسة ومناسبة.

٢- سيكولوجيا الأزمة:

- الأزمة، كما أشرنا سابقاً، وضع استثنائي معقد، يتمتع ليطال جوانب حياة المجتمع كافة، يترك هذا الوضع مناخاً سيكولوجياً يتميز بالسمات التالية:
- الإحساس بنوع معين من التوجس والقلق، تمثل الأزمة، بمعنى ما، حالة انقطاع في سياق مستمر. تشد الانتباه، وتستدعي استجابات وردود فعل، وتبرز أثناء الأزمة الحاجة للشعور بالأمن والطمأنينة.
- الحاجة إلى المعرفة، ما الذي حدث؟ ولماذا حدث؟ وما هي الأسباب؟ وأفاق التطور؟ تبرز أثناء الأزمة الحاجات الإعلامية المعرفية والفكرية.
- الحاجة إلى الشعور بالثقة بالذات. تتزايد الشكوك أثناء الأزمات، وترتفع درجة عدم الاستقرار المعرفي والفكري والنفسي، وتبرز الحاجات الإعلامية للشعور بالثقة بالذات، وبالمقدرة الذاتية.
- تضعف أثناء الأزمة مقاومة الناس للتأثر بأية أقوال أو مواقف أو رسائل إعلامية خارجية، ويكون الفرد أكثر طلباً وأكثر استعداداً، وأكثر عرضة وقابلية للإخفاق.
- تستدعي الأزمة حداً من استنفار المعرفة، والمعارف والأفكار والمواقف في حياة الفرد والمجتمع، ويتم تخصيص وقت أكثر للتعرض لوسائل الإعلام المختلفة الداخلية والخارجية، كما تصبح الأزمة وتطوراتها موضوع الأحاديث اليومية، ويزداد بالتالي الاستهلاك الإعلامي شراهة.
- الأزمة لا تعني النهاية، بل هي عبارة عن موقف يستدعي إمكانيات أخرى للتكيف، وميكانيزمات جديدة للتبدل والتحول. وهذا ما يتطلب نشاطاً فكرياً يتركز حول مهمة توليد المعاني، يستطيع إعلام الأزمة أن يقوم بدور فاعل ولافت في هذا المجال.

٣- تزايد أهمية البعد الإعلامي في إدارة الأزمة:

يمكننا بهذا الصدد تسجيل الحقائق التالية:

- يشكل الإعلام المعاصر خط التماس الأول للتعامل مع الأزمة، إن أئمة الإعلام وموضوعه، ودورياته، وموروثه، وتنوعه، أمور تجعله الفعالية الأكثر تأهيلا للتعاطي مع الأزمة منذ مراحلها المبكرة جدا، وذلك بعكس البحث أو الكتاب أو المسرحية أو الرواية أو الفيلم، التي بحكم طبيعتها، تحتاج إلى زمن أطول للتعرض للأزمة ومعالجتها.

- أصبح الإعلام المعاصر الشائسة العريضة التي تظهر عليها، وتتوضح، وتتكشف، مختلف الصراعات والأزمات في المجالات كافة، وهذا ما يفسر تعدد، وتوسع، وتعمق الروابط والهوامش المشتركة بين الإعلام والعلوم والمجالات المختلفة، أصبحت اهتمامات الإعلام المعاصر عامة ومتنوعة، وتتسع لتشمل مجالات الحياة كافة، بخطابه عنام ومفتش، يتسع ليشمل المجتمع كافة، والرأي العام الإقليمي والدولي، وفي ضوء ذلك يمكن فهم انجذاب الفعاليات والمجالات الأخرى (السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية...) (السخ) وانذافها صوب الساحة الإعلامية لتتخذ من واقعها، ولمعالجة أسورها، وتقوية تأثيرها، ومخاطبة جماهيرها.

- يزداد الإعلام المعاصر التزاما بالقوى الفاعلة في المجتمع وفي النظام العائد، ففي الأنظمة "للتعددية"، وكما رأينا سابقا، تعود مرجعية وسائل الإعلام المادية والفكرية والإعلامية إلى القوى الاقتصادية الفاعلة في المجتمع، هذه القوى المرتبطة بالدولة وآلياتها وميكانيزماتها، والملتحمة بها إلى درجة الاندماج، وفي الأنظمة "غير التعددية" تعود (في الأعم والأغلب) ملكية وسائل الإعلام إلى النظام وأجهزته ومؤسساته، هو الذي يوجد لها، ويحدد استراتيجيات عملها، ومطالقاتها، وهكذا نرى أن المؤسسات الإعلامية، وبغض النظر عن نوعية الأنظمة، ليست أكثر من مجرد أدوات وأجهزة مكرسة لخدمة الأنظمة القائمة، المتغير الوحيد هو أشكال وأساليب هذه الخدمة، والحرقية الإعلامية المستخدمة، والمهام والوظائف المطلوب تحقيقها، والقوى المطلوب خدمة مصالحها.

٤- تراجع التجربة المباشرة:

يتزايد تراجع التجربة الشخصية المباشرة للفرد المعاصر كوسيلة للتعرف على الواقع والحصول على المعلومات والمعرفة الضرورية لتكوين الرأي وتحديد الموقف وتقرير لمط الملوك، ويعود هذا التراجع إلى اتساع القضايا

المثارة، وتعدد وتنوع الحاجات الإعلامية للفرد، والتطور التكنولوجي، وطبيعة الحياة وإيقاع العصر . أدى هذا التراجع إلى تزايد أهمية الدور الوسيط الذي تلعبه وسائل الإعلام . بحيث أصبح من الممكن القول أن مسا تقممه وسائل الإعلام، وليس التجربة المباشرة، هو الأساس لتكوين معارف وقيم وآراء الناس وبالتالي لتحديد اتجاهاتهم ومواقفهم، ومن ثم سلوكهم . "إن الجيل الجديد لم يعد يعرف العالم بشكل محدد على أساس القراءة أو على أساس التحليلات المثبتة ليدولوجيا، ولا على أساس الوصف الشامل، إن هذا الجيل يمارس ويشعر بالعالم من خلال الاتصال السمعي-البصري" ٤٠ .

من المؤكد أن الأزمة ليست أساسا مسألة إعلامية، ولكن، وبالرغم من أن بعض الأزمات، وفي مراحل ما من تطورها، يتسم مواجهتها وحلها عبر قنوات الدبلوماسية الهادئة، فإن المعطيات الراهنة تؤكد تزايد البعد الإعلامي في المراحل المختلفة لمواجهة الأزمة . ولهذا أصبح الطرف الإعلامي متزايد الحضور، وقوي الصوت، كطرف فاعل، وكساهم نشط في المراحل المختلفة لإدارة الأزمة (التشخيص، ووضع الاستراتيجية، ورسم الخطط والبرامج، والتنفيذ، واستخلاص الدروس والعبر) . أصبح الإعلام طرفا فاعلا في المستويات المختلفة لإدارة الأزمة .

٥ - معالجة الأزمة:

ثمة نوعان من المعالجات الإعلامية للأزمة:

- المعالجة المثيرة: التي تستخدم تغطية تميل إلى التسهيل والمعالجة السطحية، والتي ينتهي اهتمامها بالأزمة بانتهاء الحدث، وهي معالجة مبتورة، تؤدي إلى التضليل وإلى تشويه وعي الجمهور . وتعتبر هذه المعالجة استجابة لما تفرضه اعتبارات السلطة في بعض الأنظمة أو احتياجات السوق الإعلامية، التي تقوم على أساس التركيز على الوظائف التسويقية للإعلام دون النظر إلى الوظائف التربوية أو التنقيفية .
- المعالجة المتكاملة: وهي المعالجة التي تتعرض للجوانب المختلفة للأزمة (مواقف الأطراف المعنية، الأسباب، السياق، التطورات، الآفاق) . تتمم هذه المعالجة بالعمق والشمولية والمتابعة الدقيقة، التي تحترم موضوعها ومتلقيها . وتستخدم من أجل تحقيق ذلك من خلال أحد الأسلوبين التاليين:
- النمط العقلي، الذي يقوم على أساس تقديم المعلومات الصحيحة والموثقة .
- والنمط النقدي، الذي يقوم على أساس تقديم المعلومات مع محاولة إشراك

الجمهور المتلقي . والاتطلاق من المستوى الواقعي لوعي الجماهير، وربط
المعالجة بمصالح واهتمامات الجماهير .
تهدف التغطية المتكاملة إلى تكوين موقف متكامل ووعي عميق بالأزمة مر
خلال المعرفة العلمية السليمة لمعطيات الأزمة .
ولذلك يحاول هذا النوع من التغطية:

إعطاء صورة كاملة تتسم بالوضوح والاتساق والشمول لمختلف جوانب
الأزمة، وتقديم تاريخ وسياق الأزمة، وكذلك تقديم آفاق تطورها . وهي تراعي
في ذلك كله المستويات المختلفة للجمهور، والاعتماد على كواثر إعلامية مؤهلة
ومعروفة، والتركيز على الأبعاد المحلية للأزمة .

وتحاول هذه التغطية تجنب المخاطر التالية: أحادية النظرة إلى
الأزمة، والاقتصار على التغطية الجزئية، والاهتمام بالأبعاد الخارجية وإهمال
المحلية أو العكس .

كما تواجه مصاعب عامة من أهمها:

- عدم وضوح الأزمة، والعدم وقلة المصادر الموثقة والدائمة
والمتجددة، والدور السلبي للوسائل المعرفية (الوكالات، الإذاعات، المصادر
الرسمية)، وغياب التنسيق بين الأطراف المختلفة المعنية بالأزمة .

كما تواجه هذا النوع من التغطية مصاعب مهنية إعلامية أبرزها:

- نوعية وطبيعة السياسة الإعلامية المحددة من جانب دوائر صنع القرار .
- المستوى العلمي والمهني للإعلاميين والصحفيين المشاركين في التغطية .
- تخلف الأداء المهني للإعلاميين وخضوعهم للبيروقراطية الإعلامية .

٦- التعدد والتكامل في الأداء الإعلامي أثناء الأزمة :

تنطلق مختلف وسائل الإعلام التي تشكل المنظومة الإعلامية في البلد من
منطلقات واحدة، وخاصة أثناء الأزمة الخارجية، في الأنظمة "غير التعددية"،
وتعمل غالباً ضمن استراتيجية واحدة، ومن أجل تحقيق أهداف واحدة . ولذلك
نرى أهمية:

- أن تعمل هذه المنظومة كوحدة متكاملة، بحيث تنجز الوظائف والمهام الملقاة
على عاتق الإعلام أثناء الأزمة .

- أن تسعى كل وسيلة إعلامية إلى إنجاز مهامها ووظائفها المحددة في
إعلام الأزمة بما يتناسب مع نوعيتها، وشخصيتها، ومجالها، وجمهورها . وأن

للمواجهة . الذهنية العقلانية، والمنهجية العلمية تتفياح وجود أي تعارض بين العام والخاص، أو بين القانون العلمي وشكل تطبيقه في بيئة معينة . تحويل القانون (العام) إلى "تابو" بتطبيقه بشكل قسري، ممارسة تصادر خصوصية الواقع لحساب الفهم الخاطي للقانون، وتسمى لكل من العام والخاص . كما أن تحويل خصوصية الواقع إلى "تابو" وتغييب العام منه، ممارسة تبتعد عن العقل والعلم وتغرق في نزعة ذاتية ضيقة ومغلقة تصادر العام لصالح الفهم الخاطي للخاص . ما تقدم يثبت ما أكدناه مراراً: خطورة تطبيق الوصفات الجاهزة (المتناقضة مع العام والخاص)، وضرورة توليد الأفكار . وهذا ما يؤكد حقيقة، لن نتعب من تكرارها، وهي أن الممارسة الإعلامية هي في جوهرها عملية فكرية (وليست إطلاقاً حركية)، وأن الإبداع هو جوهر العملية الإعلامية، وإذا ما انتفى أو غُيِب، انتفت العملية وغُيِبَت .

في ضوء ما تقدم نحاول اقتراح سيناريو لإدارة الإعلام أثناء الأزمة في ظروف البلدان الدامية والأنظمة السائدة فيها . يمكن تحديد خطوات هذا السيناريو على النحو التالي:

١ - تحديد الرؤية العامة للأزمة:

تجتمع القيادة السياسية، وتضع الأسس والمنطلقات العامة والمبدئية لفهم الأزمة والتعامل معها ومواجهتها . وتعتبر هذه الأسس والمنطلقات بمثابة الإطار العام الذي يُحدّد المنظور العام، ولكن غير النهائي للأزمة . تقوم القيادة السياسية بعد ذلك بتشكيل لجنة خاصة، عبارة عن فريق عمل متكامل، يضم قياديين وخبراء واختصاصيين في المجال المُحدّد للأزمة، وفي المجالات الأخرى ذات الصلة . وغالباً ما يكون ممثل القيادة الإعلامية ممثلاً في هذه اللجنة .

٢ - تشخيص الأزمة:

يقوم فريق العمل هذا بجمع المعلومات والبيانات المتعلقة بعناصر الأزمة كافة، وبمختلف أطرافها وجوانبها، ومن ثمّ قراءة هذه المعلومات والبيانات، وتفسيرها وتحليلها، للتوصل إلى رؤية شاملة، وإلى فهم عميق لطبيعة الأزمة، وجوانبها المختلفة . وذلك ضمن الإطار العام الذي حددته القيادة، ووفق المنطلقات العامة التي حددتها، طبعاً ما لم تستجد أمور أو تتكشف معطيات هامة قد تستدعي إعادة نظر جذرية تطال حتى الأسس والمنطلقات العامة التي حددتها

القيادة السياسية . في هذه الحالة يتم التغيير طبعاً بإشراف القيادة السياسية ، يجب أن تتميز عملية تشخيص الأزمة باللموسة والدقة والموضوعية ، كما يجب أن نرى وأن تفهم وتقيم المعطيات المتعلقة بالأزمة كما هي في الواقع لا كما تريد اللجنة الخاصة أو تتصور . صحيح أن هذه اللجنة لا تدرس الأزمة كمسألة حرفية ، أو كقضية محايدة ، إنها معنية بالأزمة ، وهي طرف فيسها ، وتقوم بدراستها وفق منظور معين حددته القيادة السياسية العليا للبلاد . ولكن هذا لا يعني إطلاقاً الفرق في نزعة ذاتية ، يتفني الفهم الموضوعي ، وتستبدل الرغبات وربما الأوهام بالحقائق الموضوعية . الإطار العام الذي حددته القيادة السياسية ليس أكثر من توجه عام ، وربما هدف يسعى لتحقيقه ، ولذلك يجب ألا يتحول إلى ذريعة للفشل في التشخيص الموضوعي لواقع الأزمة .

٣- وضع المشروع الأولي لاستراتيجية المواجهة:

يقوم فريق العمل بتحليل عميق وشامل للموقف ، ويضع المشروع الأولي للاستراتيجية العامة للتعامل مع الأزمة ، ويحدد برامج المواجهة في المجال المحدد للأزمة ، وفي المجالات الأخرى ذات الصلة .

ويرفع فريق العمل دراسته (مشروع الاستراتيجية العامة لمواجهة الأزمة) إلى القيادة العليا . صحيح أن ممثلي هذه القيادة شاركوا مع الخبراء والاختصاصيين في وضع مشروع المواجهة ، ولكن تبقى القيادة السياسية العليا هي صاحبة القرار الفصل . ولذلك تقوم هذه القيادة بتقويم الدراسة ، وإقرار ما تراه مناسباً بشأنها ، وربما تستعين ببعض الخبراء والاختصاصيين لتناقش معهم جانباً ما أو قضية معينة . وقد تقرر القيادة الدراسة - المشروع ، أو تجري تعديلات عليه ، وقد تطلب إعادته كلية . وفي حالة اعتماد الدراسة تصبح منهجاً عاماً لإدارة الأزمة ، لا بد أن تستمر به ، وتعمل على هديه الجهات المعنية كافة .

٤- هيئة أركان مركزية:

تشكل القيادة السياسية هيئة أركان مركزية دائمة لإدارة الأزمة ، ترتبط مباشرة بالقيادة السياسية العليا ، تضم هذه الهيئة قياديين ومسؤولين كباراً في مجال الأزمة ، وفي المجالات الأخرى ذات الصلة . تكون هذه الهيئة بمثابة العقل المركزي المسؤول عن إدارة الأزمة بمراحلها المختلفة ، وعن ضمان ومراقبة تنفيذ الاستراتيجية العامة لمواجهة الأزمة في المجالات كافة . تشكل هيئة

الأركان المركزية فرق عمل في المجالات والقطاعات المعنية بالأزمة، تكون مسؤولة عن تنفيذ ما يخصها من إدارة الأزمة في مجالها المحدد، وترتبط مباشرة بهيئة الأركان المركزية، كما تشكل مركزا دائما لتقييم إدارة الأزمة في المجالات المختلفة، يتصل مباشرة بفرق العمل في المجالات المختلفة، ويكون مسؤولا أمام هيئة الأركان المركزية عن تقييم الأداء المتعلق باستراتيجية وتكتيكات وخطط إدارة الأزمة.

٥ - هيئة أركان إعلامية:

تحدد القيادة الإعلامية بالتعاون مع هيئة الأركان المركزية وبموافقتها هيئة أركان إعلامية مركزية، ترتبط مباشرة عن طريق رئيسها بهيئة الأركان المركزية، وتكون مسؤولة أمامها عن القيام بالدور المحدد للإعلام في الاستراتيجية العامة للمواجهة، وتضم ممثلين عن القيادة السياسية والقيادة الإعلامية والمؤسسات الإعلامية، بالإضافة إلى بعض المستشارين والخبراء والأختصاصيين.

يمكن وضع الأطر العامة التي تحدد كيفية التعامل إعلاميا مع الأزمة على النحو التالي:

- ١- نوعية وطبيعة وحجم الأزمة.
- ٢- طبيعة النظام السائد.
- ٣- نوعية النظام الإعلامي السائد.
- ٤- نوعية المنظومة الإعلامية المتوفرة.
- ٥- نوعية وحجم الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة.
- ٦- موقف الدولة من الأزمة.
- ٧- الاستراتيجية العامة التي حددتها القيادة السياسية ممثلة بهيئة الأركان المركزية لمواجهة الأزمة.

أسس الخطاب الإعلامي:

في ضوء الأطر السابقة يتم إنتاج خطاب إعلامي وفق الشروط التالية:

- ١- يقوم على أساس الاستراتيجية العامة لإدارة الأزمة التي وضعتها القيادة السياسية ممثلة بهيئة الأركان المركزية، وينطلق من الأسس العامة لهذه الاستراتيجية، ويسعى لتطبيقها بشكل خلاق ومبدع. يدرك بشمولية وعمق الطبيعة الخاصة لكل مجال من المجالات، على ضوء ظروفه

وموقعه على الخريطة العامة لإدارة الأزمة، ويساهم في صياغة رؤية متكاملة للمجالات كافة أثناء الأزمة.

٢- يفهم جيداً طبيعة الجمهور المستهدف (خاص أم عام، محلي أم خارجي، معارض أم مؤيد، متعلم ومتقن أم عادي . . . الخ).

٣- يدرك ويعمق الخصائص المميزة لكل وسيلة إعلامية.

مهام هيئة الأركان الإعلامية:

تفرض ضخامة النشاط، وتنوع الأجهزة والوسائل، وضبط النشاطات والفعاليات، وخطورة وحساسية الإعلام أثناء الأزمة، ضرورة عدم ترك أي شيء للارتجال . وانطلاقاً من الأسس والأطر السابقة، واستناداً إلى معوقات تشكيل هيئة الأركان الإعلامية وطبيعتها، يمكن تحديد مهامها على النحو التالي:

١. أن تكون أعلى سلطة إعلامية وأن تمثل المرجعية الوحيدة للإدارة الإعلامية للأزمة، وأن تكون صلة الوصل بين القيادة العليا الممثلة في هيئة الأركان المركزية ووسائل الإعلام المختلفة.

٢. أن تضع الخطط والبرامج الإعلامية العامة الكفيلة بتطبيق الاستراتيجية العامة لإدارة الأزمة في كل مرحلة من مراحل تطور الأزمة.

٣. أن تضع، وبالتنسيق مع الوسائل الإعلامية المختلفة الخطط والبرامج المناسبة لهذه الوسائل، وبما يتفق مع خصوصيتها ونوعيتها وشخصيتها.

٤. أن تحدد المسارات العامة المتعددة للإعلام الموجه إلى الخارج عموماً، وإلى الأطراف المعنية بالأزمة على وجه الخصوص.

٥. أن ترسم وأن تحدد مضامين وأشكال ووسائل الإعلام الموجه إلى الخصم - العدو أثناء المراحل المختلفة للأزمة، وبما يتناسب مع تطوراتها.

٦. أن تحدد الموارد والمتطلبات المادية والبشرية الضرورية لتحقيق الخطط والبرامج التي تم اعتمادها.

٧. أن تتابع متابعة شاملة ودقيقة إعلام الخصم وإعلام الأطراف الأخرى المعنية بالأزمة والإعلام العالمي عموماً، وأن تضع الخطط الكفيلة بمواجهة الإعلام المعادي وكسب الإعلام المحايد، وإقامة جسور وعلاقات قوية مع الإعلام العالمي، وتزويده بكل ما قد يحتاج إليه من وثائق وصور ومعلومات.

٨. المتابعة المستمرة للتطورات والمستجدات في مجالات الأزمة كافة، واتخاذ القرارات الإعلامية المناسبة، وإجراء التعديلات

المطلوبة، بالتنسيق مع هيئة الأركان المركزية لإدارة الأزمة، وتحت إشرافها .

٩. أن تساهم في إغناء رؤية القيادة العليا للأزمة وتطوراتها، ولا تقتضي بدور سلبى محدود يقتصر على تنفيذ التعليمات .

١٠. التقييم المستمر لإدارة الأزمة إعلامياً وللأداء الإعلامي عموماً، وفي كل مؤسسة، وفي كل مرحلة، وإزاء كل تطور .

القاعدة الذهبية:

يجب أن يكون واضحاً ومفهوماً أن العامل الحاسم والمقرر في إدارة الأزمة هو السياسي . بمعنى أن القيادة السياسية، ممثلة في هيئة الأركان المركزية هي مركز صنع القرارات المتعلقة بالأزمة، ويبقى الإعلام، على أهميته، عاملاً متغيراً وتابعاً للسياسي . ولكننا، وكما أشرنا سابقاً أكثر من مرة، نرى أن مهمة السياسي في وقت الأزمة يجب أن تتركز حول تحديد الاستراتيجية، ووضع المنطلقات، وتحديد أسس إدارة الصراع في كل مجال . هنا، القرار يجب أن يكون مركزياً، وأداة اتخاذ هي هيئة الأركان المركزية (على النحو الذي أوضحناه سابقاً) . ولكن هذا القرار، عبارة عن مرشد وموجه ودليل . لذلك نرى ضرورة أن يُعطى للفعاليات الأخرى في المجالات المعنية بالأزمة هامشاً واسعاً من الحرية لتستطيع أن تضع الخطط والبرامج المناسبة والكفيلة بوضع الاستراتيجية العامة موضع التنفيذ، وذلك وفق الخصائص المميزة لكل مجال، ووفق خصوصياته وقوانينه الداخلية وسماته وطبيعة عمله . هنا، القرارات المتعلقة بالتنفيذ المبدع والخلاق (وليس البيروقراطي والبيغاني) يجب أن تكون لامركزية .

في ضوء ذلك نرى أن تكون القيادة الإعلامية، ممثلة في هيئة الأركان الإعلامية، هي الجهة الوحيدة المسؤولة عن إدارة الأزمة إعلامياً، وعن التطبيق الخلاق والمبدع للاستراتيجية العامة لإدارة الأزمة في كل وسيلة إعلامية .

إننا نرى أن مهمة السياسي المركزية هي تحديد الهدف، أما طريقة خدمة هذا الهدف إعلامياً، فهي مسألة تخص الإعلامي وحده . ونحب أن نؤكد أيضاً، ومن خلال الخبرة العملية العربية، خطورة أن يتخطى السياسي عن دوره كموجه ومرشد، ليتدخل في العمل اليومي والتفصيلي للنشاط الإعلامي . نعتقد أنه يجب أن ينتهي وإلى الأبد إعلام الأوامر العمياء . تُظهر التجارب السياسية المعاصرة أن وسائل الإعلام قد لاحت في أن تكون المعيار الذي تقاس به كفاءة الأداء العام للنظم السياسية القائمة .

ثالثاً : دور الإعلام قبل وأثناء وبعد الأزمة

أولاً: إدارة الإعلام قبل انفجار الأزمة

تقوم هيئة الأركان الإعلامية منذ البداية، منطلقاً من الاستراتيجية العامة للأزمة، ومسترشدة بالمنطلقات العامة المحددة لمعالجة الأزمة، وبالدور المرسوم للإعلام في مجمل عملية المجابهة، بوضع الخريطة التفصيلية واللوائح التنفيذية التي تمكنها من تحقيق خططها وبرامجها، وإنجاز المهام المطلوبة منها في عملية الصراع.

ولرى ضرورة وأهمية وإمكانية إنجاز المهام التالية:

١. تضع هيئة الأركان الإعلامية خريطة شاملة وكاملة للمنظومة الإعلامية المتوفرة، تتضمن جميع وسائل الإعلام الجماهيري (المطبوعة والمسموعة والمرئية)، كما تضم السبل والوسائل والإمكانات المتوفرة في مجالي الإعلام الفردي - الشفهي - المواجهي والإعلام الجمعي.
٢. انطلاقاً من الإدراك العميق لخصائص كل نظام اتصالي، وكل وسيلة إعلامية، تقوم هيئة الأركان الإعلامية بتحديد وظائف ومهام هذه الوسائل كافة.
٣. وانطلاقاً من الفهم العميق لخصائص الشرائح المختلفة من الجمهور (الداخلي والإقليمي والعالمي) تقوم هيئة الأركان الإعلامية بتحديد الجمهور المستهدف بالنسبة لكل وسيلة إعلامية.
٤. وانطلاقاً من الإدراك العميق لنظريات الإقناع والتأثير، تقوم هذه الهيئة بتحديد الأسلوب الإعلامي المناسب استخدامه في كل وسيلة من وسائل الاتصال المتوفرة، وبالتنسيق الكامل والتفاهم والتعاون العميقين والشاملين مع الكوادر الإعلامية العاملة في هذه الوسائل والممثل معظمها في هيئة الأركان الإعلامية.
٥. تشكل هيئة الأركان الإعلامية المركزية في كل مؤسسة إعلامية فريق عمل مؤهل ومتخصص ومتنوع (يضم رئيساً ومجموعة من المحررين والمصورين، وذلك حسب أهمية ونوعية وحجم وطبيعة مهام كل وسيلة)، يكون هذا الفريق متفرغاً كلياً (وربما جزئياً بحسب الوسيلة)، ومسؤولاً عن الإدارة الإعلامية للأزمة في مؤسسته، وتقديم التغطية الكاملة والمستمرة

للأزمة ، يتم توزيع العمل داخل هذا الفريق حسب طبيعة المؤسسة وحجمها وموقعها على الخريطة الإعلامية ، وبداخل المنظومة الإعلامية العامة ، ويرتبط هذا الفريق ، عبر رئيسه ، مع قيادة المؤسسة ، وتكون مهمته المركزية تنفيذ المهام الملقاة على عاتق المؤسسة ضمن الخطة الإعلامية العامة لإدارة الأزمة .

يُعتبر فريق العمل في المؤسسة الخلية الأساسية للفاعليات الإعلامية المرتبطة بالأزمة ، ولذلك نرى ضرورة أن يسترشد هذا الفريق بالملاحظات التالية ليحقق أكبر قدر من الإبداع الإعلامي ، ولا يتجذب الجمود والبيروقراطية :

- أن يفهم بشكل عميق الاستراتيجية العامة لإدارة الأزمة ، وأن يستوعب الأسس والمنطقات المحددة لإدارة الأزمة .

- أن يفهم بشكل عميق الدور الخاص لمؤسسته والوظائف والمهام الملقاة على عاتقها أثناء الأزمة .

- أن يدرس وأن يفهم ، وأن يستوعب ، بشكل شامل وعميق الجوانب المختلفة للأزمة ، أن يمتلك المؤهلات المهنية التي تمكنه من التطبيق الخلاق والمبدع للاستراتيجية العامة ، بما يتناسب مع شخصية مؤسسته ونوعها وطبيعة جمهورها .

- أن يحرص على التجديد والابتكار في اختيار الموضوعات ، ومعالجتها ، وفي أساليب وطرق عرضها وتقديمها .

- أن يحرص على التنوع في استخدام الأنواع الصحفية المختلفة ، بأسلوب يحقق التنوع والتكامل في عمل وتأثير هذه الأنواع .

- أن يحقق هذا الفريق متابعة كاملة لتطورات الأزمة ، وللمتغيرات الحاصلة في مجالاتها ، ولدى مختلف أطرافها . وأن يتابع التغطيات المحلية والإقليمية والدولية للأزمة ، وأن يرصد الخطاب الإعلامي للخصم ، وأن يعايش جمهور وسائله ويراقب مزاجه وموقفه ، ويلحظ أي تطور قد يطرأ عليه .

- ونرى ضرورة أن يعقد هذا الفريق اجتماعات عمل يومية ، وبحضور المسؤول الأول عن المؤسسة أو من ينوب عنه ، لمناقشة مختلف التبدلات ، وتقييم الأداء ، ووضع الخطط والبرامج الجديدة ، وضمان توفير النتائج الإعلامية القادر على تقديم رسالة فعالة ومؤثرة .

٦. تسعى هيئة الأركان الإعلامية ، بالتعاون مع هيئة الأركان المركزية إلى تأمين مختلف المستلزمات والاحتياجات المادية والبشرية والتقنية التي قد

تحتاجها وسائل الإعلام المختلفة من أجل إنجاز المهام والوظائف الملقاة
على عاتقها.

ثلاث مهام رئيسية:

نعقد أن المرحلة الأولى من إدارة الأزمة إعلامياً (مرحلة ما قبل
الانفجار) هي مرحلة تأسيسية بالغة الأهمية، نرى ضرورة أن تسعى فيها القيادة
الإعلامية إلى تحقيق المهام الثلاث التالية:

المهمة الأولى: إشباع الجوع إلى المعلومات

تختلف الأزمات وتباين، ولكن، وبالرغم من هذا التعدد والتباين، فإن المدخل
الأساسي لقراءة الأزمة هو المبدأ الذي ينص على حقيقة أن الأزمات ليست
وليدة ذاتها، ولكنها وليدة مجموعة من العوامل والدوافع والأسباب،
ولذلك، فإننا نرى أن المهمة الأولى لإدارة الأزمة إعلامياً في مرحلة ما قبل
الانفجار هي تقديم حجم معرفي شامل ومتنوع، يغطي الجوانب المختلفة
للأزمة، ويمكن المتلقي (القارئ والمستمع والمُشاهد) من أن يقف على أرض صلبة
من المعلومات الغنية والمتنوعة المصادر، التي تتيح له أن يمتلك المعرفة الكافية
المتعلقة بجوانب الأزمة، وعناصرها، وأسبابها، وأطرافها. ونعتقد أن التغطية
الإخبارية الوصفية والسردية (وغالبا الانفعالية والتوجيهية والتمجيدية، وغالبا
النزقة، والتي لا ترى سوى صورتها، ولا تسمع سوى صوتها)، ليست هي التغطية
الإخبارية المناسبة والمطلوبة.

هنا نود التأكيد على الحقائق التالية:

إننا نرى ضرورة التخلي عن منهج البدء بإعلان وتحديد الموقف، وصياغته
بأسلوب خطابي وانفعالي وتوجيهي، وتكريس أسلوب السرد والوصف في
التغطية. أكدت التجربة الإعلامية العربية المعاصرة عقم ما أحب تسميته
بـ"إعلام الضجيج"، الذي لم يحقق سوى نتيجة واحدة هي عزلة صانعه عن
العالم وعن الواقع وعن الجمهور.

ونرى نجاعة البدء بتقديم حجم معرفي غني ومتنوع وموضوعي عن
الأزمة، وخالٍ من إقحام تعسفي أو غير مقنع، أو غير ناضج للآراء والمواقف،
قطعا من الصعب أن تخلق مادة اتصالية من مضمون يحوي موقفاً ورأياً، ولكن
التعبير عن هذا الموقف أو هذا الرأي يختلف. في المرحلة الأولى من تغطية
الأزمة، تستطيع القيادة الإعلامية، الخبيرة والمؤهلة، أن تغير عن رأيها وموقفها
من خلال المنظور الذي تقدم به المعلومات والوقائع والحقائق، ومن خلال نوعية
هذه المعلومات، وطريقة معالجتها، وصياغتها، وترتيبها، وأشكال تقديمها.

يتم تحديد هذا المنظور في ضوء الاستراتيجية العامة لإدارة الأزمة، وعلى قاعدة الأهمس والمطلقات التي تم تحديدها لإدارة الصراع، ولكن القيادة الإعلامية، التي تطبق هذه الاستراتيجية تطبيقاً مبدعاً وخلاقاً وليس تطبيقاً بيروقراطياً، يجب أن تكون قادرة على أن تقدم هذا المنظور بطريقة لا تتناقض مع طبيعة الأحداث أو مع خصوصية الوسيلة المستخدمة، أو مع خصائص الجماهير المستهدفة، يعني هذا أن تطبقه بطريقة إعلامية مقننة ومؤثرة.

لماذا نؤكد ذلك؟

لا يستطيع الباحث الإعلامي العربي أن يعتمد على نتائج الأبحاث الميدانية لبنى أحكامه، وذلك نظراً لندرة (وربما انعدام) الأبحاث العلمية الإعلامية الميدانية، التي تدرس موضوعياً الممارسة الإعلامية العربية، ولكن خبرة أكثر من ثلاثين عاماً في الإعلام العربي ونتائج الأبحاث المعاصرة، تؤكدان عقم الإدارة التوجيهية الانفعالية للآزمات. وذلك نظراً لأنها تفرض على المرء - المواطن موقفاً سلبياً يشل فكره، ويرغمه على أن يكون مجرد متلق لما يقدم له بطريقة التلقين والتعليم والخطابة.

تتجسد المفارقة الكبرى في حقيقة أن هذا يحدث ويمارس في مرحلة يرتفع فيها مستوى التعليم والثقافة، وترداد بالتالي الحاجات الإعلامية وتتوسع، وتتمتع الخبرة الاتصالية للفرد والمجتمع وتتكدس، وتتمكن التكنولوجيا المعاصرة المرء من استخدام مصادر بديلة وغزيرة.

كما تتجسد المفارقة في هذا الإدمان على أن يتركز الخطاب الإعلامي المتعلق بالأزمة على إثراء وخدمة الموقف الرسمي، وإعمال وإفقار إثراء وإغناء وخدمة موضوع الأزمة. ونظراً لأن الأداة الإعلامية المنفذة عبارة عن كسائر إعلامي بيروقراطي، رأسماله الولاء والإذعان، يتحول خطاب إعلام الأزمة إلى "نشاد" للتسييح بحمد النظام ومؤسساته ورموزه. تتم عملية تغريب الموضوع عن الواقع، وتتم بعدها عملية تغريب وسائل الإعلام عن الموضوع، وتتم بعدها عملية تغريب الجمهور عن الموضوع وعن الوسائل. ماذا تكون النتيجة؟ عزلة هذا المواطن، أو غرقه في فعاليات ونشاطات واهتمامات (مادية أو روحية) تعمق غريبته، أو اندفاعه ليحفر مجراه التفاعلي الخاص مع الواقع ومع الموضوع عبر خطاب إعلامي بديل خارجي توفره له التكنولوجيا الحديثة.

يجب أن يكون واضحا للقيادات السياسية العربية أن الجمهور مرادف وعنيد، ومن الصعب حصره في زاوية، وتلقينه دروسا، خاصة وأن هذا الجمهور غالبا ما يتعاطف مع موقف بلده أثناء الأزمات، وقد يلتحم بهذا الموقف ويتبناه. نقول أن المواطن العربي أصبح يميل الآن، وأكثر من أي وقت مضى، إلى أن يشارك، وإلى أن يتفاعل، ويرفض أن يكون متفرجا أو شاهدا محايدا في أحسن الأحوال. كما يرفض أن يعتبر غير ناضج وغير قادر على الفهم والاستيعاب والمشاركة الفعالة. تتضاعف مخاطر النظرة إلى المواطن كرقم مهمل في هذه المعادلة الصعبة والمعقدة.

لذلك فإن التغطية الإعلامية التي نعتمد أن المواطن (وليس المتلقي أو المستقبل) العربي يريدنا ويحتاجها هي التغطية التفاعلية للأزمة. ونحن نشهد عيانا على أن حرمان المواطن العربي من هذه التغطية ترغم هذا المواطن، كما أشرنا سابقا، إلى البحث عن مجراء التفاعلي وتحقيقه بنفسه، وذلك عبر الدخول في نظم إعلامية خارجية ٤١. طبعا يؤثر ذلك قضايا نظرية وعملية شائكة ومعقدة، نترك آثارها على مجمل الممارسة الإعلامية. ليس هنا مجال مناقشتها، لذلك، وكما فعلنا بالنسبة لقضايا أخرى، نكتفي بالإشارة إليها أملين أن تأنظر الباحثين الإعلاميين العرب للاهتمام بها ودراستها.

المهمة الثانية: النزعة التحليلية - النقدية والتثقيفية

ليست الأزمة مجموعة أحداث منعزلة تجري عملية تغطيتها إخباريا، إنها تركيب معقد ومتشابك ويضم جوانب وأبعاد متعددة، وهي لا تحدث في فراغ، بل هي بنت مجتمعا، وعصرها، ونتاج ظروفها. بمعنى أنها تحدث ضمن سياق معين.

إذا كان الطابع الإخباري (الإتبائي - المعلوماتي) هو السائد في المهمة الأولى ذات السمة التعريفية بالأزمة، فإن الطابع التثقيفي (التحليلي - الفكري - النقدي) هو السائد في المهمة الثانية. مع التأكيد أن ثمة تداخل بين المهمتين وأن الواقع لا يعرف هذا الفصل "التعسفي" الذي يفرضه الفكر لأهداف دراسية وبحثية صرفة. المعلومة (الحقيقة، الواقعة) بالغة الأهمية للتعريف بالأزمة فهي هذه المرحلة التأسيسية من مراحل إدارة الأزمة إعلاميا قبل انفجارها وتفاقمها، ولكنها الآن ليست كافية لوحدها. لا بد من اعتماد منهج تحليلي - تفسيري - نقدي، يتعرض للأبعاد المختلفة للأزمة، ويحلل أسبابها، ويلقي ضوءا على مواقف الأطراف المختلفة، ويساهم في زبادة بلورة تشخيصها وتوضيحها بشكل شامل.

وعميق، وضمن السياق الذي نشأت فيه وتطورت، وفي ضوء الاستراتيجية العامة التي حددتها هيئة الأركان المركزية لإدارة الأزمة، نرى ضرورة تأكيد ذلك للأسباب التالية:

١. يتعرض المواطن لكم هائل من المعلومات من مصادر مختلفة ومتنوعة أغزر وأضخم من قدرته على فهمه واستيعابه، في مراحل سابقة كان يُعزى جهل المواطن أو تشوش ذهنه إلى قلة المعلومات، أما الآن فقد أصبح يُعزى إلى كثرة المعلومات التي يتلقاها، لذلك غرق المواطن في سيل من المعلومات يجعله مُطلعاً على ما يحدث، ولكنه لا يفهم، ولا يستوعب، ولا يدرك بعمق وشمولية حقيقة ما يحدث، النزعة التحليلية-النقدية تحقق هذه المهمة، وتوحيد مواطناً يعرف ماذا يحدث، ويفهمه، ويستوعبه.

٢. إن التغطية التفاعلية التي يريدها المواطن المعاصر تحتم اعتماد النزعة التحليلية-النقدية، التي تسعى إلى تقديم خطاب إعلامي غني، ومفتوح، وغير ناجز، وغير مكتمل، ولا يدعي العصمة (أي خطاب متناقض تماماً مع الخطاب الإعلامي التوجيهي، والتمجيدي، والفكر والجاهز والمكتمل والمغلق والعقيم، ولكن المعصوم)، يقدم الخطاب الإعلامي التفاعلي للمواطن المعلومة منعزلة عن الرأي، كما يقدم له تحليلاً نقدياً للواقعة والحدث، عبر فن صحفي مناسب ومتطور، ويساعده بذلك على أن يكون رأياً-موقفاً (وربما سلوكاً في مرحلة لاحقة) بنفسه، ولنفسه، وذلك بعكس الخطاب الإعلامي التوجيهي "التعبوي"، الذي يحصر الفرد (ولا أقول المواطن، نظراً لأن هذا النوع من الإعلام لا ينظر إلى هذا "الفرد" كمواطن) في زاوية ضيقة، ويضعه بالتالي بين خيارين: إما قبول الخطاب الإعلامي السلطوي أو رفضه.

٣. إن المعالجة التحليلية-التفسيرية للأبعاد المختلفة للأزمة (الحضارية والنفسية والاقتصادية والعسكرية...) تشحن التغطية بمضمون يستثري معرفة المواطن بالأزمة، ويعمق فهمه لها، ويحشد حول هذه التغطية قوى وشرائع واسعة ومهتمة ومعنية بالأبعاد المختلفة للصراع. إن من شأن ذلك ليس فقط أن يجعل المواطن مطلعاً على أخبار الأزمة، ومُتركاً وفاهماً ومستوعباً لأبعادها وأسبابها وتاريخها وخواتمها، بل ومُحصناً أيضاً (وهذه مسألة مهمة جداً في المراحل التالية من تطور الأزمة وما تتميز به من شتى حملات دعاية مضادة) ضد تأثير أي خطاب إعلامي مختلف، وذلك لأنه

أصبح يقف على أرض صلبة، بناها بنفسه ونفسه من خلال المعلومة الصحيحة والتحليل السليم.

نشير بهذا الصدد إلى ضرورة الاعتماد على الخبراء والاختصاصيين وقادة الرأي. إذ لا تستطيع وسيلة الإعلام المعاصرة، مهما امتلكت من كادر مؤهل، أن تنجز لوحدها هاتين المهمتين، ولا نرى ضرورة ذلك، بل العكس تماماً، نؤكد أهمية أن تعتمد الوسيلة الإعلامية في هذه المرحلة التأسيسية (وكذلك في مراحل لاحقة، كما سنرى) على الخبراء والاختصاصيين والأكاديميين وقادة الرأي وعلماء الدين، القادرين والمؤهلين على تقديم ثقافة الأزمة وفق النزعة التحليلية - التفسيرية - النقدية. إن هذا من شأنه أن يثري الخطاب الإعلامي، وأن يزيد من مصداقيته ومن قوة إقناعه، وبالتالي من قدرته على الوصول والتأثير وتحقيق الأهداف.

يجدر بهذا الصدد تأكيد الأمور التالية:

- أن يتم ذلك كله وفق المنظور العام الذي حددته هيئة الأركان المركزية.
- تقود المؤسسة الإعلامية المعنية هذه العملية (هي التي تختار الشخصيات، وتحدد الموضوعات، وتوجه الحوار وتقوده...) الخ.
- الحرص على ألا يؤدي التنوع والتعدد في الآراء ووجهات النظر إلى التشوش والتفتت، بل إلى التماسك والتكامل والانسجام.
- نرى ضرورة الحرص على تجنب أحادية النظرة والرأي، وتجنب الاختصار على المعالجة الجزئية، أو التركيز على أبعاد معينة وإهمال الأبعاد الأخرى.
- تجنب الغرق في العموميات، وتجنب استئصال الشعارات البراقة، والتركيز بدلاً من ذلك على بذل جهود جديّة للحصول على المعلومات الغنية والمتنوعة، والمتابعة والتوضيح والتفسير، واستخدام فن إعلامي جدي وجذاب ومتطور.
- الحرص على مراعاة المستويات المختلفة للشرائح المختلفة من الجمهور، ومراعاة الخصائص المختلفة للوسائل الإعلامية، وتحقيق قدر من التنسيق والتكامل بين مختلف هذه الوسائل.

المهمة الثالثة: البعد اللغوي للأزمة - حرب المصطلحات

تشمل عملية التأسيس لإدارة الأزمة إعلامياً ليس فقط الحسم المعلوماتي والفكري، بل أيضاً حسم البعد اللغوي للأزمة. يجب أن يكون واضحاً أن اللغة

ليست محايدة، وأن الكلمات عبارة عن أوعية للمعاني، وأن الكلمة دلالات اتصالية مختلفة (لنتذكر جيدا الأسماء التي أطلقتها "إسرائيل" على حروبها ضد العرب) .
ولذلك يصاحب كل أزمة صراع حول نوعية المصطلحات المستخدمة، أو حول المضمون الذي يحتويه المصطلح الواحد . نرى ضرورة أن تحسم هيئة الأركان المركزية أمورها، وأن تحدد مصطلحاتها (السياسية والعسكرية والجغرافية... الخ)، وأن نعلم هذه المصطلحات، وأن تشرف القيادة الإعلامية على استخدامها في وسائل الإعلام كافة، وحتى في المساهمات التي يقدمها كتاب من خارج المؤسسات الإعلامية .

مصاعب ومخاطر:

- تبرز في هذه المرحلة مصاعب عديدة يمكن تصنيفها على النحو التالي:
- مصاعب موضوعية: أبرزها طغيان السياسي (أو العسكري إذا كانت الأزمة ذات طابع عسكري وأدت إلى بدء عمليات عسكرية) على الإعلامي، وعدم تأمين الإمكانات المادية والبشرية الضرورية، وعدم وضوح الأزمة، وانعدام أو قلة المصادر المعرفية المتعلقة بالجوانب المختلفة، أو غياب التنسيق بين الأطراف المعنية بالأزمة .
 - مصاعب ذاتية - إعلامية: أبرزها عدم فهم الاستراتيجية العامة المحددة لإدارة الأزمة، وعدم المقدرة على رسم خطط وبرامج مناسبة تلائم الوسائل والجمهور، والعجز عن تحقيق التنسيق والتكامل بين الوسائل المختلفة، والافتقار إلى كادر إعلامي يتمتع بمستوى مهني مرتفع، وسيطرة الإعلام البيروقراطي، إعلام الضجيج، وإعلام الموظفين .

ثانيا: إدارة الإعلام أثناء الأزمة

يعتبر لتفجار الأزمة تطورا نوعيا (وليس كميا فقط) في حياة الأزمة يستدعي إعادة تقييم، وإجراء مراجعة شاملة وعاجلة تقوم بهما القيادة العليا ممثلة في هيئة الأركان المركزية المكلفة بإدارة الأزمة . تتميز هذه المرحلة بأكبر من التحديد والوضوح . ثمة أشياء كثيرة قد تكون غامضة أو غير معروفة في المرحلة السابقة، الأمر الذي يعطي للتصورات والاحتمالات شرعية الوجود المكثف . أما الآن، فإن مسرح الأزمة (بكل ما يتضمنه من ثوابت ومتغيرات وقوى، وأطراف، وشخصيات)، قد أصبح أكثر وضوحا . نعتقد أن الإعلام يستطيع أن يساهم في عملية إعادة تقدير الموقف

هذه باعتبارها المجال المرتبط به، والمعبّر عن المجالات الأخرى كافة، بالإضافة إلى كونه
الجهة الأكثر وضوحاً في التعامل مع الأزمة على النحو الذي أوصحناء في المرحلة
السابقة - المرحلة التأسيسية .

مواقف جديدة - أساليب جديدة

تتميز مرحلة انفجار الأزمة بالسّمات التالية:

١. تتضاعف الأهمية الذاتية للإعلام ليصبح واحداً من الأسلحة الاستراتيجية
المستخدمة في إدارة الصراع . وهذا ما يُفسّر التحام الإعلام بألة الدولة بهذا
الشكل أو ذاك، وذلك بغض النظر (غالباً) عن طبيعة النظام السياسي
والإعلامي السائد، كما يفسر الاهتمام الرسمي بالإعلام وتوفير الإمكانيات
المادية والبشرية التي يحتاجها، خاصة وأن الخبرة المعاصرة أظهرت أن
وسائل الإعلام قد نجحت في أن تكون المعيار الذي تقاس به كفاءة الأداء
العام للنظم السياسية القائمة .

٢. يتسع الصراع وتتعدد ساحاته، وتزداد وتيرة تبدلاته وتجلياته، ويتسارع
إيقاعه، وتزداد الحاجة إلى مواكبة ذلك كله، وتغطيته إعلامياً، وبشكل
سريع، وربما فوري ومتزامن، حين يكون ذلك مطلوباً وممكناً . ويتخذ الطابع
العام للتغطية الإعلامية الفورية طابعاً إخبارياً أساساً . وهذا ما يفسر سيادة
استخدام الأنواع الصحفية الإخبارية (الخبر بأنواعه، والتقارير
بأنواعه، والحديث، والتحقيق) بالنسبة للأنواع الصحفية الأخرى ذات الطابع
الفكري - التحليلي (المقال والتعليق والدراسة) . ويجب أن يكون واضحاً أن
هاجس التغطية الإخبارية للأزمة هو العمل على إثراء الخبر نفسه
كموضوع وليس كحدث فقط . بمعنى ضرورة الإلمام بأبعاده ومشتقاته
وسياقه بصفتها عناصر أساسية في تحديد قيمته الحقيقية، لذلك من الخطأ أن
تهدف التغطية (وهذه ظاهرة خطيرة في التغطية الإخبارية العربية بشكل
عام وفي أوقات الأزمات بشكل خاص) فقط إلى التركيز على محور التوجيه
السياسي والعمل على إثرائه، بدلاً من الاهتمام بالحدث وبالمخاطب، والعمل
على إثرائهما ٤٢ .

٣. يزداد الجوع إلى الأخبار والمعلومات، ويزداد الإقبال على وسائل
الاتصال، ويتضاعف، بالتالي، تعرّض الفئات المختلفة من الجمهور لوسائل
الاتصال، باعتبارها الوسيلة الوحيدة الممكنة لمعرفة ماذا يحدث . وهذا ما

يزيد من الأهمية الذاتية للإعلام، ويعمق الدور الذي يلعبه في هذه المرحلة من الأزمة، يتميز زمن الأزمة بتركيز الاهتمام الرسمي والشعبي على وسائل الإعلام، كما يزداد الاعتماد عليها كمصدر لمعرفة وفهم ما يحدث وفهمه.

المهام الأساسية لهذه المرحلة:

تري ضرورة أن تدرك هيئة الأركان الإعلامية سمات هذه المرحلة وانعكاساتها على الإعلام، وأن تقوم بإدارة الصراع إعلامياً فسي ضوء الاستراتيجية العامة، ومن أجل إنجاز الوظائف والمهام الملقاة على عاتقها، وتحقيق الأهداف محددة.

تحرص هيئة الأركان الإعلامية في هذه المرحلة على الأمور التالية:

- تحقيق أقصى قدر من الارتباط والتنسيق والاتصال بهيئة الأركان المركزية لإدارة الأزمة.
- التعبئة الشاملة، وتنظيم آلية عمل في غرفة عمليات إدارة الأزمة إعلامياً تعمل على مدار الساعة.
- تحقيق ارتباط واتصال وإشراف ومتابعة بشكل دائم مع مختلف وسائل الاتصال.

- المواكبة الدائمة والمتابعة الدقيقة للتغيير الحاصل فسي ميدان الصراع الأساسي، وفي مواقف الأطراف المختلفة المعنية بالأزمة، وإصدار التوجيهات المناسبة للوسائل المختلفة لمواجهة هذه المتغيرات، وتطوير الخطط والبرامج الإعلامية وفق تطور الأزمة وتفاعلات الأحداث وظهور مواقف جديدة. وذلك كله بالتنسيق والتفاهم مع الوسائل الإعلامية من جهة ومع هيئة الأركان المركزية من جهة ثانية.

- المتابعة الدائمة والمستمرة لإعلام الخصم - العدو، وتحليل مضمونه وإساليه، وتحديد أشكال وطرق ووسائل الرد عليه، بهدف تخفيف أو إلغاء تأثيره، وتحصين الرأي العام من مخاطره، ويجب الانتباه في هذا الصدد إلى حقيقة أن مصداقية الإعلام الموجه إلى الخصم قد تتناقض مع مصداقية الإعلام الموجه إلى الداخل (نعقد أن آثاراً هامة تترتب على عدم إدراك هذه الحقيقة، وهذا خطأ يقع فيه غالباً الإعلام العربي أثناء الأزمات).

- السهر على تطبيق الاستراتيجية العامة، والحرص على وضع الخطط والبرامج المرسومة موضع التنفيذ، مع الأخذ بعين الاعتبار التبدلات والتطورات الحاصلة.

- الإشراف على تحقيق التكامل والتنسيق بين المفردات المختلفة للمنظومة الإعلامية، والحرص على الاستفادة من الخصائص والإمكانات الذاتية لكل وسيلة.

- الحرص على مراقبة الجماهير المستهدفة، وملاحظة وفهم التغيير الذي قد يحصل في أوساطها. المسألة المركزية هنا تتمثل في كيفية استقبال الجماهير المستهدفة للخطاب الإعلامي.

- الحرص على إنتاج خطاب إعلامي موجه للأطراف الخارجية، مناسب لمواقف هذه الأطراف من الأزمة، وقادر على تحقيق الأهداف المرجوة من هذه الأطراف، ومواكبة التبدلات التي قد تحصل في مواقف هذه الأطراف.

- إجراء عملية تقييم جدوى للممارسة الإعلامية، وفق الظروف الخاصة، وبما يتناسب مع خصوصية كل وسيلة، وطبيعة كل شريحة اجتماعية ونرى ضرورة أن تشمل عملية التقييم هذه مجالات متعددة (الأهداف، والوسائل، والأساليب، واستخدام الإمكانيات) وأن تطل مستويات متنوعة (مستوى تنفيذ الخطة، والوصول إلى الجماهير، وتحقيق الأثر... الخ).

- إن التركيز على متابعة التطورات اليومية يجب ألا ينسي القيادة الإعلامية للأزمة أهمية إعداد الرأي العام للنتائج الأزمة.

ثالثاً: إدارة الإعلام بعد الأزمة

الأزمة حدث هام يترك آثاره العميقة على مختلف جوانب الحياة في البلاد، والأزمة، كما أشرنا سابقاً، هي لحظة في سياق. وإذا كانت الأزمة قد خفت أو انتهت، فإن السياق مستمر، وبالتالي فإن آثارها ذات حضور قوي، وبالتالي تمارس تأثيراً.

أشرنا سابقاً إلى ضرورة أن يُمهّد الإعلام في المرحلة السابقة إلى النتائج المتوقعة للأزمة، بغض النظر عن طبيعة هذه النتائج، وهنا نرى ضرورة إتجاه

١. عدم التوقف فجأة عن الاهتمام بالأزمة، وعدم ترك الجمهور في فراغ قد تسعى لملائه مصادر أخرى، درجة التركيز قد تختلف، كما أن موقع الأزمة في تراتب أهمية الأحداث قد يختلف أيضاً، ومع ذلك يجسب التخرج في تخفيف التركيز على الأزمة، إن كثافة التغطية في المرحلة السابقة يفرضها احتدام الصراع وتفاقم الأزمة، أما الآن فإن الأزمة قد خفست أو انتهت، وربما استجدت أمور جديدة، وبالتالي يبرزت قضايا هامة، الأمر الذي يحتم تراجع موضوع الأزمة على سلم الأولويات.
٢. نرى ضرورة التركيز في هذه المرحلة من إدارة الأزمة إعلامياً على استخلاص العبر والدروس والنتائج من الأزمة، النقش الضباب الآن، وخمد غبار الصراع، وخف التوتر، وهذات الأعصاب، وتكشفت الأمور والحقائق، باستطاعة الإعلام، معتمداً على كوادره، وعلى قادة الرأي، وعلى الخبراء والاختصاصيين، تقديم رؤية معمقة للأزمة وللدروس المستفادة منها، إن هذا من شأنه أن يساهم في ترسيخ التأثير الذي استهدفه الإعلام في المرحلتين السابقتين، وتدعيم الاتجاهات التي أوجدها لدى الجمهور.
٣. نرى ضرورة إجراء عملية تقييم شاملة لإدارة الأزمة إعلامياً، تشمل هذه العملية الإجابة عن تساؤلات كثيرة وهامة: كيف كان الأداء الإعلامي عموماً؟ مدى واقعية ومرونة البرامج الموضوعية، ومصداقية تنفيذها، ومواقف الكادر وسلوكه وأدائه، وأداء الوسائل الإعلامية المختلفة، واستجابة الجمهور، ومجابهة الإعلام المضاد... الخ. ورفع دراسة شاملة عن التجربة كلها إلى هيئة الأركان المركزية.

رابعاً : الحملات المعادية والشائعات

أ- مجابهة الحملات الإعلامية المعادية

يتعرض الرأي العام المحلي لدعاية مضادة قوية ومكثفة ومتعدد المصادر . وتشكل، كما أشرنا سابقاً، مهمة مجابهة هذه الدعاية المضادة إحدى المهام المركزية للقيادة الإعلامية المركزية في المراحل المختلفة من تطور الأزمة . يمكن تحديد أبرز سمات هذه المجابهة على النحو التالي:

١. إن الأسلوب الأنجع والأقوى والأشد تأثيراً من جميع الأساليب المستخدمة لمجابهة الحملات الإعلامية المعادية يتمثل في تقديم خطاب إعلامي غني وموضوعي وجذاب، ويتمتع بقدر كبير من الوثاقفة والمصداقية .
٢. اليقظة المستمرة والمراقبة الدقيقة لإعلام الخصم مسألة بالغة الأهمية في إدارة الأزمة إعلامياً . أكدنا سابقاً أن واحدة من المهام الأساسية لهيئة الأركان الإعلامية المركزية هي مراقبة ومتابعة إعلام الخصم وإعلام الأطراف ذات الصلة بالأزمة . ويمكن تحديد طبيعة هذه المهمة على النحو التالي:

- متابعة وتسجيل الخطاب الإعلامي للخصم .
- دراسة وتحليل شكل ومضمون الرسائل الإعلامية التي يوجهها الخصم للداخل والخارج .
- تحديد الجماهير التي يستهدفها إعلام الخصم، والأماكن التي يركز عليها، ويوجه إليها خطابه .
- اتخاذ القرارات المناسبة بخصوص كيفية مواجهة هذا الإعلام المضاد .
- وضع الخطط والبرامج العامة والتفصيلية الكفيلة بتحقيق مجابهة فعالة .
- تبليغ الوسائل الإعلامية المختلفة بهذه الخطط والبرامج .
- تحقيق أقصى قدر ممكن من التنسيق والتفاهم أثناء ذلك كله مع فرق العمل في المؤسسات الإعلامية المختلفة .



الأزمة

التعريف والمفهوم

يُعتبر مفهوم "الأزمة" واحداً من المفاهيم المروعة التي يصعب تحديد ما ويرى الباحثون أن ذلك يعود لأسباب متعددة ومتداخلة أبرزها ١ :

- صعوبة حصر وتحديد ما هو المقصود بالأزمة.

- الطبيعة الشمولية للمصطلح واتساع نطاق استخدامه (أزمة هوية، أزمة أخلاق، أزمة مسرح، أزمة اقتصادية أو سياسية أو عسكرية...).
- خصوصية المنظور الذي ينظر به كل علم إلى مفهوم الأزمة، وخاصة بعد أن جنب مجال دراسة الأزمات العديد من الباحثين من مجالات علمية مختلفة.

- نتج عن كثرة التعاريف وتنوع المعالجات زيادة غموض المفهوم.

أدى ذلك إلى تعدد التعاريف المستخدمة في تحديد مفهوم الأزمة. ولكن قراءة معمقة لهذه التعاريف تؤكد أن تعددها يعود إلى اختلاف النظرة إلى الأزمة، وإلى اختلاف الجالب الذي يجري التركيز عليه من بين الجوانب المختلفة للأزمة. الأمر الذي يتيح إمكانية القول أن تعدد وتنوع هذه التعاريف لا ينفي تكاملها.

تُعرف دائرة معارف العلوم الاجتماعية الأزمة بأنها: "حدث خلل خطير ومفاجئ في العلاقات بين شئين، ويقدم وليس كوانست التعريف التالي للأزمة: الأزمة هي تلك النقطة الحرجة واللحظة المناسبة التي يتحدد عندها مصير تطور ما ٢". ويعرف جونان روبرت الأزمة بأنها: "مرحلة الذروة في تؤثر العلاقات في بنية استراتيجية وطنية أو إقليمية أو محلية ٣". ويعرف الباحث العماري الأزمة بأنها: "الموقف الذي تتضارب فيه العوامل المتعارضة ٤".

ويميز الباحثون مفهوم الأزمة عن المفاهيم الأخرى القريبة منها على النحو التالي:

- الأزمة والصراع: يقترب مفهوم الصراع من مفهوم الأزمة، إلا أن الصراع قد لا يكون بالغ الجدة وشديد التهديد كما هو الحال في الأزمات، كما أن الصراع قد تكون معروفة أبعاده واتجاهاته وأهدافه.

- الأزمة والمشكلة: تُعبر المشكلة عن "الباعث" الرئيسي الذي يُسبب حالة ما من الحالات غير المرغوب فيها. ومن ثم فإن المشكلة قد تكون هي سبب الأزمة، ولكنها لن تكون هي الأزمة في حد ذاتها، فالأزمة عادة ما تكون أحد الظواهر المتفجرة عن المشكلة، والتي تأخذ موقفاً حاداً شديد الصعوبة والتعقيد، في حين أن المشكلة عادة ما تحتاج إلى جهد منظم للوصول إليها والتعامل معها. وهكذا فإن كل أزمة مشكلة، ولكن ليس كل مشكلة أزمة^٦.

- الأزمة والخلاف: الأزمة وضع أكثر تعقيداً وشمولاً وعمقا من الخلاف المحدد حول مسألة معينة، وثمة احتمال أن يتحول الخلاف، إذا لم تتم عملية حصره وتطويره، إلى أزمة.

- الأزمة والحادث: الحادث عبارة عن تطور جزئي يتم معالجته ضمن إطاره ووفق منطلقه وسياقه. ثمة احتمال قائم دائماً أن يتحول الحادث بشكل متعمد إلى أزمة.

أنواع الأزمات :

تستخدم دراسات العلوم السياسية تصانيف مختلفة للأزمات، ويعود سبب هذا الاختلاف إلى المعيار -المقياس المعتمد للتصنيف- ومن أبرز هذه التصنيفات^٧ :

١- حسب معيار مرحلة التكوين: حيث نجد الأنواع التالية: أزمة فسي مرحلة الميلاد، أزمة في مرحلة النمو، أزمة في مرحلة النضج، أزمة فسي مرحلة الانحسار، وأزمة في مرحلة الاختفاء.

٢- حسب معيار معدل تكرار حدوث الأزمة: وهنا نجد: أزمة ذات طابع دوري متكرر الحدوث، وأزمة ذات طابع فجائي عشوائي غير متكرر.

٣- حسب مستوى العمق: تميز الدراسات بين نوعين من الأزمات: أزمة سطحية هامشية التأثير، وأزمة عميقة جوهرية بالغة التأثير.

٤- حسب درجة الشدة: ويمكن التمييز بين: أزمة عنيفة متفجرة، وبين أزمة هادئة.

٥- حسب الشمولية: حيث نجد أزمة عامة ذات طابع شمولي، وأزمة خاصة ذات طابع جزئي.

٦- حسب الموضوع: حيث توجد أزمة مادية، وأزمة معنوية، وأزمة مختلطة.

٧- حسب المظهر: وتميز الدراسات بين: أزمة زاحفة، وأزمة مفاجئة، وأزمة
علنية صريحة، وأزمة ضمنية مستترة.

إدارة الأزمات

علم إدارة الأزمات هو أحد العلوم الإنسانية الحديثة التي ازدادت أهمية في
عصرنا، وهو علم إدارة توازنات القوى ورصد حركتها واتجاهاتها، وهو أيضا
علم المستقبل، وعلم التكيف مع المتغيرات، وعلم تحريك الثوابت وقوى الفعل في
المجالات الإنسانية كافة. إنه علم مستقل بذاته، ولكنه متصل بكافة العلوم
الإنسانية ٩.

كما أن إدارة الأزمات علم وفن في آن، هي علم بمعنى أنها منهج له أصوله
وقواعده، وهي فن بمعنى أن ممارستها أصبحت تعتمد على مجموعة من
المهارات والقدرات فضلا عن الابتكار والإبداع ١٠.

ازدادت الأزمات في عصرنا إلى حد أن أصبح، حسب قول أحد
الباحثين "عالم الأزمات جزء منا" ١١. وقد ازداد الوضع تعقيدا نتيجة إصرار
العديد من القوى الفاعلة دوليا وإقليميا على تحقيق أهدافها من خلال إثارة أو
افتعال الأزمات Management by Crisis، الذي يعني أن أحد الأطراف يريد تحقيق
أهدافه من خلال الأزمة. وتصبح الأزمة بهذا المعنى: فعل يهدف إلى توقف أو
انقطاع نشاط من الأنشطة، أو زعزعة استقرار وضع من الأوضاع، ولكن، وإذا
ما فشل هذا الطرف في تحقيق ما يريد، يجد مُدبر الأزمة نفسه، وقد أصبح في
مأزق حقيقي. وتمثل محاولاته للخروج من هذه الأزمة بأقل الخسائر الممكنة
إدارة الأزمة Crisis Management.

الأزمات ليست وليدة ذاتها. إنها وليدة مجموعة من الأسباب والبواعث.
وكل أزمة، بالتالي، هي وليدة مجتمعها ١٢. وبهذا المفهوم تؤثر الأزمة في
المجتمع، كما تتأثر به، ثمة إذن علاقة تفاعل بين الأزمة والمجتمع، والأزمة
بمنظور ما، هي ظاهرة. وهي ككل ظاهرة لها أسبابها، وعناصرها، وجوانبها
المتعددة. يتعذر فهم الأزمة، وتتعد بالتالي إدارتها دون معرفة أسبابها وتحديد
عناصرها والتعرف على جوانبها المختلفة، والدراسة المنهجية للأزمة هي
الدراسة التي تتعد عن النظرة الجزئية (دراسة عنصر أو جانب أو مسبب
واحد)، وعن استبدال النتائج بالأسباب (بمعنى التركيز على النتائج وإهمال دراسة
الأسباب).

تتميز الأزمة بخصائص أهمها ١٤:

- أ- وجود مجموعة من القوى ذات الاتجاهات الضاغطة،
- ب- أن يشكل هذا الضغط تهديداً،
- ج- أن تخرج متطلبات المعالجة عن الطرق المعتادة في مواجهة المشكلات،
- د- تساعد الأزمة على ظهور أعراض سلوكية مرضية خطيرة: القلق والتوتر، ويزداد وضع الأزمة خطورة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار السمات التالية للأزمة ١٥:
- أ- المفاجأة العنيفة،
- ب- التعقيد والتشابك والتداخل،
- ج- نقص المعلومات وعدم وضوح الرؤية لدى متخذ القرار،
- د- سيادة حالة من الخوف،

الأزمة والقرار

يواجه متخذ القرار (سواء أكان فرداً أم مؤسسة) وضعاً يفرض عليه ضرورة اتخاذ قرارات سريعة ولكنها غير مبرّجة، صحيح أن ظروف الأزمة تُخلق توتراً يؤثر على الأداء المعتاد لأسلوب صنع القرار، ومع ذلك يجب الحرص على أن يكون قرار الأزمة قراراً عادياً يتم صنعه في ظروف استثنائية ١٦، وتبرز في هذا السياق أهمية جمع المعلومات والحقائق الموضوعية، وكذلك أهمية القراءة التحليلية الموضوعية لهذه المعلومات والحقائق، وبالتالي أهمية إدارة الأزمة عموماً، واتخاذ القرار خصوصاً، على ضوء العناصر الموضوعية للأزمة ١٧.

طرق التعامل مع الأزمة :

تختلف وتتعدد طرق التعامل مع الأزمة، ويصنف الباحثون هذه الطرق إلى نوعين رئيسيين :

- أ- الطرق التقليدية: وتضم الأنواع التالية :
 - إنكار الأزمة، وعدم الاعتراف بها،
 - كبت الأزمة، أملاً بالبحث عن مخرج قبل الانفجار،
 - تنقيس الأزمة بتخفيف جذتها،
 - تفريغ الأزمة من خلال العمل على تفريغ مضمونها، وبالتالي من زخمها،
 - عزل قوى الأزمة من خلال السعي لاستبعاد أطراف معنية وحصر الصراع مع طرف واحد،

- إخماد الأزمة بأسلوب ما (تقديم تنازلات، الإقدام على مناورات، القبول، حل وسط... الخ).

٢- طرق غير تقليدية: وتضم الأنواع التالية :

- تشكيل فريق عمل Job Task Team مؤقت أو دائم، لتشخيص، ومتابعة تحركات وتطور الأزمة، والتعامل معها .

- طريقة الاحتياطي التعبوي للتعامل مع الأزمة .

- المشاركة الديمقراطية لقطاعات وقوى متعددة ومتنوعة معنية بالأزمة .

- طريقة اختواء الأزمة واستيعابها وربما تجاوزها .

- طريقة تصعيد الأزمة، ضمن استراتيجية معينة مدروسة ومرسومة .

- طريقة تقنين الأزمة عبر تجزئتها .

- طريقة تدمير الأزمة ذاتياً من خلال تفجيرها من الداخل .

- طريقة تحويل مسار الأزمة من خلال تغيير وجهة تحركها باتجاه مناطق أو مجالات مناسبة .

تشخيص الأزمة :

تتعدد أيضاً وتختلف مناهج تشخيص الأزمات ١٩ . إذ يعد تشخيص الأزمة مفتاح التعامل معها، وبدونه يصبح التعامل مع الأزمة ارتجالياً ومزاجياً . ومن المؤكد أن الأساس الذي تقوم عليه عملية تشخيص الأزمة هو المعرفة وتوفير المعلومات والبيانات أمام من يتولى مهمة التشخيص . إن أساس عملية التشخيص هو جمع المعلومات والحقائق الموضوعية ثم القراءة التحليلية الموضوعية لهذه الحقائق والمعلومات . ويحدد الباحثون المناهج التالية لتشخيص الأزمات :

- المنهج الوصفي التحليلي: الذي يقوم على أساس تشخيص الأزمة وتوصيف أبعادها وخصائصها، وذلك وفقاً للمرحلة التي وصلت إليها، وتحديد مظاهرها وملامحها العامة، والنتائج التي أفرزتها .

- المنهج التاريخي: يقوم على أساس أن الأزمة لا تنشأ فجأة، وإنما ليست بالتالي وليدة اللحظة، ولكنها نتاج تفاعل أسباب وعوامل نشأت قبل ظهور الأزمة تاريخياً، وبالتالي فإن أي تعامل معها يفرض معرفة بتاريخها وبمراحل تطورها .

- منهج النظم: يقوم على أساس النظرية إلى الأزمة على أنها نظام متكامل (مجموعة من الأجزاء والعناصر تعمل في توافق وتناسق).
- منهج دراسة الحالة: بمعنى دراسة كل أزمة على حدة، باعتبار أن الأزمة حالة مستقلة لها طبيعة شديدة الخصوصية (من حيث الحجم والشدة والنسوع والأسباب والأهداف ... الخ).
- منهج الدراسات المقارنة: الذي يعتمد مقارنة الأزمات الراهنة بالأزمات السابقة منها لتحديد أوجه الاتفاق والاختلاف.
- المنهج البيئي: الذي يرى أن الأزمة وليدة البيئة التي نشأت فيها وتفاعلت معها.
- منهج الدراسات المتكاملة: وهو المنهج الذي يستفيد من جميع المناهج السابقة.

خطوات التعامل مع الأزمة

يحدد الباحثون الخطوات التالية للتعامل مع الأزمة ٢٠ :

- تقدير الموقف الأزموي: يتم في هذه المرحلة تقديم أجوبة عن الأسئلة التالية: ما هي القوى الصانعة للأزمة، وما هي عناصر القوة التي تتركز إليها هذه القوى، وما هي القوى المساعدة والمؤيدة، ولماذا وكيف صنعت الأزمة؟
- تحليل الموقف الأزموي: تتم هنا عملية تحديد علاقات الارتباط، وأسباب التوتر، ومواطن القوة، وطبيعة الخطر الذي تشكله الأزمة.
- التخطيط العملي للتدخل في الأزمة: في هذه المرحلة يتم رسم السيناريوهات ووضع الخطط والبرامج وحشد القوى لمواجهة الأزمة والتصدي لها.
- التدخل لمعالجة الأزمة: تبرز هنا مهمة تحديد المهام والثانوية وسبل تحقيقها.
- يحدد الباحثون ما يسمونه "الوصايا العشر" للتعامل مع الأزمات : ١- تحديد الهدف . ٢- الاحتفاظ بحرية الحركة وعناصر المبادرة . ٣- المباشرة . ٤- الحشد . ٥- التعاون . ٦- الاقتصاد في استخدام القوة . ٧- التفوق في السيطرة على الأحداث . ٨- المواجهة السريعة . ٩- التعرض السريع للأحداث . ١٠- استخدام الأساليب غير المباشرة كلما كان ذلك ممكناً .

مبادئ المواجهة :

يحدد الباحثون المبادئ العامة التالية لضمان مواجهة ناجحة للأزمة ٢٢ :

- تحديد أطراف الأزمة .
- معرفة الأهداف الاستراتيجية للأطراف المختلفة .
- تحليل سليم للأوضاع الاستراتيجية للأطراف المختلفة .
- تحديد المخرج - الهدف .
- إدارة الأزمة، أي مواجهتها من خلال خطة استراتيجية تستند إلى قرار سياسي مرن .

الخلاصة:

في ضوء ما تقدم يمكن القول: إن الأزمة وضع صعب ومعقد، يآلف من عناصر متعددة، متداخلة ومتشابكة . وأن مواجهة هذا الوضع تتطلب التشخيص الموضوعي لواقع الأزمة بالاعتماد على جمع الحقائق والبيانات والمعلومات الموضوعية للجوانب المختلفة للموقف، ثم التحليل الشامل والعميق والموضوعي لهذا الموقف، ومن ثم اتخاذ القرار المناسب، الذي يحدد منهج التعامل، واستراتيجية، وأهدافه . وهكذا نرى أن استثنائية موقف الأزمة تتطلب قدراً استثنائياً من الدراسة والتحليل الملموسين والموضوعيين للواقع الموضوعي والملموس .



الإعلام - الخصوصية - المواجهة

تتغير معطيات الخريطة الإعلامية المعاصرة بفعل التطورات التكنولوجية العاصفة وتطبيقاتها السريعة في مجال الاتصال ، وبات محتما إجراء عملية إعادة نظر في كثير من الثوابت الإعلامية القديمة المتعلقة والوسيلة والرسالة والمتلقي .

الخريطة الإعلامية :

يمكن تحديد أبرز تضاريس الخريطة الإعلامية على النحو التالي:

أولاً: منظومة الإعلام الوطني/القومي National

- يوجد في كل مجتمع معاصر منظومة إعلامية متنوعة ومتكاملة تضم مختلف وسائل الإعلام (المقروء والمسموع والمرئي) ، يختلف مستوى تطور وتعدد وتنوع هذه المنظومة ، باختلاف المستوى الحضاري لهذا المجتمع (وخاصة ما يتعلق بالمستوى التعليمي والثقافي والاتصالي والإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة) ، وتضم هذه المنظومة الإعلامية العامة منظومات فرعية ٢٣ :

- منظومة صحفية عامة: تضم مختلف الصحف العامة في هذا المجتمع ، يوجد داخل هذه المنظومة الصحفية العامة منظومات صحفية ثانوية أو متخصصة ، في مجال معين (رياضة، طب، ثقافة، اقتصاد ، ، الخ) ، أو في منطقة معينة (أو إقليم أو جهة أو ولاية) ، أو في جنس معين (امرأة، رجل) ، أو في مهنة معينة (أطباء، مهندسون، صيادون، نجارون) أو في فئة أو شريحة اجتماعية معينة (أطفال، شبيبة، متقاعدون) .

- منظومة إذاعية عامة: تضم مختلف المحطات الإذاعية (المركزية والمحلية والمتخصصة) العاملة في هذا المجتمع . وتضم هذه المنظمة الإذاعية العامة في المجتمعات المتطورة والدول الكبيرة منظومات إذاعية ثانوية أو فرعية (الإذاعات المركزية/الشبكات القومية، الإذاعات المحلية الموجهة لمنطقة أو جهة أو ولاية أو إقليم، الإذاعات التجارية، الإذاعات المتخصصة بنشاط معين موسيقي أو رياضي، أو الموجهة فقط لشريحة اجتماعية معينة: الشبيبة مثلا .

- منظومة تلفزيونية عامة: تضم مختلف المحطات التلفزيونية العاملة في البلاد (الشبكات المركزية، والمحطات المحلية، والشبكات العامة والمتخصصة بكافة أنواعها وأساليب بثها الفضائية أو الأرضية، الكابل أو المشاهدة مقابل الدفع).

تشكل المنظومة الإعلامية في كل مجتمع كيانا يتميز بقدر كبير من التنوع، وذلك استجابة لتنوع الواقع الموضوعي، وتنوع الحاجات الإعلامية، وتنوع الأهداف المطلوب تحقيقها في المجالات المختلفة وفي أوساط الشرائح المختلفة في الأوقات والأمكنة والأساليب المختلفة، يعود تنوع المنظومة إلى معايير متعددة أبرزها: القوة والمجال والموضوع والانتشار والرسالة والجمهور والمستوى... الخ. كما يتميز كيان المنظومة الإعلامية العامة في المجتمع وفي الوقت ذاته بقدر كبير من التكامل، أيضا استجابة لحقيقة أن الواقع الموضوعي يشكل كلا واحدا (بالرغم من تنوعه)، وأن ذهنية المتلقي تشكل كلا واحدا (بالرغم من تنوع وتعدد حاجاته)، وأن الأهداف، وبالرغم من تعددها وتنوعها، تنصب في مجرى واحد، وتقع ضمن إطار استراتيجي واحدة، وهكذا يمكن القول أن كل مفردة (وسيلة) من مفردات المنظومة الإعلامية في المجتمع قد وجدت استجابة لحاجة موضوعية. وبالتالي فإن كل وسيلة إعلامية عبارة عن مؤسسة معينة معنية بتحقيق مشروع معين. وتطلق في عملية تحقيقها وخدمتها لهذا المشروع من منطلقات معينة، تحدد لها الخيارات الاستراتيجية لهذه المؤسسة. من المهم جدا إدراك حقيقة هامة وهي أن هذا المشروع ليس مشروعا خاصا بهذه المؤسسة الإعلامية بل هو أولا وأساسا المشروع الخاص بالقوى (السياسية أو الاجتماعية أو التجارية أو الثقافية أو الدينية... الخ) التي تعتبر نفسها معنية بما يجري في المجتمع بما يخدم مصالحها، وتوجد وسائل الإعلام المختلفة كمجرد أدوات لخدمة مصالحها، وتروج أفكارها ونشرها. أما في الأنظمة غير التعددية (أي أنظمة القوة الواحدة؛ الحزب الواحد أو الشخص الواحد أو العائلة الواحدة) فإن هذه الأنظمة تأسس منظومة إعلامية متنوعة ومتكاملة (غالبا ما تملكها وتوجهها بالكامل) لخدمة النظام السائد، ونشر أفكاره، وترويج مفاهيمه، وخدمة سياساته. وتؤكد الممارسة أن دور وسائل الإعلام في هذه الأنظمة لم يعد مقتصرًا على مجرد خدمة النظام بل يتعداها ليصبح واحدا من الأجهزة الفاعلة والمؤثرة في عملية المساهمة في تجديد ميكانيزمات النظام وقواه المحركة والدافعة لضمان استمراره.

تتوقف طبيعة المنظومة الإعلامية في المجتمع على طبيعة ونوعية القوانين والتشريعات الإعلامية المعمول بها، والتي تتوقف بدورها على طبيعة النظام السائد في هذا المجتمع، بمعنى أنها تتوقف على نوعية الملكية المائدة لوسائل الإعلام، وعلى طبيعة فهم دور الإعلام في المجتمع، وعلى طبيعة ونوعية الوظائف والمهام التي يسعى الإعلام إلى تحقيقها.

ثانياً: الإعلام الإقليمي Regional

ينقسم العالم إلى مناطق (أقاليم Regions) متعددة: أوروبا الغربية والشرقية، أمريكا اللاتينية، الشرق الأوسط، جنوب غرب آسيا، شمال إفريقيا، القرن الإفريقي... الخ، وبالرغم من انقسام هذه المناطق إلى بلدان ودول متعددة، فإن ثمة الكثير من السمات والروابط والمصالح المشتركة فيما بينها، وبسبب القرب الجغرافي، ووحدة أو تقارب اللغة، والاهتمامات والعادات والقيم والتقاليد المشتركة (أو المتشابهة)، فإن شعوب منطقة ما تجد نفسها منجذبة للتعرض لرسائل إعلامية إقليمية مختلفة ومتنوعة. تزداد أهمية الرهسان على الدور الفاعل للإعلام الإقليمي، وتسود هذا الإعلام نزعتان. تتمثل الأولى في استخدام الإعلام الإقليمي أداة لتحقيق التعدد والتنوع الاتصالي، وبالتالي إثراء الخطاب الإعلامي العالمي من خلال تقديم مضامين إعلامية مشبعة بنكهة وروح ثقافات وتجارب وطنية متعددة ومختلفة. تسعى هذه النزعة إلى الحفاظ على خصوصيتها وإلى البحث عن دور فاعل في الثقافة العالمية، أما النزعة الثانية فتتمثل في القوى التي تتركب موجة التكنولوجيا وتسعى لاستخدام الإعلام الإقليمي ليقوم بدور حصان طروادة في عملية السيطرة الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً على الخطاب الإعلامي العالمي، بما يتطلبه ذلك من حولة الرسائل، وتسليع النجاج، وتثجير الوسائل.

ثالثاً: الإعلام الدولي:

قبل الاندفاع التكنولوجية الجديدة المتمثلة في البث الفضائي التلفزيوني والشبكة الدولية لنقل المعلومات (الانترنت)، كانت شبكة الإعلام الدولي تقتصر على الإذاعات الموجهة، ووكالات الأنباء، والصحف ذات الطابع الدولي، وكان من الممكن لكل بلد أن يمارس "سيادته" الإعلامية ضمن حدوده، ويمنع (أو يحد) عن طريق التشويش) وصول أية رسالة إعلامية، تتناقض مع مصالحه وأهدافه، إلى جماهيره.

كانت الأجهزة الوطنية هي التي تستقبل الرسالة الأجنبية، وهي التي تقوم بتصنيفتها، وهي التي تقوم بعملية الانتقال والاختيار لما هو صالح و"مفيد" منها، وتقدمه لجمهورها. كانت الأمور في منتهى البساطة، وكانت السيطرة في منتهى الإحكام بالنسبة لمن يريد أن يمارسها. كان ثمة منظومة إعلامية محلية موجودة تحت الإشراف والسيطرة بغض النظر عن ملكيتها، وشبكة إعلام إقليمية محدودة التأثير، ويمكن بسهولة تخفيف هذا التأثير عن طريق منع صحفها من الدخول إلى البلد المعني، ومن الممكن أيضا عند الضرورة، وبتكاليف معقولة، التفتيش على إرسالها الإذاعي أو التلفزيوني الموجه.

الآن، ونحن نستعد للدخول في القرن الحادي والعشرين، اختلفت معطيات الصورة جذريا، وتغيرت تضاريس الخريطة الإعلامية، وأصبحنا وجها لوجه أمام الحقائق الإعلامية التالية:

- اندفاع تكنولوجيا شديدة ذات مستوى تقني نوعي مرتفع، باهظة التكاليف، وبحاجة إلى استثمارات ضخمة، تملكها وتسيطر عليها وتوجهها القوى (وربما القوة) التي يميل التوازن الدولي الراهن لصالحها اقتصاديا وعسكريا وثقافيا واتصاليا. هذه الاندفاعات التكنولوجية مكنت مالكيها من إيصال رسالتهم الإعلامية إلى المكان الذي يريدون، وفي الوقت الذي يريدون، وإلى الشريحة الاجتماعية التي يريدون، وبغزارة وبأسعار وجاذبية ليس ثمة أية أفاق منظورة لمنافستها. والأهم من هذا كله أن التكنولوجيا المتطورة مكنت هذه القوى من توصيل رسالتها هذه دون أن تستطيع السلطات والأجهزة المحلية أن تمنع هذا التدفق، الذي أخذ يتسع ويتنوع، وخاصة بعد بروز ظاهرة تزايد أشكال التعاون والتنسيق بين الوسائل الإعلامية المختلفة؛ وكالات الأنباء تزود مختلف الوسائل بالأخبار والمعلومات والوثائق، والمحطات الإذاعية تنقل ما تنشره الصحف من تقارير وتحليلات ومقالات واستطلاعات ومقابلات. الرسالة الإعلامية التي تقدمها شبكة الإعلام الدولي تحمل قيم، وتتضمن أفكار، وتخدم مصالح مرسلها. وهي (في الغالب) رسالة غزيرة ومتنوعة وتستخدم قنبا إعلاميا منطوقا (في الغالب، ونسبيا) في جميع مراحل الإنتاج الإعلامي (اختيار الموضوعات، ومعالجتها، توصيلها، وإخراجها، وتقديمها)، ولذلك فهي (في الغالب، وبالرغم من الكثير من جوانب ضعفها الذاتي المتمثلة في: نمطيتها، وغربتها عن المشاهد المحلي، ومنظومة قيمها المختلفة عن

قيمه، وافتقارها إلى مضمون ثقافي لافئ... الخ) تكون قادرة على إثارة اهتمام شرائح واسعة من جماهير البلدان الأجنبية، وخاصة في البلدان النامية.

- استطاعت التناقضات الإقليمية المحتكمة والمتفاقمة في كل منطقة جغرافية أن تغلب المياسي على الثقافي والإعلامي، وأحياناً على الاقتصادي. وقد أدت هذه التناقضات إلى تراجع (وأحياناً اختفاء) التعاون الإعلامي الليبي في أوساط هذه الدول، وبالتالي إلى ترسيخ النزعة القطرية الضيقة والمنغلقة، وترسيخ التبعية للإعلام الدولي.

- أدى اتساع الفجوة التكنولوجية بين الشبكة الإعلامية الإقليمية وبين الشبكة الإعلامية الدولية أيضاً إلى تعميق تبعية الشبكة الإقليمية التكنولوجية والبرامجية للشبكة الدولية، وإلى حدوث اختراقات عميقة وواسعة، جعلت الكثير من مفردات الشبكة الإقليمية تتجذب في سياساتها، ومضامين إنتاجها، وقيمها الاتصالية، إلى الشبكة الدولية. ماذا كانت نتيجة ذلك كله؟ الضعف الذاتي لشبكة الإعلام الإقليمية، وتواري مشاريع التعاون فيما بينها، وترسيخ تبعيةها.

- يجد المواطن المعاصر في المجتمعات الحديثة نفسه أمام منظومة إعلامية بالغة التعدد والتنوع وغزارة الإنتاج، ومتواجدة في كل مكان، وفي كل زمان، وبغض النظر أحياناً عن رغبة الفرد في التعرض.

في الأنظمة "التعددية" (الليبرالية، الديمقراطية، البرجوازية)، استطاع الرأسمال المالي الضخم، الملتحم بقوة مع آلة الدولة، أن يسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية في هذه البلدان. كما استطاعت، بالتالي، الاحتكارات الإعلامية الضخمة أن تحسم الموقف لصالحها تقنياً وبرامجياً، وعلى الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية.

الإعلام المعاصر بحاجة إلى رؤوس أموال واستثمارات ضخمة حتى على المستوى المحلي، والاستثمارات الضخمة بحاجة إلى نمط معين من الإنتاج الإعلامي الذي ترعّب فيه وتتجذب إليه جماهير واسعة، وهكذا تحول الإعلام إلى صناعة، وتحول الإنتاج الإعلامي إلى سلعة.

ولكن، وبالرغم من حتمية الاحتكارات الضخمة على الحياة الإعلامية في الأنظمة "التعددية"، فإن تعدد القوى الاقتصادية، وارتفاع المستوى الثقافي للجماهير، وزيادة أهمية الرأي العام، ورسوخ تقاليد ديموقراطية (حتى الشكلية

منها) ومرونة النظام بسبب امتلاكه معظم أوراق اللعبة الديموقراطية، أدى إلى تعدد الأحزاب، وتعدد المراكز الإعلامية، ضمن الإطار العام للنظام. أما في الأنظمة الأخرى غير التعددية (الأنظمة الحزب الواحد أو الفرد الواحد، أو العائلة الواحدة، أو القبيلة الواحدة) فإن المنظومة الإعلامية الموجودة، وبالرغم من تنوعها وتعددتها، فهي، كما أشرنا سابقاً، تعكس قيم، وتخدم مصالح، وتطبق سياسات، القوة (وربما أحياناً القوى) الحقيقية التي تقف وراء النظام. إنه ذات الوضع الاحتكاري الذي رأيناه في الدول ذات النظام التعددي. هناك تسيطر القوى الاقتصادية الضخمة، وتسيطر معظم مفردات المنظومة الإعلامية لخدمة مصالحها، ولحمل قيمها وأفكارها وأيديولوجيتها إلى الشرائح المختلفة من الجماهير. أما في الأنظمة غير التعددية فإن جميع مفردات المنظومة الإعلامية مكرسة لخدمة النظام القائم، ولشرح أفكاره، وترويض سياساته، وخدمة مصالحه، ونشر قيمه، في أوساط الشرائح الاجتماعية المختلفة، وفي المجالات المختلفة.

تبرز على ساحة الإعلام الدولي ظواهر بالغة الدلالة والأهمية، نكتفي بالإشارة إلى أبرزها على النحو التالي: زيادة التركيز، وتعاضد قوة الاحتكارات، بفرض بُعد واحد على المضمون الإعلامي، وبسروز الاحتكارات العملاقة ما فوق القومية، والاندفاع باتجاه البحث عن أسواق واسعة لتحقيق أرباح للرسميل الضخمة المستثمرة، وبالضغط من أجل انتشار سياسة الخصخصة وتراجع دور الدولة، والاندفاع أيضاً في اتجاه تجزير (فرض الطابع التجاري) على النتاج الإعلامي، وتحويل المادة الإعلامية إلى سلعة، وإفقار المضمون الثقافي للخطاب الإعلامي، بامتلاك قوة تكنولوجية كونية غير مسبوقة ورادعة تلجم أية إمكانية لمواجهتها... الخ، لا شك أن هذه التوجهات لم تستكمل ملامحها بعد، ولكنها بدأت تفرض على الأرض حقائق إعلامية تجعل من المتعذر فهم العملية الإعلامية (المجالية أو الإقليمية أو الدولية) أو ممارسة النشاط الإعلامي، بدون تفحصها، ودراستها، ومعرفة كيفية التعامل معها.

كيف تواجه هذه الشبكات الإعلامية الثلاث موقف الأزمة؟

تمثل الأزمة وضعاً قلقاً ومتوتراً وخطيراً بكل المعايير، وهي تترك آثارها الهامة على الحياة الاجتماعية - الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية للمجتمع. ولذلك فإن الأزمة، كمتغير هام، تحمل معطيات جديدة، وتستدعي استجابات معينة، كما تتطلب ممارسات معينة. وهذا ما يفسر حدوث عملية اصطافاف معينة للشبكات والوسائل الإعلامية عند حدوث الأزمة. إذ تقوم كل

شبكة وكل وسيلة مفردة خلال عملية الاصطفاف هذه، بتحديد موقعها من الأزيمة، في ضوء رؤية ومصالح وموقف القوى الاجتماعية التي تملك هذه الشبكة أو هذه الوسيلة، وعملية الاصطفاف هذه هامة ومعقدة ومتغيرة، تحكمها وتضبط حركتها العلاقات بين القوى المتصارعة، ومدى انعكاس الصراع على مصالح القوى المالكة والموجهة لهذه الشبكات والوسائل.

تختلف عملية الاصطفاف هذه حسب طبيعة الأزيمة، وحجمها، ونوعها، وخطورتها، وأسلوب مواجهتها.

نحاول التركيز على ثلاثة أنواع من الأزمات :

أولاً: الأزيمة الداخلية:

تعتبر الأزمات عموماً، الداخلية منها والخارجية، قوى محرّكة أساسية للرأي العام، وتميل الأزمات لأن تمتلك تأثيرات معارضة تماماً وبشكل مباشر ومقلق للديناميات الاجتماعية Social Dynamics. وتميل الأزيمة الداخلية تحديداً وغالباً إلى أن تترك تأثيراً نابذاً Centrifugal Effect، كما تنزع إلى تمزيق وتنشيط الأطراف والقوى المعنية بالصراع، وتكون النتيجة غالباً، وخاصة في حالة تملاذي التمزق إلى تآكل الوفاق الاجتماعي Social Cohesion ٢٤.

تتنوع الأزمات الداخلية وتختلف موضوعاً ونطاقاً وشدة واتساعاً وعمقاً... الخ وتختلف مواجهة هذه الأزمات باختلاف الأنظمة السائدة. نحاول تقديم أسلوبى المواجهة في كل من الأنظمة "التعددية" وغير التعددية.

١ - الأزيمة الداخلية في الأنظمة "التعددية":

يجدر هنا التمييز بين نوعين من الأزمات:

١- الأزمات المتعلقة بقضايا معينة ومحددة (اجتماعية-اقتصادية أو سياسية أو عرقية أو ثقافية)، والتي تخدم مصالح معينة. ولكن، وبالرغم من تعقيد صورة التناقضات والصراعات والخلافات حول تشخيص هذا النوع من الأزمات، وحول تقييمها، وتحديد أساليب مواجهتها، واستراتيجيات حلها، فإن ذلك كله، يقع ضمن الإطار العام للنظام السائد، ولا يتعدى "الخطوط الحمراء"، بمعنى أن كافة القوى المعنية بالأزيمة، وكافة التقييمات واستراتيجيات الحل، لا تتناقض مع الأسس العامة للنظام القائم، ولا مع مصالحه الحقيقية. ولذلك فإن هذه الأنظمة "التعددية"، التي تتمتع بمستوى عالٍ من المرونة، وتمتلك ترسانة ضخمة من الأجهزة والمؤسسات، وخبرة غنية في رسم استراتيجيات وتكتيكات المواجهة، تمتلك قدرًا كبيراً من الثقة بالنفس يُمكنها من مواجهة الأزيمة

"تحددياً"، وبالتالي توفير قدر من "الحرية" لمختلف القوى الفاعلة لأن تعبير عن رأيها، وتقدم برنامجها، وربما أن تشارك في عملية الصراع المحتتم لحل الأزمة باتجاه معين .

من المؤكد أن هذه "التحددية" (وربما الشكلية والظاهرية أحياناً وفي بعض الدول) لا تخفي حقيقة أن القوى الاجتماعية-الاقتصادية السائدة والمهيمنة على الدولة والمجتمع، هي صاحبة الصوت الأقوى في تحديد المضامين الحقيقية للمواجهة ولحسم الصراع، وهي التي تضبط الصراع وتتحكم بمساره وآلياته وأفاق تطوره .

تعكس مواقف وسائل الإعلام إزاء هذا النوع من الأزمات الداخلية مواقف القوى الاجتماعية-الاقتصادية-السياسية التي تملك وتوجه هذه الوسائل، وبالتالي تصبح وسائل الإعلام ليست أكثر من الجزء الصغير المرن من جبل الثلج العائم . إن العامل الحاسم والمحدد في تحديد الموقف الإعلامي لهذه المؤسسة الإعلامية أو تلك، هو القوة التي تملك هذه المؤسسة، وتحديد استراتيجيتها، ومنطلقاتها، وتوجه نشاطاتها، وتشرف على ممارستها، (المثال النموذجي الذي يقف لهذا النوع من الأزمات ولموقف الإعلام منها هي الأزمة الداخلية التي عاشتها بريطانيا إبان إضراب عمال المناجم الشهير في عهد حكومة المحافظين بقيادة السيدة تاتشر، والذي استمر عدة سنوات) .

ب- الأزمات الداخلية الأكثر عمقاً واتساعاً، والتي قد تتدفق وتتطور حتى تطال الأسس العامة للنظام السائد، وتهدد حتى بتجاوز "الخطوط الحمراء"، هنا أيضاً تحدث عملية اصطاف سريعة للقوى الاجتماعية-الاقتصادية السياسية، وبالتالي الإعلامية . وهنا نجد أن الكتلة الأساسية من الإعلام المحلي، التابعة للقوى المهيمنة والمعبرة عن أفكارها والخادمة لمصالحها، سرعان ما تتوحد صفوفها سياسياً وإعلامياً، وتقف موقفاً واحداً، متجاوزة تناقضاتها "الثانوية"، ضد كافة القوى الأخرى . وهي تشخص الأزمة، وتقيمها، وتحدد استراتيجيات مواجهتها، وأساليب حلها، بما يخدم مصالحها، وبالتالي مصالح النظام السائد . ومن المؤكد أن توازن القوى في المجتمع سياسياً واقتصادياً وإعلامياً يميل لصالح هذه القوى، وبالتالي غالباً ما يُضخم الصراع لصالحها، وغالباً ما تستثمر هذه القوى الأزمات المتكررة من أجل زيادة قوة النظام ومنعته، وإضعاف القوى المعارضة له . دون أن ينفي ذلك إمكانية لجاح القوى المعارضة في تحقيق مكاسب مطلبيية جزئية، تراكمها، وتستثمرها في صراعات وأزمات قادمة، (المثال النموذجي

الذي يقف على هذا النوع من الأزمات هو إضرابات وحركات الطلاب الشهيرة في فرنسا عام ١٩٦٨، التي شكلت أزمة داخلية طرحت للنقاش والجدل والصراع في الشارع أسس النظام أو بعضها، ولذلك لم يتردد الإعلام الفرنسي الذي تمتلكه القوى الاقتصادية الملتحمة بالنظام في تحقيق عملية اصطاف سريعة ومُحكمّة معادية للطلاب، تماماً كما أننا أن النظام "الحر" و"الديموقراطي" و"الليبرالي" و"التعددي" في أن يستنفر قواه القمعية، ويتغلب على تناقضاته "الثانوية"، ويتخلى عن "قفازاته الحريرية" ويرسل دباباته ليس فقط لتصدى للطلاب في شوارع باريس، بل أرسلها لتفتح أسوار جامعة السوربون في الحي اللاتيني في باريس).

٢- الأزمة الداخلية في الأنظمة "غير التعددية":

تختلف الأزمات الداخلية التي تواجه هذه الأنظمة وتتوسع، وتتسم هذه الأنظمة غالباً في علاقتها بالأزمات الداخلية بالسمات التالية:

- تجنب حدوث أية أزمة ليس عبر حل مسببات ومسوغات الأزمات، وتغيير الظروف التي أدت إلى وجودها وإندلاعها، بل غالباً عبر التصدي للقوى التي يمكن أن تخلق وضع الأزمة وتستخدمه لصالحها،
- عدم بذل الجهد الكافي لتشخيص الأزمة موضوعياً، ومعرفة أسبابها، وتقديم جرائبها المختلفة، ووضع الاستراتيجيات والخطط المناسبة لمواجهتها، واكتشاف وتحديد أساليب حلها، بل غالباً ما تنزع هذه الأنظمة إما إلى عدم الاعتراف أصلاً بوجود الأزمة، وبالتالي إنكار وجود الأزمة بشكل مطلق، أو إلى إعطاء صورة غير صحيحة عنها، وتقديم رؤية غير موضوعية لها، أو التهوين من شأنها، والتشكيك بنوايا ومقاصد القوى القاتلة بوجود الأزمة، أو التي قد يكون لها فهم مختلف.

- تستنفر هذه الأنظمة، في الأعم والغالب، منظومتها الإعلامية الكاملة لتقديم خطاب إعلامي متعلق بالأزمة، يعكس رؤية النظام ويجسد فهمه، ويقدم معالجة إعلامية للأزمة لا تتصف بالشمولية والعمق والموضوعية، وتستخدم خطاباً إعلامياً انفعالياً ودفاعياً ورسمياً، لا يحترم خصوصية الموضوع المعالج (طبيعة الأزمة وأسبابها ومبرراتها)، ولا يحترم خصوصية الإعلام كفعالية فكرية إبداعية لها أصولها وقواعدها وحتى قوانينها الخاصة، ولا يحترم خصوصية الوسيلة الإعلامية المستخدمة (صحافة، إذاعة، تلفزيون، ومن المعروف، كما منرى لاحقاً، أن لكل وسيلة خصوصية تنعكس على الموضوعات التي تطرحها وعلى كفاءة

معالجة هذه الموضوعات وكذلك على آليات الإقناع المستخدمة) ولا يحترم خصوصية الجمهور المستهدف والمخاطب،

وتكون نتيجة ذلك كله تقديم خطاب إعلام الأزمة بشكل موحد ولمطي، لا يساعد على فهم الأزمة، ولا يساهم في عمليات تشخيص وتقييم الأزمة. إنه خطاب إعلامي غير معني إطلاقاً بإثراء محيط المخاطب أو الموضوع المعالج، إنه معني ومنهمك ومستغرق فقط في إغناء وإثراء القرار السياسي والموقف الرسمي السلطوي من الأزمة. إنه خطاب إعلامي عاجز عن إقامة حوارات ذات مغزى سواء مع الواقع أو مع المتلقي، إنه عبارة عن مونولوج، إن من شأن خطاب إعلامي كهذا أن يتحول إلى آلية تعقيم وطمس وتغريب وتضليل، يتحول هذا الخطاب إلى نوع من الرماد الذي تستخدمه معظم هذه الأنظمة لتغطية أزماتها الداخلية، ولحجب الحقيقة عن الجماهير، ولعنع الإعلام من أن يتحول إلى فعالية فكرية إبداعية تتفاعل مع الواقع الموضوعي، وتتجاوز مع المتلقي، وتثري الموضوع والمخاطب، وتخدم الحقيقة.

ثانياً : الأزمة الخارجية

تميل الأزمة الخارجية لأن تُحدث تأثيراً جاذباً Centripetal Effect، يساهم في دعم الوفاق الاجتماعي وحشد القوى خلف الأهداف الوطنية المحددة للصراع ٢٥ . وهذا ما يُفسر كيف تلعب الحروب دور القسوة المحركة لحشد الدعم وراء الأهداف التي حددها النظام، وتؤكد الخبرة التاريخية أنه غالباً ما يكون للآزمات الخارجية تأثير مُجمّع للقوى وتحقيق التماسك والوفاق الداخليين، ويتجسد هذا في:

- دعم العناصر والقوى والنزعات الداخلية الداعية إلى الوفاق .
- ترويج روح العداء للقوى والعناصر والنزعات التي يُنظر لها كمهيدة للوفاق .
- زيادة الدعم للأهداف المحددة للصراع .
- زيادة الثقة في السلطة التي تقود عملية الصراع .
- زيادة احتقار وعزل القوى المعارضة الكامنة (جماعات الضغط) .

وضمغ كوسر Coser نظريته المعروفة "الائتلاف حول العلم"، Rally round the Flag بمعنى الاحتشاد والدعم للسلطة التي تدير الصراع، وقد شرح مولر Mueller هذه النظرية، وحدّد شروط نجاحها في الواقع الأمريكي المعاصر (كما يظهر في

أزمة غرينادا ١٩٨٣، وبولما ١٩٨٩، والقصف الأمريكي لليبيا ١٩٨٦) على النحو التالي ٢٦:

- أن تكون الأزمة دولية .
- أن تعني الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة والرئيس الأمريكي على نصو خاص .
- أن تكون واضحة، ودرامية، ومحددة بدقة .
- بعد ذلك وضع الباحثان الأمريكيان بوين Bowen و Edie Man شروطاً جديدة لضمان نجاح الأزمة الخارجية في عملية حشد القوى حول السلطة، وهي:
- أن تكون الأزمة بعيدة عن الحياة اليومية للمواطن الأمريكي .
- أن تتضمن أخطار تحدث عنها الرئيس الأمريكي مباشرة للشعب، عبر وسيلة درامية مؤثرة هي التلفزيون .
- أن تتضمن إجراء حاسماً، وغالباً عسكرياً، يقام به الرئيس . ٢٧
- ويحدد بوين تقنيات أساليب تكفل تحقيق دعم ومساندة قوية إذا ما :
- تم نزع الصفة الإنسانية عن العدو أثناء الأزمة Dehumanizing the Enemy وتصويره كنموذج للشر المطلق .
- شخصنة العدو في ذ Personalizing the Enemy .
- نمذجة العدو وتقديمه عبر صورة نمطية Stereotyped the Enemy .
- النجاح في الحط من قدر وقيمة القائد الأوحد للعدو Vilified the Enemy Leader .
- ومع ذلك لاحظ برودي Broody وشابيرو Shapiro أن بعض الأزمات لا تتسج التوافق حول السلطة ولا دعماً لها . وفي رأيهما أن هذه الحالات لا تضعف نظرية كوسر بل تؤكد لها . ويضيفان أن الخبرة التاريخية تؤكد أن الأزمات التي فشلت في تحقيق "الاتفاق حول العلم" مثل أزمة إيران - كوترا، كان سبب فشلها عدم تحقيق الشروط السابقة لتحقيق الدعم . ٢٨
- الأزمة الخارجية هي الأزمة التي تنشأ بين بلد معين وبلد آخر (أو مجموعة بلدان) يقع في ذات المنطقة الجغرافية (أزمة مع دولة إقليمية) أو خارجها (أزمة مع دولة أجنبية بعيدة) .
- تختلف الأزمات الخارجية وتتنوع، وتأخذ أشكالاً ومعارات مختلفة . ويمكن رصد الأنواع التالية من الأزمات الخارجية:
- أزمة مستمرة ومزمنة تتعلق بأمر ما بين دولة ودولة أخرى (ترسيم حدود مثلاً)، تختلف قوة حضورها ودرجة تفاعلها من فترة إلى

أخرى، وترتبط وتتشابك بمجمل العلاقات بين هاتين الدولتين وبالظروف الإقليمية والدولية.

- أزمة تفتعلها دولة ضد دولة أخرى مجاورة في مجال محدد، ولكن لأسباب أخرى غالباً ما تكون سياسية بعيدة عن هذا المجال، وهي تستخدم إيجاد الأزمة، وتستعيرها، كورقة ضغط بيدها لتحقيق أهداف أخرى في مجالات أخرى، (افتعال تركيا لأزمة المياه مع كل من سورية والعراق).

- أزمة تندلع فجأة بين دولة ودولة أخرى مجاورة، تصل إلى حد إعلان الحرب (الحرب العراقية الإيرانية).

- أزمة (اقتصادية أو ثقافية) قد تحدث بين دولة ودولة أخرى بسبب تناقض المصالح وعجز القنوات الدبلوماسية عن حل هذا التناقض، الأمر الذي يستدعي اتخاذ إجراءات معينة (منع الاستيراد والتصدير، فرض الحساية، منع مرور البضائع، إغلاق ممر مائي أو بري أو جوي...).

- أزمة تنشأ بين دولة إقليمية معينة وقوة عالمية كبرى لأسباب تتعلق بسياسات معينة لهذه الدولة الإقليمية تراها القوة العالمية تهديداً لمصالحها أو تهديداً للأمن والاستقرار في المنطقة والعالم، وقد تتعدد وتتصاعد استراتيجيات مجابهة هذه الأزمة ابتداءً من الخلاف السياسي، والتدابير الاقتصادية، والخطاب الإعلامي، إلى حد العدوان العسكري المباشر والمافر (أزمة العلاقات الأمريكية الليبية، أزمة العلاقات الأمريكية العراقية).

- وهنا أخيراً الأزمة التي تنشأ بين دولة (أو مجموعة من الدول المحلية) المدعومة من دول وقوى عالمية خارجية، وبين دولة (أو مجموعة من الدول) المدعومة أيضاً من جانب دول وقوى عالمية خارجية، يتميز هذا النوع من الأزمات بتعقيد وتعدد أطرافه وتداخل وتنشأ استراتيجيات مجابهته (أزمات دول البلقان، أزمة العدوان الصهيوني - الإسرائيلي على البلدان العربية).

الأزمة الخارجية في الأنظمة "التعددية":

يمكن التمييز بين الحالات التالية:

- حين تنشأ أزمة بين دولة ذات نظام تعددي وبين دولة أخرى، وتكون هذه الأزمة تتعلق بالمصالح الحيوية للنظام المساند في هذه الدولة، فسيان مختلف

القوى الداعمة للنظام والمشكلة له، تنقب وراء الحكومة، وتتبنى موقفها من الأزمة، وتدعمها، وتساندها في صراعها ضد الدولة الأخرى. وذلك بغض النظر عن طبيعة الأزمة ومجالها (الأزمات الاقتصادية-السياسية-العسكرية بين مختلف الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. الأزمة الأمريكية اليابانية حول فتح الأسواق اليابانية أمام البضائع الأمريكية، وحتى الأزمة البريطانية-الأوروبية حول تصدير لحوم البقر البريطانية إلى الأسواق الأوروبية).

تتسم عملية اصطفاف القوى إزاء الأزمة الخارجية بقدر كبير من التماسك والتجانس، وخاصة في بداية الأزمة، وعندما تتطور الأزمة لصالح البلد، ويقتررب الصراع من الحسم. أما إذا ما تعقد الصراع وتضابك، وتكشفت معطيات جديدة أثناء تصاعد الأزمة، وحصلت ارتباكات وأخطاء في عملية إدارة الأزمة، وبرزت مواقف وقوى ومصالح جديدة، وبات واضحاً صعوبة حسم الصراع، أو الثمن الباهظ المطلوب دفعه لحسم الصراع، فإن الخبرة التاريخية تؤكد بروز إمكانية تفكك "الجبهة الداخلية"، وضعفها، وبالتالي تراجع درجة التماسك والتجانس. يحدث هذا داخل القوى الاجتماعية-الاقتصادية-السياسية، ويوجد صداه وانعكاسه في الوسائل الإعلامية (المثالان البارزان على هذا الوضع هما: الحرب الأمريكية في فيتنام، وأزمة بريطانيا إبان العدوان الثلاثي على مصر-أزمة السويس-عساق ١٩٥٦).

حين تتشب أزمة بين دولة ذات نظام تعددي وبين دولة أخرى وتكون الأزمة محددة، ولا تهدد المصالح الحيوية الجوهرية للنظام المساند ككل، بل تهدد مصالح بعض قواء وشرائحه، فإننا نشاهد أيضاً عملية اصطفاف للقوى، ولكن بدرجة أقل من التجانس والتماسك إذا لم تكن هذه الأزمة تهدد مصالح قوى محلية معينة. أما إذا كانت الأزمة، واستراتيجيات مجابهتها، تستخدم مصالح قوى محلية معينة وتضر بمصالح قوى محلية أخرى، فإننا نشهد نوعاً جديداً من اصطفاف القوى، يتسم بالتجانس والتماسك إزاء المسائل التي تهتم البلد ككل والنظام كوحدة، وعدم تجانس بل اختلافاً وتناقضاً إزاء القضايا الأخرى، وتجد هذه الخلافات صداها في الوسائل الإعلامية المختلفة، المثال الواضح لهذه الحالة موقف وسائل الإعلام الأمريكية من قضية "الشرق الأوسط". إن وسائل الإعلام الأمريكية التابعة أو القريبة أو التي تخدم مصالح الأفكار الضخمة لصناعة السلاح، والقريبة من وزارة الدفاع الأمريكية، تراها غالباً تختلف ليس في الأسس والاستراتيجيات، ولكن في التفاصيل والتقييمات، من مواقف ووسائل الإعلام

الأمريكية التابعة أو القريبة أو التي تقوم بخدمات مصالح الاحتكارات الضخمة التي تستثمر رؤوس أموالها في صناعة النفط في الدول العربية، والقريبة من وزارة الخارجية الأمريكية.

ولذلك فإن اختلاف المواقف بين وسائل الإعلام الأمريكية حول قضية الشرق الأوسط يعكس في حقيقتها وجوده اختلاف مواقع القوى الاحتكارية الضخمة، وتتأقظ مصالحها، أكثر مما يعكس مناخاً ليبرالياً ديمقراطياً، وحرية إعلامية.

في هذه الحالة يكون موقف الدولة كنظام ومؤسسات وأجهزة مختلفاً عن النوع الأول من الأزمات. ويكون العامل الحاسم هو توازن القوى داخل النظام ذاته. وقد يحاول النظام أن يقف موقف المتسابق بين القوى المتصارعة ويضبط عملية التناقض لتبقى ضمن حدود معينة، ويتدخل ليحسم الموقف حين تبرز مخاطر تهدد أسس النظام ومصلحته الجوهرية.

الأزمة الخارجية في الأنظمة غير التعددية:

إن القوى الوحيدة في هذا النوع من الأنظمة هي القوى التي تستلم السلطة. ونظراً لأن جميع (وفي بعض الحالات معظم) وسائل الإعلام في هذه الأنظمة تابعة للدولة، فإنها تكون عملياً تابعة لأجهزة هذه الدولة، وتكون مهمتها خدمة النظام القائم.

ولذلك، حين تتدلع أزمة خارجية بين هذا النظام وبين دولة خارجية، ومهما كانت طبيعة هذه الأزمة، ونوعيتها، وحجمها، وشدتها، فإن جميع وسائل الإعلام في هذا البلد تقف وراء نظامها، تدافع عن موقفه، وتكحض موقف الخصم.

أما الآليات المتبعة من أجل تحقيق ذلك فقد تختلف من نظام إلى آخر، ومن أزمة إلى أخرى. ويمكن العثور على الممارسات التالية مجتمعة أو منفردة:

- فرض نظام رقابة عامة يخضع بموجبه كل ما يتعلق بإدارة الأزمة إعلامياً إلى الرقابة ممثلة في الأجهزة الخاصة التي يحددها النظام للقيام بهذه المهمة.

- فرض رقابة على الصحف وخاصة في البلدان التي تسود فيها الملكية الخاصة للصحف.

- تعيين مسؤولين مؤقتين خاصين مرتبطين بالسلطة، وغالباً ممثلين لأكثر أجهزة السلطة أهمية ونفوذاً، لإدارة الأزمة إعلامياً في الإذاعة

والتلفزيون، والإشراف على كل ما يتعلق بالأزمة من أخبار وبرامج
ومواد مختلفة،

- ربما كانت الممارسات السابقة تنتمي في معظمها إلى الماضي، أما
الآن فإن الأنظمة "غير التعددية" حققت قوة مهيمنة تردع أي تفكير بأي
شكل من أشكال التعددية أو المعارضة. ولذلك لم تعد ترى هذه الأنظمة
أية ضرورة لممارسة أي نوع من الرقابة على أية مؤسسة إعلامية،
لقد أصبحت الرقابة "ذاتية"، بمعنى أن النظام استطاع أن يضع في ذهن
كل إعلامي رقياً يحدد الاتجاه، والممكن، والممنوع. ونظراً لأن معظم
وسائل الإعلام في هذه الأنظمة تابعة للنظام، ونظراً أيضاً لأن النظام
هو الذي يعين المسؤولين في الوسائل الإعلامية المختلفة، وبالتالي فإن
هذه المؤسسات الإعلامية هي أجهزة رسمية، فإن العاملين فيها هم
موظفون رسميون، وبالتالي فإن النظام هو الذي يحدد الموقف من
الأزمة، وهو الذي يرسم استراتيجيات المجابهة، ويحدد سبل الحل، وينقل
ذلك كله عبر توجيهات محددة إلى القيادة الإعلامية التي تنقلها بدورها
إلى وسائل الإعلام المختلفة، وتكون مسؤولة أمام القيادة السياسية عن
تنفيذها. نقول إزاء هذه المعطيات الجديدة انتفت الحاجة إلى وجود
وممارسة الأشكال القديمة من الرقابة.

نتعم الإدارة الإعلامية للصراع أثناء الأزمات في الأنظمة "غير التعددية"
بالسمات التالية:

- اتخاذ وتحديد الموقف من الأزمة عبر قنوات ومن خلال أجهزة ليست
معروفة في الغالب للأغلبية الواسعة من الجماهير.
- عدم مشاركة الخبراء والمختصين والجماهير في عملية تحديد الموقف، وعدم
طرحه أساساً للنقاش العلني في وسائل الإعلام أو في أية أجهزة أخرى.
- التفسير في تقديم نتائج إعلامي متنوع قادر على أن يوضح هذا
الموقف، وعلى أن يقنع الجماهير به.
- وحدة ونمطية التوجيهات والتعليمات، وبالتالي وحدة ونمطية ورسمية
الخطاب الإعلامي.
- التفسير في متابعة تطور الأزمة، ورصد تفاعلاتها، ومواقفها
تعيدها، والتفسير في تقديم الخطبة الإعلامية المناسبة لهذه
المتغيرات، والاقتصار على تقديم ذات الموقف النمطي، وذات الخطاب
الرسمي.

- عدم احترام خصوصية العمل الإعلامي ككسل، وخصوصية كل وسيلة إعلامية، وتقديم مادة موحدة ونعطية تغرق في الانفعال، وتبالغ في طرح الشعارات، وتبتعد عن التحليل الملموس للواقع الملموس.
- التقصير في متابعة ومواكبة إعلام الخصم - العدو، والارتباك بالتسالي في دحض مواقفه، وتفنيد حملاته، والاكتفاء بتقديم خطاب إعلامي غائم، يتضمن الكثير من الخطابة والانفعال والضجيج، والقليل من الحقائق والمعلومات والشرح والتحليل والتفسير.
- التقصير في تحقيق المستوى المطلوب من التنسيق والتكامل في عمل الأجهزة والوسائل الإعلامية المختلفة.

خصوصية الإعلام

إن واحدة من سمات عصرنا البارزة هي تحول الإعلام إلى علم له أدبياته ونظرياته وقوانينه. وبات متعذرا ممارسة أي نشاط إعلامي ناجح دون دراسة هذا العلم. فكما أن أي فرد لا يستطيع أن يجري عملية جراحية ناجحة ما لم يكن قد درس علم الطب، وكما أن أي فرد لا يستطيع أن يبني منشأة عمرانية دون أن يكون قد درس علم الهندسة، كذلك أصبح محتوما عجز أي فرد عن ممارسة نشاط إعلامي فاعل ومؤثر إلا إذا درس علم الإعلام واستوعب نظرياته وقوانينه. هذا لا يتناقض إطلاقا مع حقيقة أن الإعلام أيضا هو أساسا وأولا فن وموهبة وربما فطرة، بقدر ما يؤكد أن هذه الموهبة إذا لم تقم وتمارس على أسس علمية تضعف وتذبل وتضل طريقها.

في ضوء ما تقدم يمكن القول أنه بات متعذرا في العصر الحديث ممارسة أي نشاط إعلامي ناجح، وخاصة في الفترات والمواقف الاستثنائية كالأزمات، بدون الوقوف على أرضية قوية من الفهم العلمي السليم لقواعد العملية الإعلامية وأصولها، وبدون المعرفة العميقة لخصائص الإعلام. نحاول في الصفحات التالية التعرض بشكل سريع ومكثف لأبرز وأهم هذه الخصائص، آمين متابعتها بشكل أشمل وأعمق في أبحاثنا القادمة.

١ - الإعلام وسائل :

لا تعمل المؤسسة الإعلامية في فراغ، ولا تطلق من الخواء. بل، وكما أشرنا سابقا، إن المؤسسات الإعلامية، وبغض النظر عن شكل الملكية ونوعية النظام السائد وشخصية ونوعية الوسيلة الإعلامية، عبارة عن أجهزة معقدة

أوجدتها قوى معينة من أجل تحقيق أهداف معينة وخدمة مصالح معينة، كائنة ما كانت هذه الأهداف والمصالح.

وبالتالي ليس ثمة أوهام حول هذه المسألة، الحقيقة الساطعة هي أن كل مؤسسة إعلامية معينة ومنهمكة في تحقيق وخدمة مشروع حددته القوى التي تملكها وتوجهها وتحدد منطلقاتها. ومن أجل تحقيق ذلك تقوم المؤسسة الإعلامية بوضع خططها ورسم برامجها من أجل التفاعل مع الواقع الموضوعي، وتشخيص معطياته، ومعالجة أحداثه وظواهره وتطوراته، وفق منظور القوى التي تملك وتوجه الوسيلة.

تقسم الوسائل الإعلامية عادة إلى ثلاثة أقسام:

- منظومة الإعلام المقروء: تضم هذه المنظومة: الصحف اليومية المركزية العامة والمتخصصة، الصحف المحلية، والصحف المتخصصة حسب الجمهور المستهدف (طلاب، عمال، فلاحون)، المجلات الأسبوعية العامة، والمجلات الشهرية العامة والمتخصصة، والمجلات الدورية العامة والمتخصصة.

- منظومة الإعلام المسموع: تضم هذه المنظومة مختلف المحطات الإذاعية: المركزية العامة والمركزية المتخصصة (موسيقى، دراما، شبيبة)، والإقليمية، والمحلية، والنووية.

- منظومة الإعلام المرئي: وتضم مختلف المحطات التلفزيونية العاملة في البلد: المركزية العامة (الشبكات القومية)، والمركزية المتخصصة، والإقليمية، والمحلية، والنضافية.

الخصائص التكنولوجية للوسائل الإعلامية وأثارها

تملك كل منظومة إعلامية خصوصية تكنولوجية معينة تشكل العوامل الحاسم والمحدد لطبيعة عملها، ولنوعية أدائها، والفن الصحفي المستخدم فيه، ولوعية وطبيعة جمهورها، وطرق وأساليب التأثير والإقناع المستخدمة فيها... الخ. وبقدر كبير من الاختصار يمكن تحديد الخصوصية التكنولوجية للمنظومات الإعلامية وجوانب تأثيرها على النحو التالي:

الإعلام المقروء - الصحافة:

يمكن تحديد أبرز خصائص الصحافة المقروءة، وفق هذا المنظور، على النحو التالي ٢٩ :

مراجع الدراسة

- سليمان صالح، إشكالية الموضوعية في وسائل الإعلام - دراسة نقدية.
- محمود يوسف، بحوث الصورة الذهنية.
- أيمن منصور، الصورة الإعلامية والقرارات.
- هويدا مصطفى، الإعلام والمشاركة السياسية المقومات والإشكاليات.
- محمود خليل ، دور الصحف الحزبية في تشكيل اتجاهات الشباب.
- أديب خضور ، الإعلام و الأزمات .
- عادل فهمي، الدراما التلفزيونية والاتجاهات نحو العنف الأسري.
- بركات عبد العزيز، مشاهدة التلفزيون كأحد العوامل المفسرة للعنف.



